التسجيل الدولي ISSN 2305-591X

٧٣

Yanabee'a
ينابيع

مَجلّةٌ ثَقافيّةٌ تُعنى بِنَشرِ فِكرِ أَهلِ البَيْتِ عليهم السلام/ السَّنة ١٣/ العَدَد ٧٣ شهر ربيع ١ - ربيع ٢ ١٤٣٨هـ/ كانون ١ ـ كانون ٢ / ١٦- ٢٠١٧ م

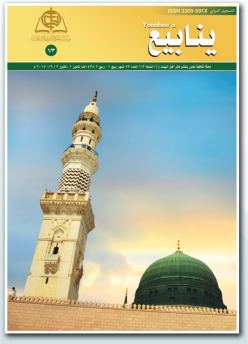

ينابيع ٧٣

مجلة ثقافية تعنى بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام

تصدر كل شهرين عن

1Z30959

المشرف العام
السيد عبد الحسين القاضي

رئيس التحرير
الحاج فلاح حسن علي العلي

مدير التحرير
حيدر الجد

سكرتير التحرير
حسين جودي الجبوري

التدقيق ومراجعة النصوص
سعد فخر الدين

التصميم والإخراج الفني
وسام مسلم المظفر
مسلم شاكر مالك

كرافيك
عباس رفيعي

التنضيد الإلكتروني
ميثم عبد علي الزاملي

العراق ـ النجف الأشرف ـ حي السعد

العنوان الإلكتروني: www.Yanabee.org

البريد الإلكتروني: Yanabee_Mag@Ymail.com

ص.ب (٥٥٠) **موبايل:** ٠٧٨٠٣١٧١٥٠٥

أسعار المجلة: العراق ١٠٠٠ دينار. الكويت ٣٥٠ فلساً. الأردن ٧٥٠ فلساً. المملكة العربية السعودية ٣ ر.س. سوريا ٧٥ ل.س. وباقي الدول ١,٥ دولار أو ما يعادله.

قيمة الاشتراك السنوي لستة أعداد: في العراق للمؤسسات ١٢٠٠٠ دينار وللأفراد ٨٠٠٠ دينار وخارج العراق ١٠ دولار أو ما يعادلها.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٨٠ لسنة ٢٠٠٦

مسجلة في نقابة الصحفيين العراقيين برقم ١٣٩ في ١٦/ ١١/ ٢٠٠٥م

- المقالات تعبّر عن رأي أصحابها.
- يخضع ترتيب المقالات إلى ضوابط فنية.
- لا تعاد المقالات إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تنشر.

في ذكرى مولد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

السيد رضا الهندي

أرى الكونَ أضحى نوره يتوقَّد ... لأمر به نيرانُ فارسَ تخمُدُ
وإيوان كسرى انشق علاه مؤذنا ... بأن بناءَ الدين عاد يُشَيَّدُ
أرى أنَّ أمَّ الشِّرك أَضحت عقيمةً ... فهل حان من خير النبيين مولد؟
نعم كاد يستولي الضلالُ على الورى ... فأقبل يهدي العالمين محمدُ

* * * * * * * * * * * * * *

نبيٌّ براهُ اللّه نورا بعرشِهِ ... وما كان شيٌ في الخليقة يوجدُ
وأودعه من بعدُ في صُلب آدم ... ليسترشد الضُّلالُ فيه ويهتدوا

ولـو لم يكن في صُلب آدم مـودَع ... لما قـال قِدْما للملائكة: اسجدوا
لـه الـصـدر بين الأنـبـيـاء وقبلهم ... عـلـى رأســه تـاج الـنـبـوة يعقدُ
لـئـن سـبـقـوه بـالـمـجـيء فـإنَّـمـا ... أتـــوا لـيـبـثُّـوا أمـــره ويـمـهـدوا
رســولٌ لـه قـد سـخَّـر الـكـونَ ربّـه ... وأيَّـــدَهُ فـهـو الـرسـول الـمـؤيّـد
ووحـــده بـالـعـز بـيـن عـبـاده ... ليجروا على منهاجه ويـوحـدوا
وقـارن ما بين اسمه واسـم أحمد ... فـجـاحـده، لا شـكَّ، لـلّـه يجحدُ
ومـن كـان بالتوحيد لـلّـه شاهدا ... فـــذاك لـطـه بـالـرسـالـة يشهدُ
ولـــولاه مـا قلنا ولا قـال قائل ... لمالك يـوم الـديـن: إيّـاك نعبدُ

* * * * * * * * * * * * * *

ولا أصبحت أوثانهم وهيَ التي لها ... سـجـدوا تـهـوي خشوعا وتسجدُ
لآمنة البشرى مدى الدهر إذْ غَدتْ ... وفـي حجرها خير النبيين يولدُ
به بشَّرَ الإنجيل وأُلـصـحْـفُ قبلَهُ ... وإن حـاول الإخـفـاء للحقّ ملحدُ
بـ(سينا) دعا موسى و(ساعير) مبعثٌ ... لعيسى ومـن (فـارن) جـاءَ مُحمد
فسل سفر شعيا ما هتافهم الذي ... بـه أمـــروا أن يهتفوا ويـمـجـدوا
وسل من عنى عيسى المسيح بقوله ... سأنزله نحو الـورى حين أصعد
لـعـمـرك إن الـحـق أبـيـض ناصع ... ولـكـنـمـا حـظ الـمـعـانـد أسـود
أيخلد نحو الأرض متبع الهوى ... وعـمـا قـلـيـل فـي جـهـنـم يخلد
ولولا الهوى المغوي لما مال عاقل ... عن الحق يوما، كيف والعقل مرشد؟

* * * * * * * * * * * * * *

ولا كان أصناف النصارى تنصروا ... حديثا ولا كـان الـيـهـود تـهـودوا
ومـن وعـد الرحمن موسى ببعثه ... وهيهات للرحمن يخلف موعد
أبـا القاسم اصـدع بالرسالة منذرا ... فسيفك عن هام العدى ليس يغمد

* * * * * * * * * * * * * *

ولا تخش من كيد الأعـادي وبأسهم ... فـــإن عـلـيّـا بـالـحـسـام مُـقـلَّـد

وهل يختشي كيدَ المضلّين من له ... أبــو طـالـب حــام وحـيـدر مسعدُ
عليٌّ يـدُ الـهـادي يصول بها وكم ... لـوالـده الـزاكـي عـلـى أحـمـد يد
وهاجر أبـا الـزهـراء عن أرض مكة ... وخــل عـلـيـا فـي فـراشــك يرقد
عليك سـلام الـلـه يـا خير مرسل ... إليه حديث العز والمجد يسند
حـبـاك إلــه الـعـرش مـنـه بمعجز ... تبيد الـلـيـالـي وهــو بــاق مؤبد
دعــوت قريشا أن يجيئوا بمثله ... مـا نطقوا والصمت بالعي يشهد
وكــم قـد وعــاه منهم ذو بلاغة ... فـأصـبـح مـبـهـوتـا يـقـوم ويقعد
وجئت إلـى أهـل الحجى بشريعة ... صفا لهم من مائها العذب مورد
شـريـعـة حـق إن تـقـادم عهدها ... فـمـا زال فـيـنـا حسنها يتجدد
عليك سـلام الـلـه مـا قـام عابد ... بجنح الدجى يدعو ومـا دام معبد

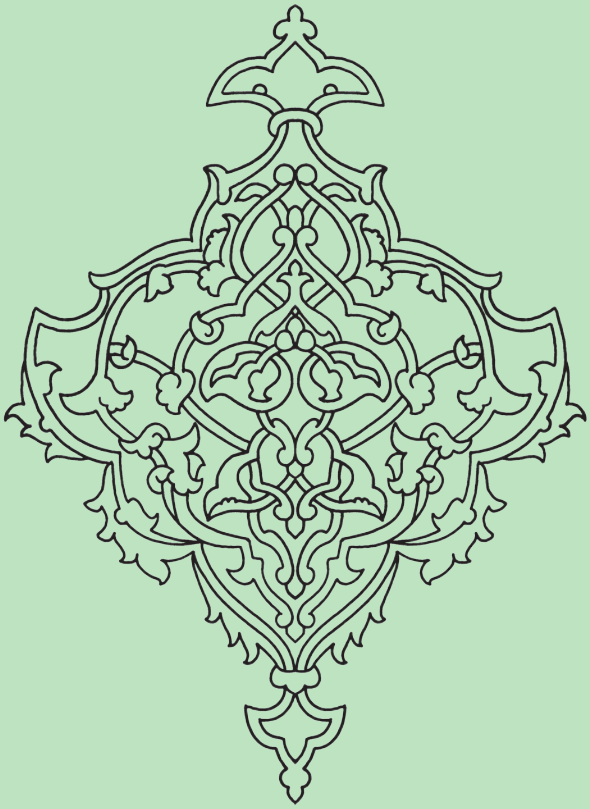

أهم المواضيع

صور الدعاء في القرآن الكريم
أ.م.د محمد إسماعيل

القرآنيات
ص (١٠)

إضاءات السيرة
ص (٦٠)

السلوك السياسي وإدارة الدولة
م.م. حامد عادل النصراوي

الدلالة السياقية في سورة الفتح
محمد قاسم محمد

القرآنيات
ص (١٦)

مع الفقيه
ص (٧٤)

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

السمات الدلالية في أدعية الإمامين العسكريين عليهما السلام
أ.م.د خليل خلف بشير

آمن الرسول
ص (٢٢)

في النفس والمجتمع
ص (١٠٨)

الحسين بن روح النوبختي ودوره الديني
م.م.ساجد صباح العسكري

ملف العدد
ص (٣٦)

قصيدة في ذكرى مولد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله
الحاج جعفر الشيخ عباس حمندي

طروحات عامة
ص (١٢٠)

صور الموت للأخيار والأشرار
محسن عبد العظيم الخاقاني

كلمة العدد

جدلية ضياع التراث الديني

المشرف العام..... ٨

قرآنيات

صور الدعاء في القرآن الكريم

أ.م.د محمد إسماعيل ١٠

الدلالة السياقية في سورة الفتح

محمد قاسم محمد..... ١٦

آمن الرسول

السمات الدلالية في أدعية الإمامين العسكريين

أ.م.د خليل خلف بشير..... ٢٢

الصراع الأزلي بين الحق والباطل

د. أحمد جاسم الخيال..... ٢٨

ملف العدد (ولادة الرسول صلى الله عليه وآله)

قصيدة في ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وآله

الحاج جعفر الشيخ عباس حمندي..... ٣٦

السيرة النبوية بين الرؤية القرآنية والرواية التاريخية

أ.د.جواد كاظم النصر الله..... ٣٩

تواضع النبي محمد صلى الله عليه وآله في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام

د. انتصار عدنان العواد..... ٤٤

الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وبناء الدولة المدنيّة

الشيخ د. جون العتابي..... ٤٨

مبدأ الرعوية الشاملة لمواطني الدولة في عهود الرسول صلى الله عليه وآله لأهل المدينة

محمد رضا الشريفي..... ٥٣

إضاءات السيرة

السلوك السياسي وإدارة الدولة في فكر الإمام علي عليه السلام.. رؤية نقدية

م.م. حامد عادل النصراوي..... ٦٠

رَمزيَّةُ الحُوارِ في فِكرِ الإمام الصَّادق عليه السلام

د. حسين علي هادي المحنة..... ٦٧

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)..... ٧٤

في النفس والمجتمع

التربية القرآنية.. والاستقامة

د. محمد كاظم الفتلاوي..... ٨٠

إضاءات تربوية ونفسية في العفة

أ.د. نجم عبدالله الموسوي..... ٨٦

قراءات

منهج تفسير جامع البيان لابن جرير الطبري

لينا أمير عبدالحسين..... ٩٠

للفضيلة نجومها

الحسين بن روح النوبختي ودوره الديني

م.م. ساجد صباح العسكري... ١٠٨

طروحات عامة

القراءات القرآنية المنسوبة إلى الإمام الحسين عليه السلام

د. عصام كاظم الغالبيّ ١١٤

صور الموت للأخيار والأشرار

محسن عبد العظيم الخاقاني..... ١٢٠

واحة الأدب

نوادر في البيان والبلاغة والفصاحة

..... ١٢٦

حكاية مستبصر..... ٩٦

في الذاكرة..... ١٠٢

وقفة مع الذكرى:..... ١٠٦

أجوبة مسابقة العدد (٧١) وأسماء الفائزين.... ١٢٨

مسابقة العدد (٧٣)..... ١٢٩

كلمة العدد

جدلية ضياع التراث الديني

بسم الله الرحمن الرحيم

لم تحدث الغيبة الصغرى التي أعقبتها الغيبة الكبرى لإمام العصر الحجة المنتظر (عجل الله فرجه الشريف وجعل ارواحنا فداه) إلا بعد أن تكامل لشيعة أهل البيت عليهم السلام فقههم، بتدوين النصوص بعدد وفير الذي يكفل حاجة الناس، وكتابة الكتب التي جمعت بين دفتيها تلك النصوص، وعرض جملة منها ليست بالقليلة على الأئمة الهداة عليهم السلام، وتأييدهم لبعضها، وحذف الزائد من البعض الآخر، كما ورد في بعض نصوص هذه الحقبة من الزمن، كخبر المفضل بن عمر قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «اكتب وبث علمك في إخوانك، فإن مت فأورث كتبك بنيك فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم»[1]، وكخبر محمد بن الحسن بن أبي خالد، عن أبي الحسن الثاني عليه السلام: «جعلت فداك إن مشايخنا رووا عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، وكانت التقية شديدة فكتموا كتبهم، فلم ترو عنهم، فلما ماتوا صارت تلك الكتب إلينا. فقال: حدثوا بها فإنها حق» إشارة منه عليه السلام إلى صحة الاعتماد على تلك الروايات التي تضمنتها الكتب، وكذا في حديث يونس بن عبد الرحمن قال: «أتيت العراق فوجدت بها قطعة من أصحاب أبي جعفر عليه السلام، ووجدت أصحاب أبي عبد الله عليه السلام متوافرين، فسمعت منهم واحداً واحداً، وأخذت كتبهم فعرضتها على الرضا عليه السلام فأنكر منها أحاديث كثيرة أن تكون من أحاديث أبي عبد الله عليه السلام، وقال لي: إن أبا الخطاب كذب على أبي عبد الله عليه السلام. لعن الله أبا الخطاب، وكذلك أصحاب أبي الخطاب يدسون هذه الأحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبد الله عليه السلام، فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن» إلى آخر الحديث الشريف..

وفي هذا الأسلوب مؤشر واضح على العمل من قبل الأئمة عليهم السلام من عصر الرضا عليه السلام إلى عصر الهادي والعسكري عليهما السلام كانوا يهذبون الأحاديث المدسوسة، والمكذوبة، وكان أصحابهم يعملون على تنقية الأخبار بهذا الشكل، حتى تكامل الموروث الثقافي والمعرفي، وتم تهذيب الكثير من الموروث المدسوس والمكذوب.. هذا من جانب، ومن جانب آخر بدأ الأئمة الهداة (سلام الله عليهم) بتهيئة الأجواء المناسبة في إرجاع الشيعة إلى العلماء الأمناء أواسط عصور الحضور وحتى عصر الغيبة، ليألفوا الرجوع لهم، تهيئة لعصر الغيبة، وما استتبع ذلك من إرشادهم إلى العلماء، وحثهم على الأخذ منهم والتزود من ما يحملوه من الأحاديث، والعلم، والاستفادة منهم، بعد أن تكامل الموروث الثقافي والمعرفي عندهم، مستمدين ذلك من إرشادات أئمتهم (صلوات الله عليهم) بعد أن لازموهم قرابة القرنين من الزمن، بل أكثر من قرنين ونصف، إذا أدخلنا عصر الإمام زين العابدين عليه السلام وبداية عصر الباقر عليه السلام. ولم يكتف العلماء بذلك. أي: بما جمعه لهم المشايخ الثقات في عصور الأئمة عليهم السلام التي أشرنا إليها، حتى بدأوا بجمع كل شاردة وواردة في مجاميع جديدة، نقية بحسب معطياتهم الفكرية والعلمية، وفق الموازين الشرعية، حيث أن كل

(١) وسائل الشيعة ج: ١٨ باب: ١٨ حديث:١٨.

واحد منهم أعطى على نفسه عهداً أمام الله تعالى أن يذكر ما يراه الحجة بينه وبين الله تعالى، وهكذا بدأت المجاميع الجديدة تأخذ مداها في الأوساط العلمية الدينية والفقهية، وبرزت خلال ذلك أتعابهم وما بذلوه من جهد جهيد من أجل تنقية الأخبار، واختيار ما يناسب الموروث الثقافي الديني، مع قرب عهدهم من عصور الأئمة عليهم السلام، ومعرفتهم للكثير من الأمور التي تناسب ثقافتهم، من التعاليم الدينية والأخلاقية، وبأزاء ذلك نراهم بذلوا جهوداً مضنية في محاولاتهم المتكررة في الحفاظ على التراث الديني من أجل حفظه للأجيال بعيداً عن التلاعب والتزوير، ودمج الحقائق بالأكاذيب، ليخرج التراث نقياً خالصاً من أي شائبة من هنا وهناك، ويبقى نظر الفقيه بعد ذلك وبحسب ما أعطي من قوة في الفكر وعمقاً في الفهم يستنبط منه ما يراه صحيحاً، من دون أن يتلاعب في بحاق النص، من إضافة، أو تبديل، أو حذف، وقد رويت روايات عديدة في كيفية حفظ النصوص، وما لاقوه جراء ذلك من التعب والنصب والحرمان، حتى صرفت لذلك الطاقات الكبيرة والجهد المضني، مضافاً إلى تأييد الله تعالى لهذه الثلة من العلماء الأتقياء الصلحاء، وتسديدهم في تحقيق مبتغاهم، بعد اطلاعه سبحانه على نواياهم، وما كانوا يشعرون به من مسؤولية تجاه دينهم وتراثهم، حتى عبر هذا التراث الحقبة اللاحقة من عصر الغيبة إلى الحقبة التي تلتها، وقد جمع بحلته الجديدة، وبتبويب جديد، سهل في الرجوع إليه، مع إضافة التحقيقات العميقة والتي أسهمت هي الأخرى في إرساء قواعد الاستنباط الشرعي، وبدأت توضح معالم الفهم الفقهي، فكان العلماء في كل جيل يتنبهون إلى تحقيقات لم يتوصل إليها من كان قبلهم، وإن كان الفخر لأولئك الأولين الذين أرسوا قواعد التحرير، وتعمقوا في الوصول إلى النتائج الكبروية التي توضح القواعد العامة، ليناسب ذلك بقاء الدين، وانقطاع الأتصال بمن هم معدن العلم وورثة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ولكن التدرج العلمي حقيقة تناسب التطور البشري في جميع المجالات المعرفية والثقافية.. ومع ذلك كله فإن أسس المعرفة والتي هي النصوص الشرعية بقيت محط اهتمام في الحفاظ على حرفيتها من التدليس والضياع وغير ذلك، وفهم المراد منها موكول لنظر من أراد استنباط القواعد العامة منها، من دون تلاعب في نفس النص، هذه مجمل الحركة العلمية فليس من الإنصاف بعد ذلك التعدي على مقام العلماء والاستهزاء بهم، وإنكار الحقائق الحقيقة بالشكر الجزيل والثناء الجميل، ونسف كل ما بنوه من المعالم التراثية، وإغفال فضلهم علينا، لأن التطور العلمي وإن كان يخطِّيء النظريات السابقة إلا أنه لايعني الاستهزاء بالجهود المبذولة، والعرفان بالفضل والشكر، لأن كل ما وصلنا إليه مستمد منهم، ولهم الفضل علينا فيه شئنا أم أبينا.

أما التشكيك بالموروث الثقافي والمعرفي فهو تشكيك في حقائق معروفة أصبحت من بديهيات تأريخنا المجيد الذي بقي ناصعاً عبر الزمن الطويل، المليء بالمحن والمصاعب على هذه الطائفة الحقة على طول تأريخها، فلعل التشكيك فيه تشكيك بحقائق علمية ملحق بالسخف من القول.

كما أن اعتماد الأساليب الخطابية التي تشد من مشاعر السامعين لغة العاجز الهارب من مواجهة الحقائق بطريقة علمية رصينة.

شكر الله مساعي علمائنا الأعلام، وما بذلوه من طاقاتهم، وزهرة شبابهم وحياتهم خدمة لهذا الدين، ورفع درجاتهم في عليين، وحشرهم مع النبيين، سائلاً المولى عز وجل أن يعرفنا حقهم في مسيرتنا العلمية والمعرفية، فإن من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق. والحمد لله أولاً وآخراً.

■ المشرف العام

صور الدعاء في القرآن الكريم

أ.م.د. محمد إسماعيل عبدالله
جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الإنسانية

ينابيع لدراسة الدعاء بصورة كاملة لابد من دراسته في القرآن الكريم لمعرفة صيغ طرح الدعاء وأساليب هذا الطرح في القرآن، وسنختصر في هذا الموضوع بحسب ما يتسع له المقام، بعض هذه الصور والأساليب في القرآن الكريم حسب موضوعها العام من ذكر أدعية الأنبياء ثم أدعية الصالحين ثم دعاء بقية الناس، وقد ورد الدعاء في القرآن الكريم بصور ونماذج متعددة[1] نذكر منها:

أولاً:ـ دعاء الأنبياء

يعرف الجميع أن اللّه

سبحانه وتعالى لما خلق الخلق وأنزلهم إلى دار البلاء والاختبار، لم يتركهم بهما، ولم يسلمهم إلى الأقدار والأهواء تعبث بهم، وهو بعد ذلك يدعوهم إلى عبادته وحسن الاتكال عليه وتنفيذ أوامره والابتعاد عن نواهيه، دون أن يخبرهم نوع العبادة الصحيحة وما هي الأوامر والنواهي حتى يتمكن الإنسان من الانسياق مع الأوامر والانصراف عن النواهي وحتى يحسن الاتصال الصحيح بين العبد والرب.

على هذا فقد أرسل الله عزوجل للناس رسلاً من جنسهم هم أنبياء مكرمون وعباد صالحون يفعلون ما يؤمرون، وينفذون ما أوصاهم به ربهم ويوصيهم به ما داموا في الخدمة الرسالية، وأمر الله جل جلاله بعد ذلك الناس بالاقتداء بالرسل والأخذ بمنهاجهم القويم وتنفيذ أوامر الرسول وحسن الاقتداء به والطاعة المطلقة له[٢]، فالأنبياء وهم مثال الإنسانية ونموذجها الأسمى في البصيرة والحكمة والنبل والأخلاق الرفيعة، كانوا متعلقين بأدب الدعاء أيضاً.

وكان لزاماً على الأنبياء أن يحسنوا تعليم الناس وتنويرهم إلى طريق الله السالك والعماد النافع لحسن الاتصال به عزّ وجل[٣]، وكان لزاماً عليهم أن يحسنوا التصرف أمام الناس ويكونوا قدوة صالحة لغيرهم[٤] ويكونوا بحق مرآة الله في أرضه أو كما يقال (ظل الله في أرضه)[٥]، وأصبح لزاماً عليهم أن يكون دعاؤهم للناس لهدايتهم وطلب الغفران لهم منه (عزّ وجل)، وكانوا بحق كذلك، على أنهم لم ينسوا حظاً من أدعيتهم لأنفسهم وأهليهم، فكان دعاء الأنبياء في القرآن على صورتين:

الصورة الأولى: دعاء الأنبياء العام:

إن دعوة الأنبياء والصالحين الورعين الذين هداهم الله لطاعته وحسن التوكل عليه، قد رسمت للحياة الصالحة الهادئة سبيلاً قويماً ومنهاجاً للتعايش السلمي في هذه الحياة ليكون فيه الناس سواسية يحب بعضهم بعضًا ويحترم بعضهم بعضًا، يحافظ فيها القوي على الضعيف ويرحم فيها الغني الفقير ويترحم فيها الشريف على الوضيع، ويقوى الإيثار بينهم ليكونوا في هذه الدنيا مسالمين سلميين بدل أن يكونوا أعداء متحاربين.

وكان ممن دعا له الأنبياء عباد الله المؤمنين أن يثقوا بالله العلي القدير وأن يسألوا في السرّاء والضرّاء[٦] من خيره وفضله ما يديم عليهم في هذه الدنيا نعمه الجليلة، وأن لا يسألوه في الضرّاء من خيره وفضله حتى يذهب عنهم الضر، وأن يسألوه في السرّاء أن يديم عليهم نعمه وأن يتفضل عليهم بدوامها واستدامتها وزيادتها والإكثار منها والطلب منه سبحانه غيرها مما لم يبلغهم منها شيء بعد.

وهكذا فقد رسم الأنبياء منهاجاً قويماً يعتمد في جملته على الاتكال على الله وحسن الظن به وإدامة الاتصال به لطلب الخير منه وزيادته وإبعاد الشر والضر والفحشاء عنهم وأن يتعاملوا مع الناس بالحسنى. وكمثال على ذلك ما جاء على لسان نوح عليه السلام:

(اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا *

يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) (نوح: ١٠، ١١، ١٢).

(رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً) (نوح: ٢٨).

أو كما جاء على لسان إبراهيم عليه السلام:

(رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ) (البقرة: ١٢٦).

(فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) (ابراهيم: ٣٧).

الصورة الثانية: دعاء الأنبياء الخاص:

إذا علمنا أن الأنبياء ـ كباقي البشر ـ محتاجون إلى فضل الله(عزوجل) وكرمه ورزقه فوجب على الناس ومن بينهم الأنبياء أن يدعوا الله مخلصين له الدين أن يرحمهم ويرزقهم فتوجه الأنبياء إلى دعائه في الشدة والرخاء[٧] **(وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)** (الأنبياء: ٩٠). وكان من مميزات هذه الأدعية في القرآن الكريم:ـ

١ـ إن في هذه الأدعية إطالة نوعاً ما لأن فيها إظهارًا للحالة المراد الدعاء لها مثل قول زكريا عليه السلام: **(وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً* يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً)** (مريم: ٤ـ ٦).

إن هذه الإطالة تشرح إطالات بعض الأنبياء عند الحديث مع رب العزة مثل إطالة حديث إبراهيم عليه السلام مع ربه، عندما سأله أن يحيي الموتى أمامه، ومثل إطالة حديث موسى عليه السلام مع ربه عندما سأله عن العصا التي في يده، وفي جميعها نلمح حب الأنبياء الحديث مع رب العزة وإطالة الحديث معه، لأن الله يحب أن يديم المؤمن الاتصال به، وأن يطيل الحديث معه ويكره أن ينظر إلى الكافر (إن الله ليؤخر إجابة المؤمن شوقاً إلى دعائه ويقول صوت أحب أن أسمعه ويعجل دعاء المنافق ويقول: صوت أكرهه)[٨].

٢ـ إن دعاء الأنبياء لأنفسهم كان ـ في أغلبه ـ في وحدة العبادة وفي أثناء التعبد أو في أثناء الخلوة والتفكر، ولم يكن جهراً كمثل قوله: **(هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ)** (آل عمران: ٣٨) وأمثال ذلك. أما عن دعاء موسى عليه السلام له ولأخيه فإنما استوجبته أفعال بني إسرائيل والبراءة منها وهو قوله: **(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)** (الأعراف: ١٥١).

٣ـ ذكر الحالة التي ابتلي فيها النبي صلى الله عليه وآله ودعائه الذي دعا به ربّه، أكثر من مرة في القرآن الكريم وبأكثر من طرح قرآني وبأكثر من لفظ، مثل قصة زكريا عليه السلام فقد وردت في أكثر من سورة وبأكثر من معنى مثل قوله: **(ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا* إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيّاً)** (مريم:٢ـ٣) إلى قوله: **(فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً)** (مريم: ١١). ومثل قوله: **(هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ)** (آل عمران: ٣٨)، إلى قوله: **(بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ)** (آل عمران: ٤١.)، ومثل قوله: **(وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ)** (الأنبياء: ٨٩)، إلى قوله: **(وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)** (الأنبياء:٩٠)، فإن الأسلوب

في السور الثلاث فيه نوع من الاختلاف اليسير الذي لا يعني اختلاف القصة وإنما الاختلاف في الطرح من باب التنويع في العرض أو هو الاحتياج إلى طرح هذا المعنى في هذه السورة وهذا المعنى في السورة الأخرى وهكذا، وهذا من أسلوب القرآن الكريم في الطرح فإنه يعتمد المعنى ولا يعتمد الوقائع بحقائقها فقط.

٤- إن من متممات الدعاء الإجابة ولهذا وردت في القرآن الكريم إجابة الله تعالى لدعاء الأنبياء مثل ما حصل لزكريا عليه السلام وما حصل لأيوب عليه السلام كقوله سبحانه: (**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ**) (الأنبياء: ٨٣-٨٤)، وكانت متممات الدعاء تذكر للعبرة - كما أشرنا - أما استجابة الدعاء في ذاتها فقد أخبرنا القرآن الكريم بأنها (**رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ**) (الأنبياء: ٨٤) حتى يتيقن الداعي الإجابة فإن تيقن الإجابة من حسن التعبد[٩] (**حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا**) (يوسف: ١١٠).

ثانياً: دعاء الصالحين أو الدعاء العام في القرآن

وهو من أهم أنواع الدعاء في القرآن وذلك لكثرته ولأنه يشغل حيزاً كبيراً فيه، زيادة على ذلك فإن دعاء الصالحين قد امتاز عن غيره من أنواع الأدعية بأمور منها:

١- تلحظ منها جانب الخير واضحاً ويمكنك تعرف قائله بسهولة ويسر، كأن يقدم ذكرهم قبل الدعاء أو تستشف ذلك من مجمل الآية ففي قوله تعالى: (**رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ**) (آل عمران: ١٩٣) فإن من الواضح هنا إن المتكلمين هم المؤمنون الخيّرون وهكذا.

إن في أدعيتهم إسهاباً ملحوظاً. فهو شامل لأسس الدعاء وجوانبه الدقيقة من البراءة والاستغفار والاستشفاع والطلب فيما بعد أن يغفر لهم ربهم ثم التحميد الختامي. ومثل ذلك واضح في قوله تعالى: (**رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ* رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) (الممتحنة: ٤-٥).

مدح الله الصالحين قبل دعائهم وبعده واضح في القرآن الكريم وهذا طريق ترغيب في أعمالهم وأحوالهم وفيه مدحة عامة للمؤمنين كونهم عرفوا الله بحق وعبدوه حق عبادته وسألوه من فضله ولطفه فجزاهم الله بذلك أن رضي عنهم وأعطاهم ما يطلبون: (**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ**) (آل عمران: ١٩٥) ومثل ذلك نراه في قوله تعالى: (**قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**) (المائدة: ١١٩).

ثالثاً: دعاء الناس لأنفسهم أو

بعضهم لبعض أو على بعض:

ورد في القرآن الكريم دعاء الناس لأنفسهم الكثير، منه للخير ومنه للشر كأن يدعوا الناس بعضهم على بعض، ومن مميزات هذا النوع من الأدعية في القرآن الكريم:

١- أنه دعاء مقتضب يدلل على سرعة الدعاء وعدم المهلة بالاستغفار والاسترضاء كما يفعل المؤمنون وهذا يظهر بجلاء الناحية النفسية للداعي فإن الخالف أو البائس أو الحاقد يتلجلج لسانه في الدعاء ولا يعرف أن يتم دعاءه، فيصبح دعاؤه سريعاً محتملاً في صدره حتى يخرجه.

٢- عدم ضمان الإجابة والتيقن منها ولهذا ورد بعضه بحروف تدل على الشك من ذلك قوله تعالى: (**لَوْلا أَخَّرْتَنَا**) (النساء: ٧٦) وقوله: (**لَوْلا أَرْسَلْتَ**) (طه:١٣٤)، أو بعبارات مقتضبة تدل على ذلك، مثل: (**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً**) (فاطر:٣٧)، وقوله: (**رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا**) (ص: ١٦).

٣- يظهر القرآن بعد ذكر مثل هذا الدعاء حقيقته بأنه دعاء سريع باطل لم يخرج من قلب مؤمن، بل من قلب منافق يقول بلسانه ما لا يعتقده بجنانه (**وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً**) (الإسراء: ٦٧)، فقوله (أعرضتم) جاء بعد الدعاء ليظهر أن الدعاء لم يكن بحق أو أن الإنسان بكفره يصد عن الله على الرغم من الحقائق الظاهرة. وعلى الرغم من كونه يؤمن بها نفسياً إلا أنه يعرض بوجهه عن الله (**وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ**) (فصلت: ٥١).

دعاء الرسول الكريم ﷺ:

حتى إذا وصلنا إلى عهد النبي المصطفى ﷺ وجدنا الدعاء عنده يشكل حالة من التدين والاعتقاد لا ينفك المؤمن متعلقاً بها تعلق القلب بالجسد بنياط لولاها لما بقي في مكانه متزناً فلقد دأب الرسول ﷺ على الدعاء دأبه على الصلاة واهتم بالدعاء اهتمامه بالجهاد، حث الناس عليه حثّه الناس على الاهتمام بأمور معيشتها، وكيف لا يفعل كذلك وهو رفيق القرآن والقرآن ينادي بالاهتمام بالدعاء، قال تعالى في محكم كتابه الكريم: (**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**) (غافر: ٦٠).

والدعاء عند رسول الله ﷺ سلاح يتسلح به المؤمن ليقي نفسه من أهوال الانحراف والميول التي تعصف به يميناً وشمالاً، قال ﷺ: (الدعاء سلاح المؤمن وعمود الدين ونور السماوات والأرض)[١٠]، ويتسلح به المسلم الذي يرغب في الطلب من ربه الخير الجزيل وكيف يطلب العبد من الرب ما يشاء بغير الدعاء له والاستشفاع بما فرضه الله قال تعالى: (**وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**) (الأعراف: ١٨٠)، وكان رسول الله ﷺ كثير الاهتمام بتعليم المؤمنين أصول الارتباط بينهم وبين الله سبحانه قال ﷺ يوماً: (ألا أدلكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم، ويدر أرزاقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: تدعون ربكم بالليل

والنهار، فإن سلاح المؤمن الدعاء)[11]. وكان ﷺ يربط الدعاء بأمور الحياة ربطاً وثيقاً، قال ﷺ: (أعجز الناس من عجز عن الدعاء وأبخل الناس من بخل بالسلام)[12]، ويحث الناس على التواصل الشريف بينهم وبين ربهم الذي خلقهم وهو الكفيل لهم إذا سألوه أن يجيبهم لما سألوه.

دعاء آل البيت عليهم السلام:

لقد شكل الدعاء بوصفه نتاجاً إنسانياً حلقة الوصل العظمى بين العبد وربه، فقد دأب الإمام علي عليه السلام وآل بيته الأطهار على التنفيس عن كرب الحياة بآهات ولواعج ومناجاة صادقة أمام الرب الكريم لطلب العفو والغفران، وتعليم الناس أصول الاتصال به عز وجل، فالدعاء عندهم رمز العبودية وطريق الغفران وسبيل النجاة من الذنوب. حتى أخذ عنهم شيعتهم ومحبوهم هذا المعنى فأصبح الدعاء (من خصائص الشيعة التي امتازوا بها، وقد ألّفوا في فضله وآدابه وفي الأدعية المأثورة عن آل البيت عليهم السلام ما يبلغ عشرات الكتب من مطولة ومختصرة، وقد أودع في هذه الكتب ما كان يهدف إليه النبي وآل بيته صلوات الله عليهم من الحث على الدعاء والترغيب فيه...)[13].

لقد أصبحت أدعية أهل البيت عليهم السلام مثالاً يحتذى وصوراً يقاس عليها، بل وردًا يتعبد به وأنموذجاً يتردد في كل المجالس وفي العبادات التي يدخل الدعاء من ضمنها مثل الصلاة وغيرها. ويكمن السر في ترديد الناس لها لأنها صور جاهزة وأمثلة كاملة تذكر بدون أدنى عناء للتأليف والصياغة. فالإنسان بحاجة أحياناً إلى الملجأ الذي يلوذ به في الشدائد، والدعاء يضيء نور الأمل في نفس الإنسان، فمن يبتعد عن الدعاء يواجه صدمات نفسية عنيفة، وأولئك الذي يصفون الدعاء بأنه تخدير النفوس لم يفهموا معنى الدعاء على الحقيقة التي صيغ بها أو الأمور التي ألّف من أجلها. والدعاء عند الإمام علي عليه السلام لا يعني ترك العلل والوسائل الطبيعية واللجوء بدلها إلى الدعاء، فينقل أن أعرابياً أراد أن يشافي ناقته الجرباء بالدعاء، فقال له الإمام: (ضع مع الدعاء شيئاً من القطران)[15]. وبذلك أعطى الإمام بُعداً آخر للدعاء هو مسؤولية الفرد وعدم ترك الأسباب والمعالجات ومن ثم التوجه للرب لقضاء الحاجة بالدعاء■

---

١) ينظر: الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام: ١٣٧.
٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٦٠/١.
٣) ينظر: الدعاء: عبد الحسين الحسيني:٥٧.
٤) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٥٩/٧.
٥) بحار الأنوار: ٨٧/٣.
٦) ينظر: الدعاء عند أهل البيت: الأصبغي: ٧٣.
٧) ينظر الميزان في تفسير القرآن: ٢٦٤/٧.
٨) الأصول من الكافي:٤٨٨/٢.
٩) ينظر: الأصول من الكافي:٤٦٨/٢.
١٠) الأصول من الكافي:٤٦٨/٢.
١١) م.ن
١٢) م.ن.
١٣) عقائد الإمامية: الشيخ محمد رضا المظفر، ص ٨٨.
١٤) عقائد الإمامية: ٨٩.
١٥) بحار الأنوار:٣٣٢/٤٠.

الدلالة السياقية في سورة الفتح

الباحث: محمد قاسم محمد
جامعة البصرة /كلية الآداب

ينابيع أثبتت الدراسات القرآنية التي جعلت كتاب الله المنزل ميدانًا للبحث والاستقراء أن النص القرآني ليس محكومًا بأي من القيود التي اختطتها الأنامل البشرية، فهو نص يربو على كل القيود والمعلقات والمخصصات مهما أريد لها أن تدرس النص القرآني لأجل القرآن، فحاكمية النص القرآني على التقعيد النحوي ينبغي أن توضع نصب أعين الدارسين كي يدخلوا حرم الدراسة القرآنية في المجال اللغوي، إذ ليس لأحد أن يفرض قيودًا مسبقة بمعيارية بشرية ثم يعمل

على إسقاطها في النص القرآني، عاملًا على ليِّ أعناق النصوص القرآنية لتأتي موائمة للقاعدة النحوية، وهذا في حقيقته تحكم بالنص القرآني وإنزاله منزلة الكلام البشري، لا يختلف عن أي كلام صدر من لسان عربي في حالة معينة من الشعور البشري.

ومن هنا صار لزامًا أن يُدرس النص القرآني بوصفه نصًا دينيًّا محكمًا من لدن عليم حكيم، ولذا لا نتعبد بآراء النحاة ونَصِفُ كثيرًا من الدلالات والتوجيهات النحوية على وفق اجتهاداتهم وآرائهم المتشددة الواصفة لبعض المخالفات النحوية القرآنية بالشذوذ متناسين مقامه الشريف وسياقه المحكم وأسلوبه المعجز، فحينما يعجزون عن إدراك الدلالات المقصودة يتأولون ويقدرون.

ذكرت الكثير من الروايات الشريفة فضائل سورة الفتح المباركة لما لها من المكانة الكبيرة التي تتعلق بمستقبل الأمة الإسلامية، فزمكانية النزول المبارك للسورة الشريفة يعطي للمتلقي ما تحمله هذه السورة من الشحن الدلالي الكبير المرتبط بمكانة الدولة الإسلامية وديمومتها، كما سيتضح ذلك جليًا في بحث سياق الموقف، وقد أشارت الروايات إلى هذه المكانة بشكل صريح، وكما يأتي:

١ـ عن أبي عبد الله بن بكير[١] عن أبيه قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: (حصنوا أموالكم ونساءكم وما ملكت أيمانكم من التلف بقراءة (**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ**) فإنه إذا كان ممن يدمن قراءتها نادى منادٍ يوم القيامة حتى يسمع الخلائق أنت من عبادي المخلصين ألحقوه بالصالحين[٢].

٢ـ عن النبي صلى الله عليه وآله: من قرأ سورة الفتح فكأنما شهد مع محمد فتح مكة[٣].

٣ـ عن النبي صلى الله عليه وآله: لقد أنزلت عليَّ سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ: (**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِينًا**)، فقال رجل من أصحابه ما هذا بفتح، لقد صددنا عن البيت، وصد هدينا، وردّ رجلان من المؤمنين كانا خرجا إلينا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بئس الكلام هذا بل هو أعظم الفتح، قد رضي المشركون أن يدفعوكم بالبراح عن بلادهم، ويسألوكم القضية، ويرغبوا إليكم في الأمان، وقد رأوا منكم ما كرهوا، وأظفركم الله عليهم، وردكم سالمين مأجورين، فهو أعظم الفتوح، أنسيتم يوم أُحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم في أُخراكم؟ أنسيتم يوم الأحزاب إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا؟ فقال المسلمون: صدق الله ورسوله، والله يا نبي الله ما فكرنا فيما فكرت فيه، ولأنت أعلم بالله وبأوامره منا[٤].

سياق الموقف

تبتني العملية الخطابية الإبلاغية على أثافيها الثلاث التي تختل بتخطيها العملية الخطابية سواء أكانت إنشاءً أم إخباراً لأن التخاطب يعني القصد والقصد يعني إرادة الإيصال وهذه الإرادة القصدية تعتمد ركائز التخاطب الكلامي، وهذه الركائز هي المبدع والمتلقي والنص الإبداعي كما يحلو للدرس الأسلوبي أن يسميه، وليس لنا التضحية بواحد من هذه الركائز الثلاث ما لم نقل بموت المؤلف ليبقى النص والمتلقي ممثلين للعملية الخطابية، ويمثل النص الإبداعي أهم ركيزة من بين أخويه

المتبقيين لأن الخطاب ينعدم بانعدامه ولذا فهو محور التخاطب وآليته الأساس، وهو الذي تتمحور الدراسة اللسانية والأسلوبية عنده لتجد ما يمكن أن يتوصل إليه من مداليل تسهم في فهم النصوص الإبداعية ولاسيما في الخطاب القرآني ذي الخصائص الفردية غير المشاة.

فالدلالة السياقية التي تتيحها الآيات القرآنية تجعلنا نستجدي كل ما من شأنه أن يضع بين أيدينا الفهم المتوخى للنص القرآني بعد توفير كافة القرائن السياقية النحوية، للوصول إلى الدلالة التصديقية كما يسميها علماء الأصول[٥].

وهنا يأتي سياق الموقف كقرينة من قرائن السياق اللغوي للوقوف على مداليل النص القرآني، ونعني بسياق الموقف هو دراسة كل ما يتعلق بأطراف الخطاب النصي كزمان صدور النص ومكانه والظروف التي وراء النص[٦] ودراسة الظروف التي دعت المبدع أو المتكلم إلى إبراز نصه، وتحليل شخصيته على وفق الأحداث النفسية والسياسية والاجتماعية التي اكتنفت شخصية المبدع ذلك؛ لأن النص جزء من مبدعه، فيتعين دراسته من دون أن يُقطع عن صاحب النص؛ لأن النص حاكٍ بالضرورة عن مبدعه، فيدرسُ كل من النصِ وصاحبه باتجاه واحد.

وسياق الموقف في سورة الفتح المباركة يتجلى في الظروف الدينية والسياسية التي عاشتها الأمة الإسلامية والرسول الأكرم ﷺ، كي تأتي هذه الآيات المباركة لتحمل معها البشارة بالنصر وغفران الذنوب (للنبي) ﷺ وإنزال النعمة والإخبار بالمغيبات، إن رؤية النبي ستتحقق بعد صلح الحديبية، وهذا يعني أن ندرس الأسباب والمعطيات التي كانت وراء النزول المبارك لسورة الفتح الشريفة لأن ذلك سيعطينا المفاتيح الدلالية لفهم السياقات النصية لها.

نزلت سورة الفتح في السنة السادسة للهجرة وذلك بعد صلح الحديبية، والحديبية قرية تقع على مقربة من مكة المكرمة ولا تبعد عنها أكثر من عشرين كيلومترًا، والفتح الذي تعنيه السورة المباركة مختلف فيه لدى المفسرين بين فتح مكة، وصلح الحديبية، وانتشار الإسلام وغيرها من الآراء التي قالها المفسرون[٧]، ومهما يكن من أمر يمكن حمل الآراء كلها على معنى الفتح بعد دراسة الملابسات التي كانت وراء نزول السورة المباركة، ويمكن أن تلخص بالآتي:

عزم النبي الكريم ﷺ في السنة السادسة للهجرة على الذهاب إلى العمرة بمعية ألف وأربعمائة من الصحابة بعدما امتنع بعض المهاجرين والأنصار عن الذهاب خوفًا من الموت، ولما وصل بهم إلى الحديبية تهيأت قريش لقتالهم لكنها فوجئت أنّ النبي ﷺ وأصحابه كانوا يرتدون إحرام العمرة، لذا عدلت عن نية القتال، لكنّهم منعوا النبي ﷺ من أن يدخل مكة في هذا العام بعدما وقّعوا معه وثيقة صلح، ليقوم النبي ﷺ على إثرها بحلق شعره الطاهر في الحديبية وينحر هديه، وقد أمر المسلمين أن يفعلوا كما فعل، لكنهم استجابوا لطلبه كارهين أن يعودوا من دون أن يعتمروا ظنًا منهم أن وثيقة الصلح إنما هي امتهان لكرامة المسلمين وأنها خلاف الرؤية التي رآها في المنام، والتي تحكي دخول المسلمين إلى مكة معتمرين، ولذا عادوا إلى المدينة وقلوبهم تمتلئ غيضًا لكن النبي ﷺ

بشّرهم أن فتحًا سيتحقق بعد ذلك، لأن سورة الفتح نزلت عليه وأكّدت ذلك الفتح المبين، وهنا يتجلى الإعجاز الإلهي حين يخبر بالمغيبات عما ستؤول إليه ظروف المسلمين، وأنهم سيكونون أفضل حالًا من قريش حين يدخلون مكة فاتحين بعد سنتين من صلح الحديبية، ولعل اللافت للنظر في سورة الفتح فضلًا عن إخبارها بالمغيبات هو إبقاؤها على معنى الفتح المبين غامضًا بلا بيان له، كما أن السُنّة المطهرة لم تعطِ المعنى الدقيق والجلي للفتح القرآني، وهذا يبدو من أسرار هذه السور المباركة، ولا أعدو الحقيقة والواقع إن قلت إنه كالسر في حقيقة الفتح الحسيني الذي تضمنه خطابه وكتابه الشهير إلى أخيه محمد بن الحنفية بقوله: من لحق بي استشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح[٨]، فليت شعري أي فتح يقصده القرآن الكريم وأي فتح هو المقصود من كلام الحسين عليه السلام.

من السياق النحوي

ينطلق النص القرآني في العملية الإبلاغية من خلال آليات التوظيف القرآني لبيان ما للقرآن من بواعث ومزايا وأساليب بيانية إعجازية لا تقف عند حدود الشكل اللغوي أو المعطى الخطابي، لكننا نجد أنفسنا ملزمين بالوقوف عند حدود آليات الخطاب القرآني في المجال اللغوي كي يُتوصل به إلى المداليل السياقية التي تكشفها تلكم النصوص الإلهية كواحد من مفردات الدرس اللساني الحديث.

ولعل استنطاق النص القرآني سياقيًا نحويًا في سورة الفتح المباركة يُجلي للمتلقي هذه الخصائص والمميزات ذات الفرادة في النص القرآني، فهو نص يأبى القيد الزمني ويتحدى الوقوف الدلالي الواحد لما له من قدرة على التشظي والتطويع لإرادة المتلقي الواعي والمستمع المصغي.

فالسياق القرآني في السورة ذاتها يتوخى توفير وتوظيف كل آليات الفرادة القرآنية ليتمكن النص من هيمنة التخصيب القرآني للشحن التأثيري لدى المتلقي المصغي، وهذا المعنى يبدو جليًا في الصيغ الفعلية المستعملة في سياقاته بكثرة، إذ تظهر فيها ظاهرة العدول أو الانحراف السياقي الزمني عن زمن الصيغ الصرفية كي تلبس بنيتها الصرفية زمنًا نحويًا سياقيًا تركيبيًا يفرضه ويقصده السياق القرآني، لأن النص القرآني لا يخضع للزمن الصرفي الذي قال به النحاة، بل السياق بمعية القرائن النحوية هي التي تحكم الفكرة الزمنية فليس للدلالة الوضعية الإفرادية أن تعطي الصيغة الصرفية الزمن المقرر في النحو المعياري.

فالسورة المباركة تبتدئ بقوله تعالى: (**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**) (سورة الفتح: ١)، أي أن الفتح المقصود من الآية الشريفة لم يقع بعد إن قيل أنه فتح مكة[٩]، والحال أن فتح مكة وقع في السنة الثامنة للهجرة في حين أن السورة نزلت في السنة السادسة للهجرة[١٠]، ومع هذا الاختلاف الزمني جاء الفعل الماضي (فتحنا) معبرًا عن صيغة الزمن الماضي الصرفية التي يدل عليها بالدلالة الوضعية، كي يلبس الصيغة الصرفية الفكرة الزمنية السياقية لما للسياق من الهيمنة على مداليل الصيغ الصرفية وهذا الأمر يتناسب مع الدرس اللغوي الحديث في دراسة ظاهرة التزمين النحوي[١١]، لاسيما أن القرآن الكريم

يستعمل العدول أو الانحراف الزمني حين يتحدث عن وقائع وأحداث ستتحقق في المستقبل لا محالة، فيقع الحديث عنها بالقرآن الكريم بصيغة الفعل الماضي للدلالة على حتمية وقوعها كالإخبار عن تحقق رؤية النبي في فتح مكة، وأن هذا الفتح (أمرٌ لا دافع له، واقعٌ لا رافع له)[١٢].

وما دمنا في الصيغ الفعلية للسورة المباركة أرى أن أشير إلى الصيغة الفعلية الماضوية وهي الفعل (كان) الناسخة، إذ ورد استعمالها في سورة الفتح بشكل متكرر، وكما في الآيات الشريفة:

- **(وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)** (الفتح:٤).
- **(وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)** (الفتح:٧ ، ١٩).
- **(وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)** (الفتح:١٤).
- **(وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا)**(الفتح:٢٤).
- **(وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)**(الفتح:٢٦).

وقد جاءت صيغة الفعل (كان)- أغلب الأحيان- مسندة إلى الذات الإلهية المقدسة، وهنا أود الإشارة إلى مسألة عقائدية مهمة كان الأصوليون قد تناولوها من قبل، وهي إسناد الفعل الماضي (كان) إلى الذات المقدسة، فلو قلنا أن الفعل هنا يدل على الزمن الماضي فينبغي لزامًا عدم اتصاف الذات الإلهية بالعلم والحكمة في قوله تعالى: **(وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)**، وذلك في الزمن الحاضر والمستقبل لأن ماضوية الصيغة الصرفية تمنع هذا الاتصاف في الزمنين المذكورين، ومن هنا وخشية الوقوع بهذا المحذور العقائدي المخيف ذهب الأصوليون[١٣]، وبعض علماء اللغة[١٤]، إلى خلو الفعل (كان) من الدلالة الزمنية حين يسند إلى الذات المقدسة ولا يحمل غير دلالة الاتصاف بالحدث غير المتزمن ولهذا سميت عندهم بـ(كان) الشأنية[١٥]، إذ ليس لها غير شأنية اتصاف الذات الإلهية بالحدث الموصوف بالصفة الدائمة، حين يكون خبر (كان) إحدى صفات الله سبحانه بلا دلالة زمنية البتة، لاسيما مع الرؤية العقائدية التي يتبناها الفكر الديني في كون الذات الإلهية ليست من الوجودات التي تطرأ عليها عوامل الزمكان، لذا يجد الباحث نفسه ملزمًا بقبول فكرة خلو الفعل (كان) من الزمن حين يكون مسندًا إلى الذات المقدسة، لا ما يراه بعض اللغويين في أن الفعل (كان) يدل على الزمن المطلق[١٦] بلا تقييد جهوي ذلك لترفع الذات الإلهية على الفكرة الزمنية مهما امتد أمدها.

وهنا نكتة بلاغية تتعلق بحرف الجر (من) حين يدل على التبعيض وذلك في قوله سبحانه: **(وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)** (الفتح:٢٩)، حيث أرادت الآية تقييد عموم الإطلاق في قوله تعالى: **(وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ)** (الفتح:٢٩)، ممن كان يتظاهر (بظاهر الإيمان إذ كانوا يتظاهرون بما وصف به المؤمنون فجيء هنا بالوعد محرزًا (مخرجًا) منه من كان يتظاهر بالإيمان ويلزق بالمؤمنين وليس منهم، فقيل: **(وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم)** فجيء بقوله منهم ليحرز هذا المعنى الجليل فمن على هذا للتبعيض)[١٧].

الخاتمة ونتائج البحث

بعد الخوض في السياق القرآني لسورة الفتح المباركة يمكن التوصل إلى النتائج الآتية:

١- حملت السورة المباركة الإخبار

والتمهيد لمستقبل الأمة الإسلامية متناغمةً مع الرؤيا التي رآها الرسول الكريم ﷺ في منامه الشريف.

٢- لم ينظر النص القرآني إلى الظرف الآني الذي عاشه المسلمون حينما تحدث عن البشارة الإلهية بل صار ينظر إلى ما سيكون ويتحقق قبل المسلمون بذلك أو لم يقبلوا.

٣- النص القرآني يعتمد السياق بوصفه كبرى القرائن على بيان معاني الألفاظ ودلالاتها.

٤- لا تخضع الظاهرة الزمنية في القرآن الكريم للتقعيد النحوي في تزمين الصيغة الصرفية بل السياق القرآني ألبس الصيغة الزمن القرآني الجديد.

٥- أفقد النص القرآني بالإرادة الاستعمالية الزمن الصرفي لصيغة الفعل (كان) وجعلها تعطي دلالة وصفية بلا مدلول زماني■

---

١) هو عبد الله بن بكير بن أعين بن سنسن الشيباني روى عن الإمام الصادق عليه السلام.

٢) وسائل الشيعة/ الحر العاملي: ٦: ٢٥٥، باب استحباب قراءة سور القرآن سورة سورة، حديث: ٧٨٨٣.

٣) تفسير الثعلبي:١٠: ٣١٨.

٤) النص والاجتهاد / السيد شرف الدين: ١٨١ - ١٨٢.

٥) ينظر: أصول الفقه/ الشيخ محمد رضا المظفر: ١: ٦٤.

٦) ينظر: السياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي/ د. عرفات فيصل المناع:٧ ٨.

٧) ينظر: تفسير الرازي: ٢٨: ٧٧.

٨) ينظر: كامل الزيارات/الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه: ١٥٧، حديث ٢٠.

٩) ينظر: تفسير الرازي: ٢٨: ٧٧.

١٠) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل/ الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٥: ٥٤٢

١١) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه/ د. مهدي المخزومي:١٢٤.

١٢) تفسير الرازي: ٢٨: ٧٧.

١٣) ينظر: المباحث في علم الأصول/محمد حسين القديري: ١: ١١٦.

١٤) ينظر: شرح الكافية/ رضي الدين الإستراباذي: ٤: ١٤٨.

١٥) ينظر: همع الهوامع/السيوطي: ١: ٣٦٩.

١٦) ينظر: في النحو العربي قواعد وتطبيق/ د. مهدي المخزومي:١٣٠.

١٧) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل/أحمد بن إبراهيم الغرناطي:٣٧٦.

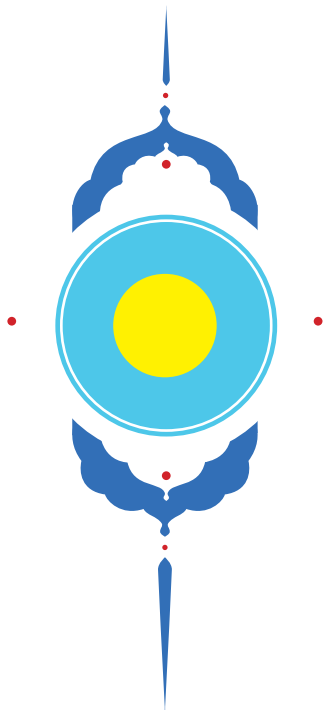

السمات الدلالية في أدعية الإمامين العسكريين عليهما السلام

أ.م.د خليل خلف بشير
جامعة البصرة – كلية الآداب

تمهيد

حثّ الإمامان العسكريان على الدعاء، كغيرهما من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد عاشا عصر حكومات عباسية فاسدة مفسدة، فعن الإمام الهادي عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال الصادق عليه السلام: (ثلاث دعوات يحجبن عن الله عز وجل: منها رجل مؤمن دعا لأخ مؤمن، وأساء فينا، ودعاؤه عليه إذا لم يواسه مع القدرة عليه واضطرار أخيه إليه)[1]، وعن أبي محمد العسكري عليه السلام: (ارفع المسألة ما وجدت التحمل يمكنك، فإن لكل يوم رزقًا جديدًا، واعلم أن الالحاح في المطالب يسلب البهاء، ويورث التعب والعناء، فاصبر حتى يفتح الله لك بابًا يسهل الدخول فيه. فيما أقرب الصنع من الملهوف والأمن من الهارب المخوف، فربما كانت الغير نوعًا من أدب الله، والحظوظ مراتب، فلا تعجل على ثمرة لم تدرك، فإنما تنالها في أوانها ...)[2].

على أنّ أدعيتهما تعدّ صفحة مشرقة من صفحات التراث الإنساني، وذخيرة فذّة من ذخائر المسلمين، فهي من حيث الصياغة والبلاغة آية من آيات الأدب الرفيع، ومن حيث المضمون فيها خلاصة المعارف الدينية، وهي من أرقى المناهل في الإلهيات والأخلاق، ووسيلة لنشر تعاليم القرآن وآداب الإسلام وبيان أدقّ أسرار التوحيد والنبوة والمعاد وغيرها من المضامين التي يترتب عليها آثار واضحة في تعليم الناس وروحية الدين والزهد والأخلاق.

وإذا تفحصنا جملة الدعاء عند الإمامين وجدناها في الغالب تبتدئ بـ (اللهم) أو (إلهي)، وهما صيغتان دأب الإمامان العسكريان عليهما السلام على التمثل بهما في أدعيتهما لكونهما تمثلان صورة التعبير عن التعظيم والتفخيم في مدحه عزّ وجلّ، وقد أحدث تواجدهما نوعاً من التوازن في الدعاء عموماً؛ لأن تكرارهما يشد الداعي ويؤجّج فيه ثورة من العواطف والأحاسيس العارمة التي تحدث التلاحم بين الداعي والمدعو، ويبدو أن افتتاح الدعاء بكلمة (اللهم) أو كلمة (إلهي) يعد إعلاناً للتبعية، وإيذاناً سرمدياً بالحاجة الملحة التي تتخذ من العلاقة بين (اللّه والإنسان)، وهي بمثابة انطلاقة روحية تستفرغ جهداً في السلوك المستقيم[٣]، وأمثلة ذلك كثيرة، منها قول الإمام الهادي عليه السلام في دعاء له: (اللهم اكشف العذاب عن المؤمنين، وابعثه جهرة على الظالمين، اللهم اكفف العذاب عن المستجيرين، واصبه على المغترين، اللهم بادر عصبة الحق بالعون، وبادر أعوان الظلم بالقصم، اللهم أسعدنا بالشكر، وامنحنا النصر، وأعذنا من سوء البداء، والعاقبة والختر)[٤]، ولعل العلاقة بين الأمر والدعاء تتلخص بتقييد فعل الأمر بخروجه من الحقيقة إلى المجاز، وإطلاقه على وجه التضرع، وسر بلاغة التعبير بالأمر في مقام الدعاء إظهار كمال الخضوع للّه وبيان شدة رغبة العبد في كشف العذاب عن المؤمنين والمستجيرين، وقصره على سبيل الجهر على الظالمين والمغترين، والمبادرة لعون جماعة الحق، وقصم جماعة الظلم فتكون النتيجة النصر والشكر على النعم والاستعاذة من سوء البداء والعاقبة والغدر، وقد بدا التضاد جلياً بين طرفي الدعاء الموجه إلى اللّه تعالى بفعلي الأمر (اكشف وابعث) وفي (اكشف العذاب عن المؤمنين وابعثه جهرة على الظالمين)، وكذا في (اكفف واصبب)، (اكفف العذاب عن المستجيرين واصببه على المغترين).

ومن السمات الدلالية لأدعية الإمامين العسكريين عليهما السلام اقتباسهما من آي التنزيل العزيز، وهذا يدل على تأثرهما بأسلوب القرآن الكريم حتى تكاد تكون اقتباساتهما القرآنية نصية أي مباشرة وملتحمة مع النص وكأنها من نص الإمامين، وهذا يدل على اتكاء بنية الدعاء المضمونية على معطيات القرآن الكريم، بوصفه مرجعية على جميع المستويات الشكلية والدلالية؛ لأن النص الإلهي هو المربي والمهيمن على ما دونه من النصوص، وإذ يستضيف دعاء المعصوم النص القرآني فإنما يستنطق وظيفة ترجمته للقرآن بلوغًا بنصه الدعائي مخ العبادة في التعالي النصي، ويدخل النص القرآني المقتبس قيمة فاعلة في تحقيق مطلب الداعي، ولاسيما إذا كان اسمًا من الأسماء الإلهية له وجود نصي مستقل مثل سورة الإخلاص التي تعرف بها صفة الحق (عز وجل)، وتسمى سورة الأساس لاشتمالها على أصول الدين، وتعدل قراءتها قراءة ثلث القرآن الكريم

لذلك يأتي المعصوم بها أو ببعضها في لُحمة الدعاء توخيًا للقبول، ومَظِنّة للإجابة [٥]. ففي دعاء الإمام الحسن العسكري عليه السلام عقب الصلاة ورد: (أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الوتر الفرد الأحد الصمد الذي (**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**) (الإخلاص:٤))[٦]،وكذا دعاء الإمام الهادي عليه السلام في قوله: (اللهم وإني مؤمن بسره وعلانيته وسر أهل بيته، الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرا، وعلانيتهم، اللهم فصل على محمد وآله ولا تقطع بيني وبينهم في الدنيا والآخرة، واجعل عملي بهم متقبلًا، اللهم دللت عبادك على نفسك فقلت تباركت وتعاليت:(**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**)(البقرة:١٨٦)، وقلت: (**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**) (الزمر:٥٣)، وقلت: (**وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ**) (الصافات:٧٥) أجل رب نعم المدعو أنت، ونعم الرب، ونعم المجيب، وقلت: (**قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**) (الاسراء:١١٠)، وأنا أدعوك اللهم بأسمائك الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم، وأسألك بأسمائك التي إذا دعيت بها أجبت، وإذا سئلت بها أعطيت، أدعوك متضرعًا إليك مسكينًا دعاء من أسلمته الغفلة وأجهدته الحاجة...)[٧]، والملاحظ في النص التركيز على الآيات التي حثّ فيها الله تعالى على الدعاء فضلاً عن الدعاء بأسماء الله الحسنى التي تمثّل مفاتيح دلالية تعمل على استقطاب المفردات المناسبة وبوحيها يجري تشكيل الخطاب في ضوء المشاعر والانفعالات، ويحقق العبد التواصل الذي يرجوه مع الحق سبحانه فالنص القرآني حاضر ومتجلٍ في الدعاء لتكون الحجة قوية وواضحة لا غبار عليها ولاسيما أن القرآن كتاب (**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**) (فصلت:٤٢)، وهذا يدل على أنّ الدعاء جزء لا يتجزأ من القرآن وما أكثر الأدعية التي جاءت في القرآن على لسان الأنبياء عليهم السلام فضلاً عن أدعية المؤمنين، والملائكة، والكفار، وإبليس (لعنه الله)[٨].

ومن السمات الدلالية الأخرى التكرار إذ يوظف الإمامان العسكريان عليهما السلام في كل مقطع من مقاطع بعض أدعيتهما جملة تتكرر في بداية كل مقطع، وهي جملة (اللهم صل على محمد وآل محمد)، ويبدو أن هذه الجملة تحتل مساحة واسعة جداً من أدعية أهل البيت عليهم السلام اشتهرت بها شهرة عظيمة، لكونها مفتاحاً لقبول الدعوات، وفك أسرار استجابة الدعاء فكل دعاء لا تُرفع منه الحجب إلا بالصلاة على محمد وآل محمد، ثم إنّ علاقة الصلاة على محمد وآله لا تنحصر في الابتداء بها، وإنما تشمل الانتهاء بها أيضاً ثم إنّ الدعاء بالصلاة على محمد وآله موجب لاستحقاق المصلي صلاة ربانية ملائكية عليه، بل ويُضاعف له ذلك، وقد ورد في أحاديثهم تركيز وتأكيد كبيران على هذه الصلوات، والسبب واضح هو أن الله تعالى يريد أن يجعل من الدعاء (وسيلة لارتباط المسلمين بأولياء أمورهم واعتصامهم بحبل الولاء الذي جعله الله عصمة للمسلمين، والصلوات من أهم أسباب هذا الارتباط النفسي فإن حلقات الولاء ممتدة بين الله تعالى وعباده، وولاء الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته من أهم هذه الصفات)[٩]،

كما في دعاء الإمام العسكري عليه السلام: (اللهم صل على محمد كما حمل وحيك وبلغ رسالاتك، وصل على محمد كما أحلّ حلالك، وحرّم حرامك، وعلّم كتابك، وصل على محمد كما أقام الصلاة، وآتى الزكاة، ودعا إلى دينك، وصل على محمد كما صدق بوعدك، وأشفق من وعيدك، وصل على محمد كما غفرت به الذنوب، وسترت به العيوب، وفرجت به الكروب، وصل على محمد كما دفعت به الشقاء، وكشفت به الغماء، وأجبت به الدعاء، ونجيت به من البلاء، وصل على محمد كما رحمت به العباد، وأحييت به البلاد، وقصمت به الجبابرة، وأهلكت به الفراعنة، وصل على محمد كما أضعفت به الأموال وأحرزت به من الأهوال، وكسرت به الأصنام، ورحمت به الأنام، وصل على محمد كما بعثته بخير الأديان، وأعززت به الأيمان، وتبرت به الأوثان، وعظمت به البيت الحرام، وصل على محمد وأهل بيته الطاهرين الأخيار وسلم تسليما)[10] فقد تكرر ذكر الصلاة على محمد وآل محمد مع كل عمل قام به الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من حمل الوحي وتبليغ الرسالة، وإحلال الحلال وتحريم الحرام، وتعليم الكتاب، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والدعوة إلى الدين، وصدق الوعد والإشفاق من الوعيد، وبسببه تغفر الذنوب وتُستر العيوب وتُفرج الكروب، ويُدفع به الشقاء ويُكشف به الغم ويجاب الدعاء ويُنجى من البلاء، ويُرحم به العباد ويحيى العباد، وتقصم به الجبابرة وتُهلك الفراعنة، وتُضعف به الأموال وتُحرز الأهوال، وتُكسر الأصنام وتُرحم الأنام ...، ويلاحظ على هذا الدعاء المشحون بعنصر التكرار العنصر الإيقاعي؛ لأنّ الدعاء شكل معدّ للتلاوة فحريّ به أن يتسم بوجود عنصر إيقاعي متمثل بالتجنيس والسجع ونحوهما؛ لذا نجد الأدعية مشحونة بالإيقاع بنحو لافت النظر فإذا ما استخدم الإيقاع بصورة صحيحة فإنه سيضفي جمالاً آخر يجمع بين جمال المعنى وجمال الإيقاع، وتتوقف قوة استخدام العنصر الإيقاعي على قدرة المتكلم على التحكم بالحروف والكلمات.

ولعل من آداب الدعاء الابتداء بالمدح والتسبيح والحمد والشكر للخالق. من ذلك دعاء الإمام الهادي عليه السلام عند الشدائد في قوله: (اللهم لك الحمد حمدًا يكون أحق الحمد بك وأرضى الحمد لك وأوجب الحمد بك وأحب الحمد إليك، ولك الحمد كما أنت أهله وكما رضيت لنفسك وكما حمدك من رضيت حمده من جميع خلقك، ولك الحمد كما حمدك به جميع أنبيائك ورسلك وملائكتك وكما ينبغي لعزك وكبريائك وعظمتك، ولك الحمد حمدا تكل الألسن عن صفته ويقف القول عن منتهاه، ولك الحمد حمدا لا يقصر عن رضاك ولا يفضله شئ من محامدك، اللهم لك الحمد في السراء والضراء والشدة والرخاء والعافية والبلاء والسنين والدهور، ولك الحمد على آلائك ونعمائك علي وعندي وعلى ما أوليتني وأبليتني وعافيتني ورزقتني وأعطيتني وفضلتني وشرفتني وكرمتني وهديتني لدينك حمدا لا يبلغه وصف واصف ولا يدركه قول قائل ...)[11]، ويبدو الإكثار من الحمد لله بمثابة اعتراف بالوحدانية وتحقيق للانقطاع التام إليه تعالى دون ما سواه، ومفاتيح لقبول الدعاء، قال الإمام الصادق عليه السلام: (إذا طلب أحدكم الحاجة فليثن على ربه وليمدحه فإن الرجل

منكم إذا طلب الحاجة من سلطان هيأ له من الكلام أحسن ما يقدر عليه، فإذا طلبتم الحاجة فمجدوا الله العزيز الجبار وامدحوه واثنوا عليه...)[١٢]؛ لذا نجد الإمام عليه السلام قد نوّع فيه فمنه (أحق الحمد، وأرضى الحمد، وأوجب الحمد، وأحب الحمد،... وحمد السراء والضراء والشدة والرخاء والعافية والبلاء والسنين والدهور، وحمد الآلاء والنعماء على الإيلاء والإبلاء والعافية والرزق والعطية والفضل والشرف والكرامة والهدية) كما زاوج الإمام عليه السلام بين الثنائيات الضدية (حمد السراء والضراء والشدة والرخاء والعافية والبلاء والسنين والدهور) والثنائيات المترادفة (الآلاء والنعماء على الإيلاء والإبلاء والعافية والرزق والعطية والفضل والشرف والكرامة والهدية)، ولا يخفى ما أحدثته هذه الثنائيات الضدية والثنائيات المترادفة من إيقاع وانسجام صوتي متبادل بواسطة السجع غير المتكلف في الصياغة الذي أتى على السليقة والبديهة، وما يؤديه هذا السجع من إيقاع منتظم، وهو سمة مميزة للدعاء، ولعل السر الفني وراء ذلك يكمن في طبيعة عنصر التلاوة التي يمتاز بها الدعاء عن غيره فالدعاء لا يُسمع ولا يُقرأ فحسب بل يُتلى فالتلاوة تتطلب إيقاعاً متناسباً مع وحداته الصوتية التي تنتظم في السجع أو التجانس اللفظي[١٣].

ويلاحظ اصطفاف الألفاظ في بعض أدعية الإمامين عليهما السلام وكأنهما صنفا الألفاظ في مجالات دلالية يرتبط بعضها ببعض حتى نستطيع أن نصنع في كل مجال مجموعة من الألفاظ المتقاربة في ما أطلق عليه بالمجالات الدلالية أو الحقول الدلالية ففي دعاء الإمام الهادي عليه السلام السابق نجد المجالات:

١- أحق الحمد، أرضى الحمد، أوجب الحمد، أحب الحمد.

٢- آلائك، نعمائك.

٣- أوليتني، أبليتني، عافيتني، رزقتني، أعطيتني، فضلتني، شرفتني، كرمتني، هديتني.

وكذا في دعاء الإمام العسكري عليه السلام المتقدم: (... وصل على محمد كما دفعت به الشقاء، وكشفت به الغماء، وأجبت به الدعاء، ونجيت به من البلاء، وصل على محمد كما رحمت به العباد، وأحييت به البلاد، وقصمت به الجبابرة، وأهلكت به الفراعنة، وصل على محمد كما أضعفت به الأموال وأحرزت به من الأهوال، وكسرت به الأصنام، ورحمت به الأنام، وصل على محمد كما بعثته بخير الأديان، وأعززت به الأيمان، وتبرت به الأوثان، وعظمت به البيت الحرام، وصل على محمد وأهل بيته الطاهرين الأخيار وسلم تسليماً)[١٤]. نقرأ فيه:

١- دفعت به الشقاء، كشفت به الغماء، أجبت به الدعاء، نجيت به من البلاء.

٢- رحمت به العباد، وأحييت به البلاد.

٣- قصمت به الجبابرة، أهلكت به الفراعنة.

٤- أضعفت به الأموال وأحرزت به من الأهوال، وكسرت به الأصنام.

٥- بعثته بخير الأديان، وأعززت به الأيمان، وتبرت به الأوثان، وعظمت به البيت الحرام.

ومن السمات الدلالية الأخرى في أدعية الإمامين عليهما السلام استعمالهما المحسنات البديعية، ومن تلك المحسنات الجناس، وهو تماثل الكلمات لفظاً واختلافها معنى (وهو من الحلي اللفظية والألوان البديعية التي لها تأثير بليغ، تجذب السامع، وتحدث في نفسه ميلاً إلى الإصغاء والتلذذ

بنغمته العذبة...)[15]، والجناس على أنواع، والناظر في أدعية الإمامين العسكريين عليهما السلام يجد بوضوح جناس الاشتقاق - الذي يعني اشتراك لفظتين على جهة الاشتقاق - لبعث الأمن والطمأنينة في نفس الداعي حينما يكون في رحاب المدعو الرحمن الرحيم، الغفور الودود كما ورد ذلك في

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام لشيعته: اتقوا الله وكونوا زينا ولا تكونوا شينا، جروا إلينا كل مودة، وادفعوا عنا كل قبيح، فإنه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك، لنا حق في كتاب الله، وقرابة من رسول الله، وتطهير من الله لا يدعيه أحد غيرنا إلا كذاب.

بحار الأنوار ٧٥ : ٣٧٢ ، ح ١٢ .

دعاء الإمام العسكري: (يا أسمع السامعين، ويا أبصر المبصرين، يا عز الناظرين، ويا أسرع الحاسبين، ويا أرحم الراحمين، ويا أحكم الحاكمين، صل على محمد وآل محمد، وأوسع لي في رزقي، ومد لي في عمري، وامنن عليّ برحمتك ،واجعلني ممن تنتصر به لدينك، ولا تستبدل بي غيري)[16]، فالثناء على الله تعالى بوساطة جناس الاشتقاق (أسمع السامعين، وأبصر الناظرين، وأسرع الحاسبين، وأرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين) اعتراف بالوحدانية للمنعم الأول، وتحقيق للانقطاع التام له تعالى، وهو أدب من آداب الدعاء أن يثني على المنعم الحقيقي الذي فاق ويفوق السامعين والناظرين والحاسبين والراحمين والحاكمين ثم يصلي على النبي ثم يشرع في طلب حوائجه ليكون ذلك مدعاة لقبول الدعوات■

---

١) وسائل الشيعة (آل البيت)/ الحر العاملي ١٠٩/٧.
٢) عدة الداعي ونجاح الساعي/ ابن فهد الحلي ١٢٥.
٣) ينظر: أدعية الإمام علي عليه السلام – دراسة تحليلية، د.مريم عبد الحسين، وحيدر ومحمود، بحوث المؤتمر العلمي الدولي الأول لـ (نهج البلاغة) الموسوم، نهج البلاغة سراج الفكر وسحر البيان – ج٥ ، ص ٩٦.
٤) مهج الدعوات/السيد ابن طاووس/ص٦١.
٥) ينظر: البناء الأسلوبي في أدعية الأئمة المعصومين عليهم السلام، رسالة ماجستير، أحمد محمد أحمد، جامعة البصرة،٢٠١٠، ص ٢٩٩-٣٠٠.
٦) جمال الأسبوع/السيد ابن طاووس/ص١٨٠.
٧) مصباح المتهجد / الشيخ الطوسي/ص ٣٤٤.
٨) ينظر نماذج من هذه الأدعية كتاب: الدعاء – المعاني والصيغ والأنواع (دراسة قرآنية)/ د.محمد محمود عبود زوين ١٠١-١٣٦.
٩) الدعاء عند أهل البيت / الشيخ محمد مهدي الآصفي ١٥٤.
١٠) مصباح المتهجد/الشيخ الطوسي/ص ٣٩٩.
١١) المصدر نفسه ٣٤٣.
١٢) عدة الداعي ونجاح الساعي ١٤٩.
١٣) ينظر: الإسلام والفن /د.محمود البستاني ١٧٥.
١٤) مصباح المتهجد ٣٩٩.
١٥) البديع في ضوء أساليب القرآن/ د.عبد الفتاح لاشين ١٥٥.
١٦) بحار الأنوار ٢٩٨/٥٠.

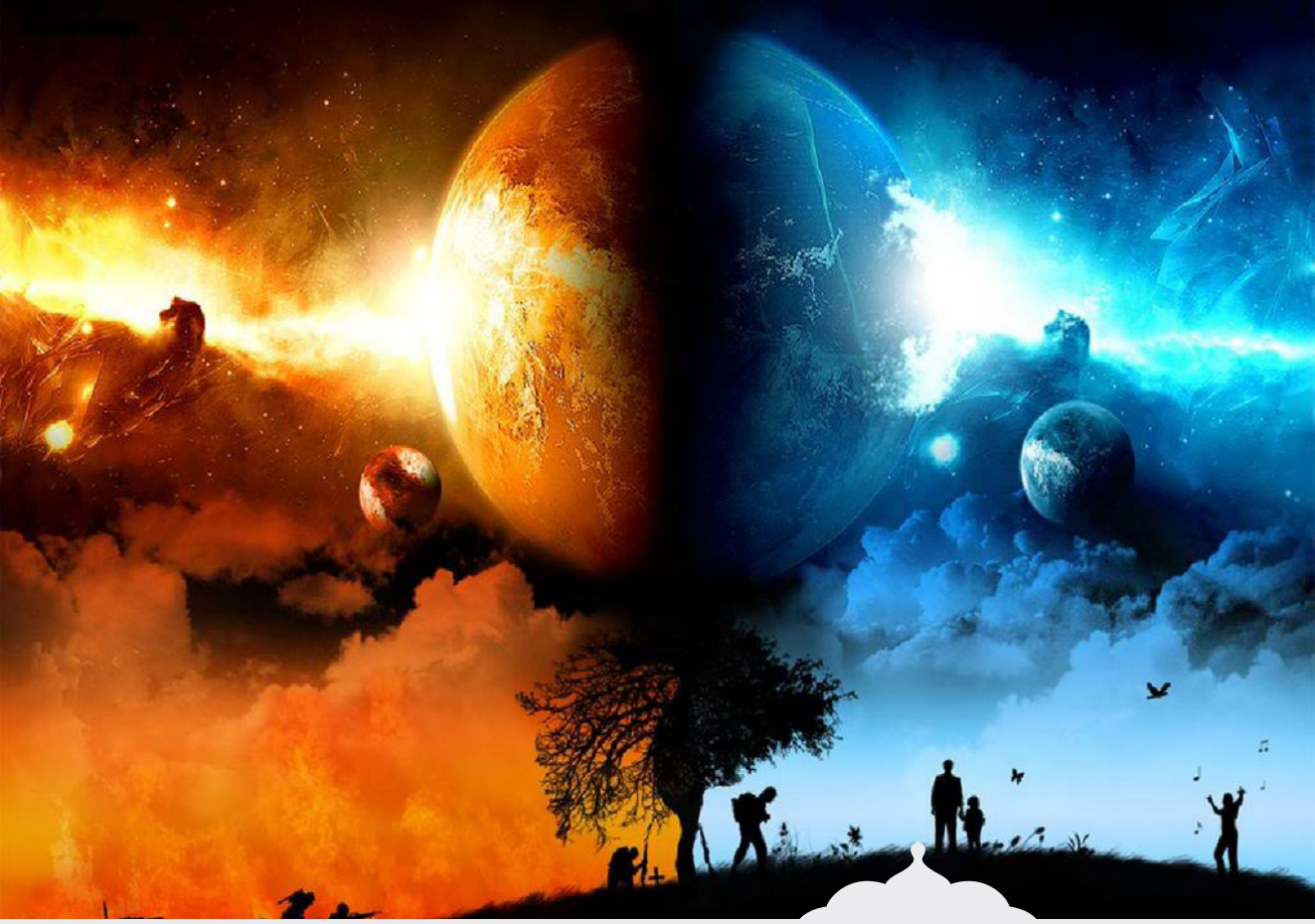

آمن الرسول

الصراع الأزلي بين الحق والباطل

د. أحمد جاسم الخيال

بداية من الحقائق الناصعة في تأريخ البشرية هو الصراع الأزلي بين الحق والباطل،... بين من بعثهم الله عزوجل لهداية البشرية وهم الأنبياء عليهم السلام، وبين معارضيهم والكافرين بنبوتهم،... بين أوصياء الله والصالحين وبين المتجبرين والمتكبرين بغير الحق.

وتتمثل دعوتهم جميعاً بتوحيد الله عزوجل، والإيمان به بحسب ما هو مركوز في فطرتهم، ورفض كل دعاوى الشرك والوثنية. وأيضاً بناء مجتمع مؤمن تحكمه تعاليم السماء دون ما هو سارٍ بين البشر من تقاليد وأعراف ونظم ابتدعوها ليسيسوا الناس بها.

وكان من الطبيعي أن يُواجه الأنبياء عليهم السلام بالرفض والمقاومة، ومن هذه المنطقة بالذات ينشأ الصراع بين المثال الإلهي (الرؤية الإلهية لكيفية الحياة على الأرض) وبين الطواغيت والظلمة الذين يريدون أن

يحكموا الناس بالقوة.

الصراع... رؤية عامة:

إن للتجربة أهميتها، فمن خلالها نستطيع أن نميز بين الصواب والخطأ، لكن من الغريب أن يندفع الإنسان بتجاربه إلى مستوى قيادة الحياة على الأرض، متغافلاً الإمداد الغيبي والمعارف الإلهية التي أوحاها الله عزوجل لأنبيائه، هداية منه، ورشداً لبني الإنسان.

فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وجعله خليفة في الأرض ليشكره ويعبده، ويؤكد ذلك قوله تعالى: (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**) (الذاريات:٥٦)، ولم تكن هذه العبادة التي فرضها الله عزوجل على البشر من اختيار الإنسان نفسه، إنما أنعم الله عزوجل عليه، فهو أعرف بحاله وبما يصلحه.

فالتعاليم السماوية هبطت متزامنة مع هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض ليأخذ بهديها ورشدها، ودليل ذلك قوله سبحانه وتعالى: (**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا**) (البقرة: ٣١).

واستمرت هذه التعاليم بالنزول من السماء إلى الأرض في مسيرة البشرية الطويلة، فنزلت الألواح ونزل الزبور ونزلت التوراة ونزل الإنجيل ونزل القرآن الكريم. كل ذلك لأجل أن لا يفقد الإنسان وجوده، وأن لا يخرج عن المراد منه والمخلوق لأجله، وأن لا يفقد ارتباطه بخالقه ومدبّر شؤونه.

وكان في مقابل ذلك أن جعل الله الإنسان مخيّراً في أفعاله ومسؤولاً عنها. فلم يترك الله عزوجل الإنسان على وجه الأرض دون دليل يقوده لأجل العودة إلى السماء. فالأنبياء والأولياء عليهم السلام والتعاليم الحقّة التي أرشدوا إليها كانت كافية للخلاص.

ولكن على الرغم من ذلك، أراد الإنسان أن يكون له رأي وحكم في مقابل إرادة الله عزوجل، وأراد أن تكون له تجاربه الخاصة في مقابل دعوة الأنبياء عليهم السلام لتحقيق الأطروحة الإلهية وحكم الله في الأرض، وكان ذلك بدافع قوّة العقل وحرية الاختيار، وهما من منح الله عزوجل إليه.

إن إرادة الله سبحانه وتعالى غالبة وفوق كل شيء، وهو ذو القدرة التامة، ولا يعجزه شيء لا في السماوات ولا في الأرض، لكن أراد لغاية أن يكون الإنسان مختاراً في فعله، وألهمه في الوقت نفسه إرادتين، إرادة الخير وإرادة الشر، قال تعالى: (**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**) (الشمس: ٧-٨)، ولم يتركه دون هدى، إنما رسم له منهاجاً للفوز والنجاة، ولم يكن هذا المنهاج متوقفاً على مرحلة معينة من تاريخ الإنسانية، فكان لكل مرحلة نبي، يبلغ عن الله عزوجل تعاليمه وما من شأنه الإصلاح، ومثال ذلك أن آدم عليه السلام، أبو البشر، وأول من خلق الله عزوجل من الإنس كان نبياً، وتعلّم الأحكام مباشرة عن الله عزوجل، فهو في مرحلة متقدمة من الفكر والعلم، وقد أرشد أبناءه إلى ما أرشده الله عزوجل حتى لا يضيع الإنسان في خضم الحياة.

هذه نقطة البداية في المسيرة البشرية الطويلة بعدها حدث الانحراف، لابتعاد الإنسان نفسه عن التعاليم السماوية بمحاولته وضع بديل عنها وبما يناسب هواه. فوضع الأنظمة والقوانين، وابتدع العقائد الزائفة من عبادة الثور والأصنام والملوك.

وكان الإنسان كلما ابتعد عن فطرته بعث الله نبياً ليصحح أخطاءه، ويدعوه إلى الرجوع إليه، ونتيجة لذلك حدث الصراع

بين قوى الخير وبين قوى الشر، بين الأنبياء وأتباعهم وبين الجبابرة والمتسلطين، بين إرادة الله وأهواء الفاسدين.

فالأنبياء وأولهم آدم عليه السلام كانوا في مستوى التكليف الإلهي لإبلاغ رسالته، فلم يكن الإنسان بدائياً لا يفهم ولا يفقه شيئاً، كما أراد التاريخ أن يثبت ذلك، إنما هو نبي، وعلّمه الله عزوجل كل ما يحتاجه، فهو في أعلى درجة من الفكر والصفاء، وبعده حدث التدني الفكري والانحراف فبدأ الصراع.

إن تاريخ هذا الصراع هو نفسه تاريخ الحياة على الأرض، وقد تناوله القرآن الكريم في مواضع لا يمكن حصرها، وقد مثلت هذه المواضع ثلثاً كاملاً من القرآن الكريم، وهذا يؤكد أهمية هذا الصراع، وأهمية الوعي به وإدراكه ومعرفة حدوده وأبعاده وتأثيره على مستقبل الإنسان وتحديد مصيره في الحياة الأخرى. قال تعالى: (**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ * فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاء يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءلُونَ**) (القصص:٦٥-٦٦).

صراع الأنبياء:

إن زمن هذا الصراع طويل نسبياً، ويمتد من لحظة نزول آدم عليه السلام إلى الأرض، وينتهي في سنة وفاة النبي صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء والمرسلين، وإن عدد الأنبياء يكاد يصل إلى مائة وأربعة وعشرين ألف نبي حسب ما جاء في الروايات، ويؤشر مدى اهتمامهم عليهم السلام وحرصهم على إنقاذ البشر من الضلال، ومحاولة إرجاعهم إلى دين الفطرة وعبادة الواحد الأحد. إذ كان همّ الأنبياء عليهم السلام واحداً، وهدفهم لا يخرج عن الدعوة إلى توحيد الله عزوجل، رغم اختلاف الأمم التي بعثوا إليها، وتباين الأشخاص الذين حدثت معهم المواجهة، وتباين أهدافهم ونواياهم.

وهذه مسألة مهمة، تُبين تكامل الأنبياء، وإن أحدهم يكمّل الآخر لأجل إنقاذ البشرية من الضلالة والانحراف والاختلاف، وإن اختلاف نوايا أعدائهم وتعدد أهدافهم يبين لنا أن ما يحركهم دوافع مختلفة باختلاف الزمان والأمم.

إن الأفكار والأهداف والشعارات تتضارب عند أعداء الأنبياء عليهم السلام لكن عند الأنبياء تجدها واحدة، لأنهم جميعاً على خط واحد.

فالأنبياء عليهم السلام جميعاً كانوا يدعون إلى تحقيق المثال الإلهي للحياة على الأرض، وأن تعبد الناس الله ولا تشرك به أحداً، وتأخذ الأحكام وما يدير شؤونها من السماء بواسطة النبي صلى الله عليه وآله، وبذا يعمّ الخير وجه الأرض وتغمر السعادة نفوس الناس جميعًا.

إلّا أن أعداء الأنبياء، أعداء الإنسانية في مسيرتها الطويلة، أصحاب النفوس المريضة والأهداف الدنيوية الضيقة، كانوا يقفون دائماً في وجه الأنبياء، محاولين تعطيل دورهم، وإبعاد الناس عنهم.

وقد أخبرنا القرآن الكريم عن هذه المواجهة في أكثر من موضع، وأخبرنا عما لاقاه الأنبياء عليهم السلام في سبيل إرجاع الناس إلى الفطرة وعبادة الله عزوجل وتوحيده، وما تحمّلوه من أذى في سبيل تحقيق المثال الإلهي.

ومن الأنبياء الذين أخبرنا عنهم عزوجل، النبي نوح عليه السلام، فقد دعا الناس ليلاً ونهارًا ليؤمنوا بالله سبحانه وتعالى، إلّا أنهم كانوا لا يسمعونه بسبب استكبارهم. قال الله عزوجل على لسانه: (**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا**

فِرَاراً * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً)(نوح: ٥-٧). نلاحظ في هذه الآيات شكوى النبي نوح عليه السلام من قومه، الذين أصرّوا على الكفر بالله العظيم، وعدم الإيمان به وبدعوته، على الرغم من أن النبي نوحًا عليه السلام قد صوّر لهم الحياة الكريمة إن هم تابوا وآمنوا بالله عزوجل، فقد صوّر لهم المثال الإلهي لكيفية حياتهم بعد توبتهم ورجوعهم إلى الله عزوجل، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: (**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً**) (نوح:١٠-١٢).

لقد وعدهم النبي نوح عليه السلام بحياة كريمة وعزيزة، وأغراهم بكل ما من شأنه أن يجعل حياتهم مرفّهة ووعدهم بالأموال والبنين والجنات والأنهار إن هم آمنوا بالله عزوجل.

إلا أن قومه لم يؤمنوا به، ولم يؤمنوا بما دعاهم إليه، واتبعوا أهل الضلال أصحاب الأموال والأولاد وعبدة الأصنام. فكانت عبادة الأصنام ظاهرة في ذلك الوقت، فاستغلّها أعداء الأنبياء ليميلوا بالناس عن اتّباع الحق، ليكونوا أنداداً لدعوة الأنبياء وبعيدين عن إدراك مستوى المثال الإلهي. وقد وضح الله سبحانه وتعالى ذلك في قوله: (**قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً * وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً**) (نوح: ٢١-٢٣).

تجد النبي نوحًا عليه السلام في هذه الآيات الكريمة يصور نهاية الصراع بينه وبين الكفار بعد أن حصل له اليقين بعدم استجابتهم لدعوته، فهم عاكفون على عبادة الأصنام التي صوروها، وهي أسماء قوم صالحين بين آدم ونوح عليه السلام، فلما ماتوا صوروهم ليقتدوا بهم ثم عبدوهم[1]. وهذه الأسماء الخمسة التي أصبحت أصناماً وهي (ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر)، وكانت تمثل المقابل للمثال الإلهي عند قوم نوح، وقد اخترعها الرؤساء أصحاب الأموال والأولاد ليسيطروا بها على الناس ويحكمونهم.

لذا عندما استشعر النبي نوح عليه السلام اليأس من قومه دعا عليهم بالهلاك، فاستجاب الله عزوجل دعوته وأغرق الكفار في الطوفان العظيم ونجا من معه من المؤمنين، وخلت الأرض من أصحاب العقائد المنحرفة.

وذكر ذلك الله عزوجل في كتابه الكريم على لسان النبي نوح عليه السلام، قال تعالى: (**وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً * رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً**)(نوح:٢٦-٢٨).

وتحقق المثال الإلهي في حقبة ما بعد الطوفان، وكان ذلك بمساعدة إلهية إذ أهلك الله تعالى الكفار بالغرق وقطع جذورهم، ويدل على ذلك قول إبليس نفسه، والذي يعد من المنظور العقائدي هو الموجد الحقيقي لكل التجارب البشرية الفاسدة والتي وقفت على الضد من تحقيق المثال الإلهي على وجه الأرض. فعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: (لما دعا نوح عليه السلام ربه عزوجل على قومه، أتاه إبليس (لع) فقال: يا نوح إن لك عندي يداً أريد أن أكافيك عليها، فقال نوح عليه السلام: والله إني لبغيض إلي أن يكون لك عندي يد، فما هي؟ قال: بل

دعوت الله على قومك فأغرقتهم فلم يبق أحد أغويه، فأنا مستريح حتى ينشأ قرن آخر فأغويهم، فقال نوح عليه السلام: ما الذي تريد أن تكافئني به؟ قال له: اذكرني في ثلاث مواطن فإني أقرب ما أكون إلى العبد إذا كان في أحداهن: اذكرني إذا غضبت، واذكرني إذا حكمت بين اثنين، واذكرني إذا كنت مع امرأة خالياً ليس معكما أحد[٢].

هذه الرواية تصور واقع الصراع بين الأنبياء وأتباعهم وبين إبليس ومن أضلهم، وتصور الحقيقة المرة في نتائج هذا الصراع، ففضلاً عن أن الكثير من الناس يفشلون في الاختبار ويحل غضب الله عزوجل عليهم، فإنه في الوقت نفسه يؤجل تحقيق المثال الإلهي للحياة على الأرض، فانزواء إبليس يشبه استراحة المحارب حتى ينشأ قرن آخر.

لا يمكن لي في هذه المساحة الضيقة ـ وهو بحث معدود الصفحات ـ أن أتناول بالذكر صراع جميع الأنبياء، فجميعهم عليهم السلام كانوا في مستوى المثال الإلهي، ولأجل هذا دخلوا في صراع مع قوى الكفر والظلام، وحاولوا بما أُوتوا من قوة وقدرة تصحيح الانحراف الذي مرت به البشرية، وقدموا كل في زمنه مثالاً للإخلاص، ومثالاً للدفاع عن عقيدة التوحيد وحرصاً شديداً من أجل إقامة حكم الله في الأرض.

ومن بعد نوح عليه السلام أتطرق إلى ما مر به النبي موسى عليه السلام وهو في مواجهة فرعون الذي نصب نفسه رباً للناس، فقد أمر الله سبحانه وتعالى النبي موسى عليه السلام بعد أن منحه وسام النبوة، وقال له: (**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**) (طه: ٢٤)، وبعد أن شعر موسى عليه السلام بصعوبة المهمة ـ لمعرفته شدة بطش الفراعنة، وأنهم كانوا طغاة ولا يأتمرون لأحد ـ طلب من الله عزوجل، أن يشرك أخاه هارون في أداء المهمة، كما جاء في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: (**وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**)[١٤]. فاستجاب الله عزوجل لدعائه وخاطبه مع أخيه هارون عليه السلام في موضع آخر، قال تعالى: (**اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**) (طه:٢٩-٣٢).

وهذه الآيات تؤكد أن الله عزوجل كان لا يهمل الانحرافات التي تواجه المسيرة البشرية، وإنما كان دائماً يبعث نبياً ليواجهها، ويحاول تصحيح الأخطاء التي تعصف بالناس وبوجودهم، فالنبي موسى وأخوه هارون عليه السلام بعثهما الله عزوجل إلى فرعون بعد أن طغى، وأراد بواسطتهما أن يقتلع جذور الظلم والكفر، وأن يُرجعا الناس إلى دين الفطرة وعبادة الله وحده. فالمثال الإلهي يتنافى تماماً مع حكم الفراعنة الذي يعد من التجارب البشرية الصعبة. وحدثت المواجهة بين موسى وأخيه هارون عليه السلام وبين فرعون وجنوده، وكان من البديهي أن يرفض فرعون الدعوة، وهو يعد نفسه مالكاً لكل شيء، الأرض والناس والهواء والماء، وبمستوى فهم الطغاة رد على النبي موسى عليه السلام، كما جاء في قوله تعالى: (**قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى**) (طه:٥٧)، وهذا الرد كان متوقعاً من فرعون، فاتهم النبي موسى عليه السلام بما في نفسه من حب السيطرة والتصرف بمقدرات الناس والأرض. وبعد انتصار النبي موسى عليه السلام على السحرة في يوم الزينة، جمع فرعون جنوده من كل المدائن للقضاء على موسى عليه السلام ومن آمن معه، قال تعالى: (**فَأَرْسَلَ**

فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ* إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ* وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ) (الشعراء:٥٣-٥٥)، وسار النبي موسى عليه السلام، ومن آمن معه باتجاه البحر فاراً من بطش فرعون وجنوده ، وقد أنجاه الله عزوجل بعد أن ضرب بعصاه البحر فعبر وقومه، وتبعه فرعون وجنوده، فأطبق البحر عليهم وغرقوا، قال تعالى: (وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ) (الشعراء:٦٥-٦٦).

وبعد أن غرق رمز الطغيان والكفر ومن معه، وأنجى الله موسى عليه السلام ومن آمن من بني إسرائيل، نسأل: هل تحقق المثال الإلهي؟ وهل كان بنو إسرائيل بمستوى المسؤولية وبالمستوى المطلوب من الإدراك لإقامة المثال الإلهي؟ وهل أنهم عبدوا الله حق عبادته بعد أن نجاهم من آل فرعون الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب ويذبحون أبناءهم ويتجاوزون على حرمهم، قال تعالى: (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ) (البقرة:٤٩)، والجواب: إن النفوس كانت غير مستعدة لإقامة حكم الله في الأرض، وإن إيمانهم بالنبي موسى عليه السلام إيمان المنقذ من الظلم، لذلك بعد أول اختبار فشل كثير منهم في تجاوزه، فما أن ذهب النبي موسى عليه السلام لميقات ربه حتى عبدوا العجل من بعده وظلموا أنفسهم. قال تعالى: (وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ) (البقرة:٥١)، ثم قالوا للنبي موسى عليه السلام إنهم لن يؤمنوا حتى يروا الله جهرة، وهذا الطلب يكشف عن مدى جهلهم بالله عزوجل، قال تعالى: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (البقرة: ٥٥-٥٦).

نرى أنه بعد انتهاء الصراع بين النبي موسى عليه السلام وفرعون، ظهر صراع آخر بين النبي وقومه، وقد جاهد النبي موسى عليه السلام ليصل بنفوسهم إلى مستوى المثال وتوحيد الله عزوجل والامتثال لأوامره إلّا أنهم كانوا يخذلونه في كل مرة، حتى غضب الله عزوجل عليهم، قال تعالى: (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ) (البقرة: ٦١).

يكشف ما مر ذكره من صراع النبي موسى عليه السلام - سواء أكان هذا الصراع مع فرعون أم مع قومه - أن الإنسان يحتاج إلى زمن طويل جداً، ويمر بمختلف التجارب ويقاسي بؤسها ومرارتها، من ثم يكون قريباً من تقبل المثال الإلهي. والبشرية في مسيرتها الطويلة لابد أن تنتج الصفوة التي استفادت من التجارب السابقة، وتكون جاهزة لإقامة المثال الإلهي على الأرض.

فسُنّة الصراع بين قوى الخير المتمثلة بالأنبياء والأولياء والصالحين وبين قوى الشر المتمثلة بالجبابرة والطواغيت والكافرين استمرت منذ خلق الله الإنسان على وجه الأرض وستستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها■

(١) ينظر: تفسير القرآن، للسيد عبد الله شبر: ٥٣٤.
(٢)الخصال/ الشيخ الصدوق/ ١٣٢.

من أقوال الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: (اتقوا الله وكونوا لنا زينًا، ولا تكونوا شينًا، جرّو إلينا كل مودة وادفعوا عنا كل قبيح).

وقال عليه السلام أيضًا: ....إنّ المؤمن الموالي لمحمّد وآله الطيّبين المتّخذ لعلي بعد محمّد صلى الله عليه وآله إمامًا . . . إذا حضره من أمر الله تعالى ما لا يردّ، ونزل به من قضائه ما لا يصدّ، وحضره ملك الموت وأعوانه، وجد عند رأسه محمّداً صلى الله عليه وآله رسول الله سيّد النبيّين من جانب . . . . فيقول المؤمن: بأبي أنت وأُمّي يا رسول ربّ العزة! . . . هذا ملك الموت قد حضرني ولا أشكّ في جلالتي في صدره لمكانك، ومكان أخيك منّي.

فيقول رسول اللهّ صلى الله عليه وآله: كذلك هو، ثمّ يقبل رسول الله صلى الله عليه وآله على ملك الموت، فيقول: يا ملك الموت! استوصِ بوصيّة الله في الإحسان إلى مولانا وخادمنا ومحبّنا وموثرنا، فيقول له ملك الموت: يا رسول الله! مُرْهُ أن ينظر إلى ما قد أعدّ الله له في الجنان.

فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: انظر إلى العلوّ، فينظر إلى ما لا تحيط به الألباب ولا يأتي عليه العدد والحساب.

فيقول ملك الموت: كيف لا أرفق بمن ذلك ثوابه، وهذا محمّد وعترته زوّاره، يا رسول الله! لولا أنّ الله جعل الموت عقبة لا يصل إلى تلك الجنان إلاّ من قطعها لما تناولت روحه، ولكن لخادمك ومحبّك هذا أُسوة بك وبسائر أنبياء الله ورسله وأوليائه الذين أُذيقوا الموت بحكم الله تعالى، ثمّ يقول محمّد صلى الله عليه وآله: يا ملك الموت! هاك أخانا قد سلّمناه إليك فاستوص به خيراً . . . .

(تفسير العسكري/ المنسوب للإمام العسكري عليه السلام/ ص٢١٢)

ملف العدد

قصيدة
في ذكرى مولد
الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله

الحاج جعفر الشيخ عباس حمندي

محمّدٌ هوَ النّبيُّ الأكرمُ ... محمَّدٌ هوَ الرّسولُ الأعظمُ
محمَّدٌ هوَ التّقي هوَ النّقي ... محمَّدٌ هوَ النّدى والكرَمُ
محمَّدٌ مَفخرةٌ لا تُرتقى ... وقمّةٌ وأينَ مِنها القِممُ
هوَ الجَمالُ والكمالُ كلّهُ ... هوَ البَهاءُ والعُلى والعَلَمُ
هوَ الفصيحُ والصَّبيحُ وجههُ ... هوَ الكميُّ والشّجاعُ الضّيغمُ
هوَ الرّشيدُ والسَّعيدُ من بهِ ... قد اقتدى هوَ الإبا والشممُ
بهِ خِصالُ الخيرِ قد تجمَّعتْ ... والرُّسلُ الغُرُّ بهِ قد خُتموا
قد جاء يدعوهم لدينٍ خالدٍ ... ووجههُ تُضيءُ منهُ الظُلمُ
أكرِمْ بوجهٍ مثلَ بدرٍ طالعٍ ... ومن فمٍ تخرجُ منهُ الحِكمُ

مـــاذا يـقـــولُ شـاعـــرٌ أو ناثـرٌ ... فـي مـدحـهِ ومـا يـخـطُّ القـلـمُ
سيعجزُ الـمـــادِحُ فـي مِدحتـهِ ... ويـعـجَـزُ اللسـانُ فيـهِ والـفـمُ
فـــإنْ يـــروهُ مـازحـاً أو ضاحكاً ... فـجـلُّ ضـحـكِـهِ هـــوَ التبـسُّـمُ
إيـهـاً رسـولُ الـلـهِ كـمْ مـنْ مـرةٍ ... جـاروا بها وأنـتَ عنهُم تحلمُ
فإنّني بحبلـهِ مُستمسـكٌ ... وإنّـنـــي بـــحُـــبّـــهِ مُتيـمُ
فـــإنَّ مـن صـلّـى عليهِ ربُّكم ... صـلّـوا عـلـيـهِ كـلّـكـم وسـلّـمـوا
مـن بـعـدِ أنْ لبّـى نـــداءَ ربِّـــهِ ... فـآلـهُ مـنْ بـعـــدِهِ قـد ظُلـمـوا
مـــاذا جـــنـــتْ أمـــيّـــة بـآلـهِ ... وولـــدهِ ومـــا جنى مُـحـرّمُ
قـد تـركـوا أشـلاءّهـم فـوقَ الفـلا ... فـي كـربـلا وأُحـــرق المخيّـمُ
قد قتلوا الحُسينَ وهـوَ سِبطهُ ... وقـلـبُـهُ مـن الظما يَضطرمُ
وقـد هـوى فـوقَ الـثّـرى مُنجدلاً ... وكـلُّ عضوٍ فيهِ غـطّـاهُ الـدّمُ
فـمـــنْ أتـــاهُ زائـــراً مُبتـهـلاً ... لـربِّـهِ تُكشـفُ عنهُ الغُـمـمُ
فقد عـلا مَجدَ المسيحِ مجدُهُ ... ودونَ أمّـــهِ الـبـتـــولِ مـريـمُ
لـم يرحموا أطفالـهُ مـن بعـدهِ ... والـلـهُ لا يرحـمُ مـنْ لا يـرحـمُ
أيستبـاحُ قتلهُـم فـي شرعِهـم ... ودينِـهـم وتُستبـاحُ الـحُـرمُ
ويـلٌ لهم فيما جَـنـوا أخـزاهـمُ ... ربُّ العِبادِ الـقـادرُ المُنتـقـمُ
فـإنَّ قلبي فـي أساهـم قـد ظنى ... وإنَّ نفسي قـد طـواهـا الألـمُ
فهل يُـقـرُّ مثـلَ هـذا مؤمـنٌ ... وهـل يُـقـرُّ مثل هـــذا مُـسـلـمُ
فإنّني أقـــولُ قـــولاً صادقـاً ... وإنّـــنـــي لبـالإلـهِ أقـسِـمُ
لـو أنَّـهـم لـم يغصبـوا حيـدرةً ... ولا على فاطمةٍ قـد هجـمـوا
مـا أُخـــذتْ إلـى اللئـام زينـبٌ ... ولا سَـرتْ إلـى الطغـام الحَـرمُ

مصابُهم مـنْ عظمهِ يُدمي الحشا ... وإنّـــهُ لـمُـــحـــزنٌ ومُـؤلـمُ
يا معشرَ الشّبابِ هُبوا وانهضوا ... وفـي كـتـابِ ربِّـكـم فاعتَصـمـوا
لا تُلهكم دُنيـاكـم عـن ذِكـــره ... ولا تكونوا مثلَ قـومٍ قـد عَمـوا
تمسّكوا بحبلهِ كـي تَسعـدوا ... تـــدبّـــروا آيـــاتـــهِ لتفهـمـوا
إنَّ الأولـى فـازوا بـهِ مـن قبلِكـم ... وبـالـتـزامِـهـــم بـــهِ تـقـدَّمـوا
هـذا هـو الـدسـتـورُ فـي حيـاتِكـم ... وإنَّ فـيـهِ كـــلَّ مـا طلبتـمـوا
هـذا كتـابُ ربكـم فلتعلمـوا ... فـإنْ تمسّكتُم بـه لـم تُهـزمـوا
هـــذا هـــوَ الـقـــرآنُ مـن يقـرؤهُ ... يحظى وليـسَ يعتريـهِ الـسّـــأمُ
فـأنـتَ يـا مـديـــرُ خـذ بنهـجـهِ ... ورشـــــدهِ وأنـــتَ يـا مُـعـلّـمُ
فـمـنْ يـكـنْ ذا خُلـقٍ مُـرتـفـعٍ ... فـإنّـــهُ بيـنَ الـــوَرى مُحـتـرَمُ
هـــذي نصيحتي لـكـم أسـدَيـتُـهـا ... بيّنتُ فيها مـا يُـــراد منكمـوا
واستمسِكوا بـالآلِ آلِ المُصطفى ... أهـــلِ الـوَفـــا ومنهـمُ تعلّـمـوا
فإنَّهـم عِـــدلُ الكِتـابِ بينَكـم ... وإنّـهـــم خيـرُ الأنـــامِ فيـكُـمُ
هـمْ سـادةُ الخلـقِ فمن مثلُـهـم ... فـرضٌ علينا واجـــبٌ حبُّـهـمُ
هـم منبعُ العِلم وهـم خُـزّانُـهُ ... فـــإنَّ ذا يُفـهـم مـــن يفـهـمُ
لـولاهُـمُ لـم يخـلـق الكـونُ ولا ... كـانَ الملا فالكـلُّ مـن أجلهـمُ
فعلمُهم عـلـمٌ غـزيـــرٌ زاخـــرٌ ... فـإنّـهُ علـمٌ عظيـمٌ مُـلـهّـمُ
فـلا يـقـاسُ فـي عُـلاهـم معـشـرٌ ... وإنْ علو فـي فضلِهم أو عظمُوا
فحبُّهم فـرضٌ على كـلِّ الـوَرى ... وكـــلُّ إنســـانٍ بهـذا مُـلـزمُ
أبـوهـمُ حـيـــدرةُ الطّهـرُ الـذي ... مـن سيفـهِ شجعانُهم لا تَسلـمُ
هـوَ الوصيُّ الحقُّ بعدَ المُصطفى ... وإنَّ هـذا فـي الحِجى مـسـلّـمُ

السيرة النبوية بين الرؤية القرآنية والرواية التاريخية

أ.د.جواد كاظم النصرالله

جامعة البصرة ـ كلية الآداب

تمهيد

تعد السيرة النبوية المترجم الفعلي للنص القرآني، فلو أردنا أن نرى تعاليم القرآن على أرض الواقع فسوف نجدها متمثلة بسيرة النبي الأكرم محمد ﷺ، لذا فهي الكاشفة عن المراد القرآني، من هنا وجب الاطلاع على هذه السيرة ومعرفة كنهها. وفي الواقع يمكن القول أن هناك سيرتان للنبي محمد ﷺ، الأولى هي السيرة الواقعية التي طبقت فعليًا على أرض الواقع، وهذه السيرة لا نجد لها مصدرًا أصدق من القرآن الكريم، أما السيرة الثانية فهي ما نحمله نحن الآن كأفراد من رؤية، من تصور في أفكارنا، أذهاننا، مخيلتنا عن النبي محمد ﷺ، وهذه الرؤية والصورة تختلف وتتعدد باختلاف وتعدد الأفراد، لأنها تعتمد على ما ورثناه من كتب التراث من روايات تاريخية سواء وردت في كتب الحديث أم التفسير أم التاريخ. والتي كتبها الحكام عبر رواة مأجورين فشوهوا الصورة الحقيقية للسيرة النبوية لتتماشى مع أمزجتهم وليبرروا سلوكياتهم المنحرفة.

في الواقع حينما نقارن بين الرؤية القرآنية والتاريخية، فسنجد في أكثر الأحيان بونًا شاسعًا بينهما، ففي الوقت الذي تعبر الرؤية القرآنية عن رؤية الله تعالى (**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى**) (النجم:٣)، نجد الرؤية التاريخية تعبر عن أهواء الأفراد وقناعاتهم الفكرية بل ومسبقاتهم الأيديولوجية. وحينما يتحدث القرآن عن نشأة الأنبياء فإنه يتحدث عنهم بقدسية وإكبار، فعن النبي عيسى عليه السلام يقول: (**فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ**

وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ(مريم:٢٩- ٣٤).

وحينما تحدث عن النبي يحيى عليه السلام قال: (**يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا**) (مريم:١٢-١٥).

وفي حديثه عن النبي موسى عليه السلام: (**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**) (القصص:٧).

وهكذا جميع الأنبياء الذين ذكرهم الله سبحانه في القرآن الكريم، ولكننا حينما نلقي نظرة على تصوير الرواية التاريخية المشوهة للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله سنجدها صادرت الأربعين سنة الأولى من عمره الشريف، فهو يتيم أبي طالب[1] الذي عجزت بنو هاشم، بل قريش بأسرها

أن تجد له مرضعة، إذ رفضته جميع الرضائع المجهولات الهوية، اللواتي لا واقع تاريخي لهن إلا في مخيلة راوٍ مجهول الهوية أيضا[2]، ففي الوقت الذي تدخلت السماء وحرمت أن ترضع موسى أي امرأة كانت سوى أمه[3] كما ورد في نص القرآن المجيد. تخرج علينا الرواية التاريخية لسيرة نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله لتقول: فقد حرمت على أمه أن ترضع وليدها الوحيد، وتركته يرمى من يد مرضعة إلى أخرى لأنه يتيم أبي طالب، ولولا أن ترجع

أحداهن خالية الوفاض لرجع عبد المطلب بحفيده بلا مرضعة[٤]. في الوقت الذي يحدثنا القرآن الكريم عن الرعاية الإلهية التي اكتنفت النبي ﷺ منذ ولادته حتى وفاته، بقوله تعالى: (**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى.... أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى**) (الضحى: ٣، ٦، ٧، ٨)، وقد ترجم ذلك أمير المؤمنين عليه السلام حين وصف لنا تلك الرعاية الإلهية للنبي الأعظم ﷺ بقوله: (ولَقَدْ قَرَنَ اللّه به ﷺ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً، أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَته يَسْلُكُ به طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ومَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَه ونَهَارَه)[٥].. ولكن كتّاب السير شوهوا الصور الحقيقية لنشأة النبي الأعظم ﷺ ليقللوا من شأنه وأهميته وتميزه.

وحينما تحدث القرآن عن لحظة التكليف الإلهي للأنبياء بتبليغ أممهم كان ذلك بأبهى صور التقديس، كما لاحظنا ذلك في الآيات المتقدمة عن الأنبياء عيسى ويحيى وموسى وبقية الأنبياء عليهم السلام، ولكن لننظر إلى الروايات التاريخية التي ملأت كتبنا ماذا تقول عن بعثة النبي محمد ﷺ، إنها تتحدث عن جهل تام عند النبي ﷺ بما حدث في الغار، والذي حصل إثر معركة ومشادة كلامية، فجبرئيل لم يعرف نفسه للنبي ﷺ، بل وكأنه قد أخذ بمعاقبة النبي ﷺ الذي لم يعرف مراد الوحي من (اقرأ)، وانتهى الأمر بمحاولة النبي الانتحار خشية حديث الناس عنه واتهامه بالجن، ولكن لولا خديجة وابن عمها ورقة بن نوفل الذي منح النبي ﷺ شهادة النبوة، فغدا ذلك دليلا يتكئ عليه المستشرقون بأن النبي ﷺ تتلمذ على

يد ورقة بن نوفل، ثم ادعى النبوة، وما دامت الرواية بدأت بـ (أول ما بدئ به الوحي الرؤيا الصادقة) وختمت بدثروني دثروني، لذا فهم البعض أنها كانت رؤيا مزعجة (كابوس، أضغاث أحلام) استفاد منها النبي وأدعى أنه نبي، مع أن الرواية انفرد بها عروة عن خالته عائشة التي لم تكن مولودة يومذاك[٦]!

وعن كيفية لقاء النبي ﷺ بالوحي تقول الرواية التاريخية: (سُئِلَ رَسُولَ اللَّه ﷺ: كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجُلاً فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ). وقَالَتْ عَائِشَةُ وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا)[٧].

ولكن ماذا يقول القرآن الكريم: **(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى)** (النجم:١-١٨)

وحينما يتحدث القرآن عن خلق النبي الأكرم ﷺ يقول الله تعالى: **(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)** (القلم:٤)، ويقول: **(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)** (آل عمران:١٥٩).

ولكن ماذا تقول الرواية التاريخية: إنه كان يطمس الآبار حتى لا يستفيد منها عدوه[٨]. وإنه كان يشتم أصحابه ويسبهم ويضربهم بغير وجه حق. وكان يدعو الله أن يجعل ذلك زكاة لهم[٩]. وكان يأمر بقطع الأيدي والأرجل[١٠]. وكان لا يعدل بين نسائه[١١]. ويتآمر على مولاه ليطلق زوجته ليتزوجها[١٢]. ولكن أمير المؤمنين عليه السلام يقول في وصف النبي الخاتم ﷺ: (كان أجود الناس كفًّا، وأجرأ الناس صدرًا، وأصدق الناس لهجةً، وأوفاهم ذمةً، وألينهم عريكةً، وأكرمهم عشرةً، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، لم أر قبله، ولا بعده مثله ﷺ)[١٣]، وقال عليه السلام عنه أيضًا: (بعث الله سبحانه محمدًا رسول الله ﷺ لإنجاز عدته، وتمام نبوته. مأخوذًا على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته، كريمًا ميلاده. وأهل الأرض يومئذ ملل متفرقة. ... فهداهم به من الضلالة. وأنقذهم بمكانه من الجهالة. ثم اختار سبحانه لمحمد ﷺ لقاءه. ورضي له ما عنده وأكرمه عن دار الدنيا ورغب به عن مقارنة البلوى. فقبضه إليه كريمًا ﷺ)[١٤].

ونقرأ في الرواية التاريخية (من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)(١٥). ولكن هل كان في الصحابة من كان يعبد النبي ﷺ؟ وإن كان معنى العبادة الطاعة فهل طاعة النبي ﷺ في حياته فقط أم بعد وفاته أيضا؟!!

ولكن الرؤية القرآنية تشير لطاعة النبي ﷺ طاعة مطلقة إلى يوم الدين، قال تعالى: (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا * فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**) (النساء:٦٤- ٦٥).

وقد ذكر السمهودي في كتابه وفاء الوفا نماذج من زيارة المسلمين لقبر رسول الله وتلاوة هذه الآية عند قبره الشريف، وفيما يلي نذكر بعض تلك النماذج:

روى سفيان بن عنبر عن العتبي - وكلاهما من مشايخ الشافعي وأساتذته - أنه قال: كنت جالسا عند قبر رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: (**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا**) وقد جئتك مستغفرًا من ذنبي، مستشفعًا بك إلى ربي. ثم بكى وأنشأ يقول:

يا خير من دفنت في القاع أعظمه
فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم استغفر وانصرف، فرقدت ورأيت النبي ﷺ في نومي وهو يقول: الحق الرجل وبشره أن الله قد غفر له بشفاعتي[١٦]■

---

١)هكذا نعتته الروايات الأموية استهجانًا، ينظر: ابن حنبل: مسند أحمد ٣١٢/١، البيهقي: السنن الكبرى ١٢٩/٧، الذهبي: تاريخ الإسلام ٦٥/١، المقريزي: امتاع الأسماع ١٨/١.

٢)وهو جهم بن أبي الجهم. ينظر: النصر الله: نشأة النبي محمد ﷺ في ديار بني سعد ص١٣.

٣)قوله تعالى في سورة القصص: (**وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ * فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**) الآيات ١٢ - ١٣.

٤)السير والمغازي/ابن إسحاق: ص٤٨-٥٠. ينظر: تاريخ الطبري: ٥٧٢/١؛ تاريخ دمشق/ابن عساكر/ ٩١/٣؛ أسد الغابة: ابن الأثير: ٤٢٧/٥؛ البداية والنهاية/ ابن كثير: ٣٣٣/٢.

٥)نهج البلاغة/ تحقيق صبحي الصالح/ص٣٠٠.

٦)صحيح البخاري٣/١، صحيح مسلم ٩٧/١، عمدة القارئ/العيني: ٤٦/١.

٧)مسند ابن راهوية ٢٥٢/٢، خلق أفعال العباد/ البخاري: ص٨٣.

٨) تاريخ الطبري: ٢٩/٣، السنن الكبرى/ البيهقي: ٨٤/٩.

٩)مسند أحمد ٤٠٠/٣، صحيح مسلم ٨٨/٤.

١٠)صحيح البخاري: ٢٢/٤.

١١)مسند ابن حنبل: ٨٨/٦، سنن النسائي ٦٥/٧.

١٢)مكارم الأخلاق/الطبرسي/ ص١٨.

١٣)نهج البلاغة/ج ١ص٢٤.

١٤)جامع البيان الطبري: ١٧/٢٢.

١٥)التمهيد/ ابن عبد البر: ٢٤/ ٤٠١، فتح الباري/ ابن حجر: ١١٠/٨.

١٦)وفاء الوفاء/ السمهودي: ١٣٦١/٤. شفاء السقام في زيارة خير الأنام/ السبكي، الزيارة في الكتاب والسنة/ السبحاني: ص٤٤ - ٤٥.

تواضع النبي محمد صلى الله عليه وآله في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام

الدكتورة انتصار عدنان العواد
جامعة البصرة/ كلية الآداب

ينابيع التواضع: خلق كريم، وخلة جذابة، تستهوي القلوب، وتستثير الإعجاب والتقدير[1]. ومن موجبات المعرفة الحقة للذات الإلهية استشعار الفقر في ذات الإنسان، يقول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: (وإنَّه لا يَنْبَغي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللّه أَنْ يَتَعَظَّمَ، فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُه أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَه، وَسَلَامَةَ الَّذينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُه أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَه)[2].

فالإنسان بقدر ما يدرك من عظم الله تعالى وجلاله وجبروته، فإنه يستشعر الفقر في نفسه إلى الله والحقارة تجاهه، ويدرك أنه لا ينبغي له أن يستعظم ذاته؛ لأن المنزلة والتقدير إنما يكون لمن رأى أن العظمة لله وحده سبحانه، والخاشعون من عباد الله هم أولئك الذين يستشعرون العظمة له عز اسمه ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾ (فاطر:٢٨))[3].

وفي موضع آخر يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلَالُ اللّه سُبْحَانَه في نَفْسه، وجَلَّ مَوْضِعُه مِنْ قَلْبه، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَه لِعِظَمِ ذَلِكَ كُلُّ مَا سِوَاه)[4]، فمن عظم جلال الله في قلبه صغر عنده كل ما سواه، وقد تجلى التواضع بأبهى وأكمل صورته في أخص خلق الله وأقربهم منزلة منه ألا وهم الأنبياء، إذ نجد في كلام الإمام عليه السلام وقفة مع هذه الخصلة من خصال أنبياء الله، إذ يقول عليه السلام: (فَلَوْ رَخَّصَ اللّه في الْكِبْرِ لأَحَدٍ مِنْ عِبَادِه، لَرَخَّصَ فيه لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِه ومَلَائِكَتِه، ولَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَبُّرَ، ورَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ)[5]، ففي قوله ها هنا استدلال على تحريم الكبر مطلقًا، وأنه لا رخصه فيه لأحد من خلق الله.

إن الكبر نقيض التواضع، وأما حقيقته: فهي هيئة نفسانية تنشأ عن تصور الإنسان نفسه أكمل من غيره، وأعلى رتبة وتلك الهيئة تعود إلى ما يحصل للنفس عن ذلك التصور من النفخ والهزة والتعزز والتعظم والركون

إلى ما تصورته من كمالاتها، وشرفها على غيرها، ولذلك قال رسول الله ﷺ: (أعوذ بك من نفخة الكبر)[٦]، وهي رذيلة تحت الفجور تقابل فضيلة التواضع[٧].

وقد ورد ذم هذه الخصلة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ منها قوله تعالى: (**كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**) (غافر:٣٥)، (**وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**) (إبراهيم:١٥)، وفي الحديث القدسي: (يقول الله عز وجل: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما ألقيته في جهنم)[٨]، وقال النبي ﷺ: (لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر)[٩].

وإلى هذا المعنى يشير أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام بقوله: (الْحَمْدُ للّه الَّذي لَبسَ الْعزَّ والْكبْرِيَاءَ، واخْتَارَهُمَا لنَفْسه دُونَ خَلْقه، وجَعَلَهُمَا حمًى وحَرَماً عَلَى غَيْره، واصْطَفَاهُمَا لجَلَاله، وجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَه فيهمَا منْ عبَاده)[١٠]. ومعنى اختياره هنا تفرده باستحقاقهما لذاته، فإن المستحق للعز والكبرياء بالذات ليس إلّا هو، ودلّ على ذلك قوله تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ)(الرعد:٩)، والألف واللام هنا يفيد حصر الكبرياء والعلو فيه[١١]. وأما قوله عليه السلام: (وجَعَلَهُمَا حمًى وحَرَماً عَلَى غَيْره)[١٢]، فقد استعار لفظ الحمى والحرم باعتبار اختياره لهما وتحريمهما على غيره من خلقه، كما يحمي الملك المرعى والحرم[١٣].

ويقول الإمام علي عليه السلام: (ومَا بَيْنَ اللّه وبَيْنَ أَحَد منْ خَلْقه هَوَادَةٌ، في إبَاحَة حمًى حَرَّمَه عَلَى الْعَالَمينَ)[١٤]، فليس بين الله وبين أحد من خلقه صلح، فيخصص بإباحة حكم حرمه على سائر خلقه، فيختلف بذلك حكمه فيهم لأن الصلح من عوارض الحاجة أو الخوف المحالين عليه تعالى[١٥]. وبهذا يتضح لنا مراده من قوله المار الذكر، فلو رخص الله في الكبر لأحد من عباده لرخص فيه لخاصة أنبيائه وأوليائه.

إذ أن وجه الملازمة فيه أن الأنبياء خواص الله وأحباؤه وأهل طاعته، فلو كان فيه رخصة لم يجعلها إلّا لهم، وتقدير الاستثناء فيه لنقيض الآتي: لكنه لم يرخص فيه لهم، فينتج أنه لم يرخص فيه لأحد من عباده، لكنه حذف هنا استثناء النقيض واستثنى بعض لوازمه، وهو تكريهه التكبر عليهم، وذلك بوعيده للمستكبرين على الكبر، ثم برضى التواضع لهم، وذلك بأمرهم فيه، كما قال تعالى: (**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**) (الحجر: ٨٨)) ونحوه[١٦].

ثم شرع أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في بيان دلائل التواضع في الأنبياء وسماته، إذ يقول: (فَأَلْصَقُوا بالأَرْض خُدُودَهُمْ، وعَفَّرُوا في التُّرَاب وُجُوهَهُمْ)[١٧]. امتثالًا لما أمروا به من التواضع والتذلل للخالق، (وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين، وكانوا قومًا مستضعفين امتثالًا لما مروا به من التواضع للخلائق، قال المجلسي: خفض الجناح كناية عن لين الجانب وحسن الخلق والشفقة)[١٨].

وجاء في تفسير قوله تعالى: (**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**) (الشعراء :٢١٥)، إن الطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه، وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه، فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلًا في التواضع ولين الجانب، رفعه قول أحدهم:

وأنت الشهير بخفض الجناح
فلا تك في رفعه أجدلا[١٩]

ينهاه عن التكبر بعد التواضع[٢٠]. والعرب تقول لمن كان ساكنًا وقورًا: إنه خافض الجناح[٢١]. وأما قوله عليه السلام: (وكانوا قوما مستضعفين)، كونهم متصفين بالضعف والمسكنة في نظر الناس وضيق العيش في الدنيا.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله أشد الناس تواضعًا، وأبعدهم عن الكبر، والمتتبع لسيرته الشريفة يلمس ذلك بوضوح، وقد ذكر أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام شاهدًا على ذلك في حديثه عن نمط معيشته عليه السلام، فقال: (ولَقَدْ كَانَ صلى الله عليه وآله يَأْكُلُ عَلَى الأَرْض، ويَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْد، ويَخْصِفُ بِيَده نَعْلَه، ويَرْقَعُ بِيَده ثَوْبَه، ويَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ، ويُرْدِفُ خَلْفَه)[٢٢]، إذ كان صلى الله عليه وآله يتخذ في جلسته هيئة تبعد عن نفس جالسها أي فخر أو تكبر، ولكنها تفرض الهيبة في نفوس الآخرين، والمراد من جلوسه جلسة العبد، إما أن يجلس على الارض أو يجلس من غير تربع خلاف جلوس الملوك، أو الجلوس دون شرفه، إذ كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا دخل منزلًا قعد في أدنى المجلس إليه حين يدخل[٢٣].

وتضمن كلام أمير المؤمنين عليه السلام ذكر عدة مزايا تشير إلى تواضع النبي صلى الله عليه وآله منها:

١- لبس النعل المخصوف، فهو دليل ظاهر على التواضع، ولاسيما إذا كان لابسها هو الخاصف.

٢- لبس الثوب المرقع.

٣- ركوب الحمار العاري. وإرداف غيره خلفه.

كل ذلك آية التواضع وهضم النفس، وأوكد في الدلالة عليه[٢٤].

وقال الإمام الرّضا عليه السلام عن آبائه عن النّبي صلى الله عليه وآله، قال: خمس لا أدعهنّ حتى الممات: الأكل على الحضيض مع العبد، وركوبي الحمار مؤكفًا، وحلب العنز بيدي، ولبس الصوف، والتسليم على الصبيان لتكون سنة من بعدي[٢٥].

وكان فراشه صلى الله عليه وآله غاية في التواضع، (عن علي عليه السلام: كان فراش رسول الله صلى الله عليه وآله عباءة. وكانت مرفقته ـ وسادته ـ أدم حشوها ليف. ... وكان صلى الله عليه وآله كثيرا ما يتوسد وسادة له من أدم حشوها ليف ويجلس عليها. ... وكان له بساط من شعر يجلس عليه وربما صلى عليه. كان صلى الله عليه وآله ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره)[٢٦].

ومن مظاهر تواضعه صلى الله عليه وآله: (إذا انتهى إلى قوم جلس حيث انتهى به المجلس، ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه. لا يحسب جليسه أن أحدًا أكرم عليه منه، وإذا جلس إليه أحدهم لم يقم صلى الله عليه وآله حتى يقوم الذي جلس إليه، إلّا أن يستعجله أمر فيستأذنه، ولا يقابل أحدًا بما يكره، ولا يجزي السيئة بمثلها. بل يعفو ويصفح. وكان يعود المرضى ويحب المساكين ويجالسهم. ويشهد جنائزهم. ولا يحقر فقيرًا لفقره، ولا يهاب ملكًا لملكه، ويعظم النعمة وإن قلّت. ولا يذم منها شيئا، وما عاب طعامًا قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه. وكان يحفظ جاره ويكرم ضيفه، وكان أكثر الناس تبسما، وأحسنهم بشرا[٢٧]■

---

١)مهدي الصدر: أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص ٣٦.

٢)نهج البلاغة: ص٢٦٩.

٣)عبد المجيد زهادت: التربية والتعليم في نهج البلاغة: ص ٨٩.

٤)نهج البلاغة: ص ٤٥٣.

٥)نهج البلاغة: ص٣٩٢.

٦)المازندراني: شرح أصول الكافي: ٢٣٥/١.

٧)ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤ / ٢٧٥.
٨)الحميدي: مسند الحميدي: ٤٨٦/٢. ابن راهويه: المسند: ٣٠٥/١. ابن حنبل: المسند: ٢٤٨/٢. ابن ابي الدنيا: التواضع والخمول: ص٣. البيهقي: شعب الإيمان: ٢٨١/٦. البيهقي: معارج نهج البلاغة: ص٣٥٨. ابن

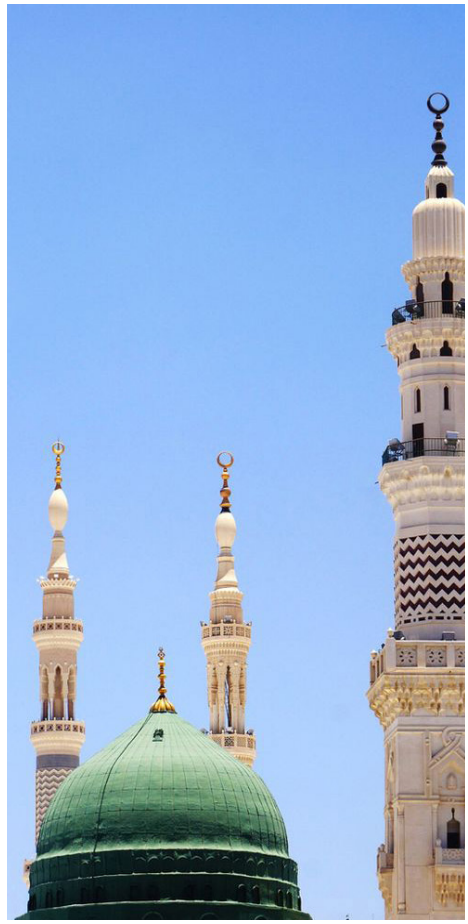

الجوزي: دفع شبه التشبيه: ص٢٣٢. المنذري: الترغيب والترهيب: ٥٦٢/٣. المجلسي الأول: روضة المتقين: ٤٨/٤. الفيض الكاشاني: الوافي: ١٦١/١. المجلسي: ملاذ الأخيار: ٥٩/٥. النوري: المستدرك: ٣١/١٢.
٩)البخاري: التاريخ الكبير: ٢/٥. الترمذي: السنن: ٢٤٤/٣. الكليني: الكافي: ٣١٠/٢. الصدوق: ثواب الأعمال: ص٢٢١. النووي: الأذكار النووية: ص٣٥٠، شرح صحيح مسلم :٨٩/٢. الدميري: حياة الحيوان :٤٩٦/١. الشهيد الثاني: رسائل الشهيد الثاني: ٨١٢/٢، منية المريد ص١٥٦. البهوتي: كشف القناع: ١/ ٢٧٠. الكحلاني: سبل السلام: ٢٠٠/٤. الشوكاني: نيل الأوطار: ١٠٨/٢.
١٠)نهج البلاغة: ص ٣٨٤ - ٣٨٥.
١١)ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤ / ٢٧٧.
١٢)نهج البلاغة: ص٣٨٥.
١٣)ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤ / ٢٧٧.
١٤)نهج البلاغة ص٣٨٦.
١٥)ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤ / ٢٩١.
١٦)ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ٤ / ٣١٧.
١٧)نهج البلاغة: ص٣٩٢.
١٨)بحار الأنوار: ٤٧٩/١٤.
١٩)استشهدت مصادر التراث بهذا البيت كثيرا دون الإشارة لقائله. ينظر: الزمخشري: الكشاف: ١٣١/٣. أو حيان الأندلسي: البحر المحيط: ٤٣/٧ . الأفندي: تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات: ص٤٩٨. حبيب اللّه الخوئي: شرح نهج البلاغة: ٣١٥/١١. الآلوسي: روح المعاني: ١٣٥/١٩. الشنقيطي: أضواء البيان: ٣١٦/٢.
٢٠)حبيب اللّه الخوئي: منهاج البراعة: ١١ / ٢٦٧.
٢١)ابن ميثم البحراني: شرح نهج البلاغة: ٤ / ٣١٧.
٢٢)نهج البلاغة: ص ٢٩٩.
٢٣)حبيب اللّه الخوئي: منهاج البراعة: ٩ / ٣٢٠.
٢٤)حبيب اللّه الخوئي: منهاج البراعة: ٩ / ٣٢٠ – ٣٢١.
٢٥)الصدوق: الأمالي ص١٣٠، الخصال ص٢٧١، علل الشرائع ١٣٠/١، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٨٧/٢، الطبرسي: مكارم الأخلاق ص١١٥، الأشتري: تنبيه الخواطر ٤٧٥/٢ ، الحر العاملي: وسائل الشيعة ٦٢/١٢، ٢٥٦/٢٤، البحراني: حلية الأبرار: ٢١٥/١، المشهدي: كنز الدقائق: ٦٣/٥، البروجردي: جامع أحاديث الشيعة ٣٠٧/١٤.
٢٦)مكارم الأخلاق/الطبرسي/ ص٣٧.
٢٧)امتاع الأسماع/المقريزي/ج٢ ص١٨٩.

الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وبناء الدولة المدنيّة

الشيخ د. جون العتابي
الكلية الإنسانية الجامعة

ينابيع

إن دولة يثرب التي أقامها رسول الله صلى الله عليه وآله والتي تستمد تشريعاتها من الإسلام، هي بلا شك انطلقت ولا زالت الدولة الفكرية والقانونية التي أُنشئت على أساس سيادة القانون الإلهي الخالد، ولازال المعاندون وعصاة التاريخ وكل المتنكرين للفطرة والحق والعدالة يتخبطون بين أقصى اليمين وأقصى الشمال، جاعلين من البشرية ألعوبةً ومختبرًا لنظرياتهم القاصرة والمقصرة، بينما نجد أن سيرة النبي صلى الله عليه وآله قد صدعت برسالة خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين ومنقذ البشرية من الضلالات والانحراف[1].

فبعد وصوله صلى الله عليه وآله يثرب مهاجراً من مكة، شرع بوضع أسس الدولة المدنية، فقام ببناء مقر تلك الدولة الحديثة وهو المسجد الذي يعدّ مكانًا للعبادة، ومركزاً ومقراً للحكومة، حيث تجري فيه الاجتماعات والتخطيط للدفاع عن المدينة من الأعداء وتعبئة الجند، وإلقاء البيانات والارشادات وحل النزاعات بين الناس والقضاء بينهم، ومن ثم بيتاً لمال المسلمين فيه تجمع الزكوات وفيه توزع على مستحقيها.

وبما أن مجتمع المدينة كان ذا ولاءات متعددة، نظرًا لخلفياته القبلية والعرقية والدينية، ففيه القبائل العربية ومنها الأوس والخزرج المتناحرة عبر تاريخها، وقد جاءهم المهاجرون مع النبي صلى الله عليه وآله من مكة، وفيها اليهود، وحولهم النصارى. فقد قام الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بتوحيد هذه الولاءات وتذويب الفوارق الطبقية وتهذيب الانتماءات القبلية والعرقية وجعل الإسلام هو المعيار للتفاضل، والمحور الذي يدور فيه مواطنو يثرب.

فقد أعلن النبي صلى الله عليه وآله الدستور الأول للدولة الإسلامية الكبرى، وذلك في وثيقة تنظم حياة الفرد والمجتمع وتحدد الحقوق والواجبات لجميع الناس، وقد سميت فيما بعد بـ (صحيفة المدينة)، (إن

إصدار هذه الوثيقة (الصحيفة) يمثل تطوراً كبيراً في مفاهيم الاجتماع السياسي، فهذه جماعة تقوم لأول مرة في الجزيرة العربية على غير نظام القبيلة، وعلى غير أساس رابطة الدم، حيث انصهرت قبيلتا الأوس والخزرج في جماعة الأنصار، ثم انصهر الأنصار والمهاجرون في جماعة المسلمين، ثم ترابطت هذه الجماعة المسلمة مع اليهود الذين يشاركونهم الحياة في المدينة إلى أمد، ولأول مرة بحكم القانون حيث ترد الأمور إلى الدولة ومن خلال تغيير شامل وتحوّل سريع طوى الدستور صفحة اجتماعية طابعها القبيلة، وفتح صفحة جديدة أكثر إيجابية وأقرب إلى الترابط والتكامل والوحدة الفكرية[٢].

إن نصوص هذه الصحيفة منبثقة من القرآن الكريم في المبادئ العامة، من حيث اعتبار المسلمين أُمة واحدة من دون الناس، ومن حيث التراحم والتعاون بينهم، ومن حيث الاحتفاظ برابطة الولاء وما يترتب عليها من حقوق بينهم، ثم من حيث مراعاة حقوق القرابة والصحبة والجوار، كذلك تحديد المسؤولية الشخصية والبعد عن ثارات الجاهلية وحميتها وفي وجوب الخضوع للقانون، وردّ الأمر للدولة بأجهزتها للتصرف بالأمور، وفي شؤون الحرب والسلم، وأن حرب الأفراد وسلمهم إنما تدخل في الاختصاص العام فلا تحدث فردياً، وكذلك معاونة الدولة في إقرار النظام والأخذ على يد الظالم وعدم نصر المحدث وإيوائه، ومن ثم أعطت هذه الصحيفة صفة للجماعة الإسلامية بعد تقييد الحدود القبلية، أو على الأقل لم يجعل النبي ﷺ لها وجوداً رسمياً بالنسبة للدولة أو بلفظ آخر ارتفع هو عن المستوى القبلي المحدد، وبهذا أصبح الإسلام ملكاً لمن دخل فيه، فدخلت بناءً على هذه القاعدة شعوب كثيرة في الإسلام من دون أن يضع الرسول ﷺ أمامها عقبات تحول بينها وبين الانخراط في العالم الإسلامي[٣].

أهم بنود الوثيقة:

١- جعل المسلمين أمة واحدة على اختلاف شعوبهم وقبائلهم.

٢- إقرار المهاجرين من قريش على عاداتهم وسننهم في أحكام الديات والدماء، وقد نسخ ذلك أخيرًا بفرض الحدود والديات على أسلوب خاص وضعه الإسلام وبينته بالتفصيل كتب الفقه الإسلامي.

٣- مسؤولية المهاجرين عن فداء أسيرهم وتخليصه من أيدي المشركين.

٤- المسؤولية الشاملة لجميع الطوائف والقبائل بأن تفدي أسيرها بالقسط والمعروف.

٥- إقرار القبائل التي وردت أسماؤها في الصحيفة على عاداتها، وإن كل طائفة مسؤولة عن فداء عانيها.

٦- قيام المؤمنين بإعانة المثقل منهم بالديون من أجل الفداء.

٧- إنكار البغي والظلم وشجبه في جميع المجالات ومناهضة القائم به وإن كان ولدًا لأحدهم فإنهم مسؤولون جميعًا لو أخلوا به.

٨- عدم قود المؤمن بالكافر لو قتله، فتؤخذ منه الدية لا غير.

٩- منح أدنى المسلمين أن يجير أي شخص يشاء.

١٠- عدم السماح للمشركين بأن يجيروا

مالًا أو دمًا للمشركين من قريش.

١١- إن القاتل للمؤمن من غير سبب يقاد به، إلّا أن يرضى أولياء المقتول بالديّة فتؤخذ منه.

١٢- عدم السماح للمسلمين بنصرة المحدثين والمبتدعين في الإسلام ولزوم مقاومتهم.

١٣- قيام النبي ﷺ بحل المشاكل والخصومات التي تحدث بين المسلمين أو بينهم وبين اليهود.

١٤- منح اليهود الحقوق العامة من الأمن والحرية وغير ذلك، بشرط أن يسايروا المسلمين، ولا يعيثوا في الأرض فسادًا.

١٥- اعتبار الجار كالنفس غير مضار ولا آثم.

هذه بعض أهم البنود التي احتوتها الوثيقة، والتي تعد أول دستور للدولة الإسلامية، وقد تعرض جماعة من الكتاب الإسلاميين إلى شرحها وايضاح مضامينها[٤].

هيكلية الدولة المدنية بحسب الدستور

١. الدولة:

يقدم هذا الدستور صورة للتنظيم القانوني الذي وضعه الرسول ﷺ لترتيب أوضاع المدينة في مراحلها المبكرة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والدينية، وقد شكلت فكرة إيجاد (أمة واحدة من دون الناس) المحور المركزي في إنشاء وتحديد الدولة بنواحيها المذكورة، وهو المحور الذي دارت من حوله مختلف الأحكام والمعالجات في هذا الدستور الوارد في الصحيفة.

٢. الشعب:

يظهر من النصوص التي تضمنتها الصحيفة أن هذه الأمة (الدولة) قد تشكل شعبها من المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب أي من المهاجرين والانصار، ولكنها لم تكن مقصورة عليهم، بل اتسعت لتشمل من تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، أي كل من ارتضى أن يكون معهم من أهل المدينة، كما عدّت الصحيفة يهود بني عوف وغيرهم من اليهود المتحالفين من بطون القبائل الأخرى أمة أخرى (أي مكوّن آخر) في هذه الأمة (الدولة) لأنهم ارتضوا العيش في إطارها وعلى وفق المبادئ التي تضمنتها الصحيفة.

وبذلك كانت الأمة التي حددتها الصحيفة صيغةً وسطاً بين الجماعة الواحدة التي تعتنق ديناً واحداً، وبين الجماعة التي أرسل الله عزوجل لها رسوله محمدًا ﷺ سواء آمنوا به أم لم يؤمنوا[٥].

٣. الإطار الفكري:

إن هذه الأمة هي الجماعة التي ارتضت أن تعيش في إطار الإسلام بمنظوماته الفكرية ونظمه المختلفة الحاكمة وتحت قيادة الرسول الأكرم ﷺ سواء آمنوا برسالته الإسلامية أم لم يؤمنوا بها، وهكذا تشكل الهيكل والإطار السياسي والفكري العام لهذه الأمة.

٤. الإطار الاجتماعي:

إن هذه الأمة التي حددتها الصحيفة وأفسحت لها مجال التطور والتوسع لتتحول إلى دولة تضم دولاً أخرى وجغرافية أخرى فتجاوزت حدودها الأولى إلى دولة عالمية تضم شعوباً جديدة بلغات جديدة، فلم تحاول إلغاء النظام القبلي الذي كان الناس يعيشون في إطاره منذ زمن بعيد، بشكل تام بل اعترفت به وحاولت في الوقت نفسه تعديله وتهذيبه ليتفق مع فكرة الأمة الواحدة[٦].

٥. إطار الحقوق والواجبات:

لقد نظمت الصحيفة حقوق الأفراد والتزاماتهم في المجتمع، فنصت على أن جميع أفراد الأمة متساوون في حق الجوار لأن (ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم)[٧] غير أن الصحيفة قيدت هذا الحق بالنسبة للمشركين من قريش لأنها، كانت في حالة حرب مع المشركين.

كما نصت الصحيفة على احترام حقوق الولاء إلّا بأخذ الإذن والموافقة من أجل تجنب الخلافات، كما أكدت الصحيفة المسؤولية الفردية في المجتمع فلا يحاسب الفرد إلا على أعماله ولا يؤخذ بجريرة غيره كما كان الأمر في ظل القيم القبلية القائمة على العصبية.

٦. تعدد المكونات وحريتها:

أشارت الصحيفة لمجموعات بشرية يتشكل منها مجتمع دولة المدينة من المسلمين واليهود من سكان المدينة وممن يلتحقون بهم، وهذا يعطي صفة الاتساع والاستقطاب والتعددية بمفاهيمها المختلفة التي تتصف بها هذه الدولة مع ضمان حقوق وحرية ممارسة عقيدة وطقوس هذه المكونات.

لقد اعترفت الصحيفة لليهود بحرية ممارسة عقيدتهم، وديانتهم كما ضمنت لهم الحماية والمساواة في المعاملة فنصت على أنه: (من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم) لقد أقرت الصحيفة مفهوم الحرية الدينية بأوسع معانيه، وضربت عرض الحائط مبدأ التعصب ومصادرة الآراء والمعتقدات، على اعتبار أن أهل الكتاب سيتجاوبون مع الدعوة الجديدة ويسندونها في لحظات الخطر والصراع ضد العدو الوثني المشترك، أو أنهم على أسوأ الاحتمالات والتقادير سيكفون هذه الدولة شرورهم.

كما نصت على مبدأ المسؤولية الفردية لليهود كما لغيرهم.

٧. مصدر السلطات:

إن دراسة نصوص الصحيفة تشير إلى أنها جاءت تنفيذاً للمبادئ التي قررها القرآن الكريم، فقد نصت على أن صاحب السيادة والقرار والحكم في هذه الدولة (المدينة) هو الله تعالى، أما الرسول ﷺ فيمثل السلطة التنفيذية والقضائية التي تدير الأمور وتوجهها على وفق أوامر الله تعالى وتشريعاته، فقد ورد في نص الصحيفة على وجوب الرجوع إلى الله ورسوله فيما يختلف فيه، كما في النص التالي: (وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عزوجل وإلى محمد ﷺ)، مطابقاً لما ورد في القرآن الكريم: (**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ**) (النساء: ٥٩)، إذاً نحن الآن أمام دولة تتوافر لها عناصر الدولة من إقليم محدد بأرض المدينة وضواحيها، وشعب مؤلف من المهاجرين والأنصار واليهود، وسلطة متمثلة بحكومة الرسول ﷺ واستقلال كامل في حكم شعبها وإقليمها، حيث لم يكن مصطلح الدولة معروفًا بمعناه القانوني والسياسي عند العرب المسلمين قبل هذه المرحلة.

الخاتمة

من الواضح أن هذا الدستور يؤسس لنظام الدولة المدنية الواحدة التي تستوعب كل أعراقها وأديانها ومذاهبها وطوائفها المختلفة.

ولا شك أنه يُعنى بالدرجة الأولى بوحدة الأمة الإسلامية ومسألة التعايش بين الجميع والتي تعد أمل وطموح كل مسلم يريد الخير والإصلاح لأبناء هذه الأمة.

ومن هنا نجد النصوص القرآنية تؤكد على ضرورة التآلف والتآخي محذرة من الفرقة والاختلاف، قال تعالى: (**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**) (الانبياء:٩٢).

وفي هذا المسار كانت بيانات الرسول والنصوص التي وردت عن أهل بيت النبوة صلوات الله وسلامه عليهم، هي الدعوة لجعل الإسلام والوحدة محور حركة المسلمين وقوتهم، وكما يقال في ظل (كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة) وليس بالضرورة أن هذه النصوص يتوقف مرادها في حدود الاجتماع الإسلامي، إنما تتعداه إلى التعايش السلمي مع معتنقي الديانات الأخرى، فالإسلام كدين سماوي يرى أن هناك أصولاً ومشتركات جامعة بين أهل الديانات السماوية المختلفة منها:

١- وحدة الديانات: وهي الأصول المشتركة بين أتباع الديانات.

٢- الوحدة الإنسانية: وهي الأصول المشتركة بين الأجناس البشرية.

٣- وحدة النظم الحياتية: وهي نظم وقوانين الحياة والانسجام والتوافق، وقوامها الطبع الاجتماعي عند البشر. وحاجة الإنسان إلى غيره والتعامل معه.

وإن ضبط الحياة الإنسانية وإلزام المجتمع بنظم العدل والعدالة يمثل الأسس الضرورية التي تبتني عليها ركائز نظام التعايش السلمي والتآلف الاجتماعي.

قال تعالى: (**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا**) (آل عمران: ٦٤).

وهي الكلمة التي تشير إلى أن جميع البشرية بما أنها متساوية النسبة في العبودية لله تعالى فلا بد أن يتساوى الجميع في حق العيش والمواطنة والاجتماع). إن التشريع الإسلامي هو النور الذي يقود البشرية كما يصرح بذلك القران الكريم: (**أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**)(إبراهيم:١١)، وما دونه من السياسات والنظريات والتشريعات هي الظلمات، سواء الجاهلية الساذجة القديمة، أو المنظمة كما في التشريعات الوضعية ومعسكريها الشرقي والغربي.

لا مجال للمقارنة بين وضعية القانون اللّاشرعي وشرعية الأحكام الشرعية من حيث النظرية والتطبيق كون القانون الوضعي قانون يضعه الإنسان بما تمليه عليه أفكاره وآراؤه وحاجاته التي تتميز بمحدوديتها وقصورها والناشئة نتيجة لعنصريته وأنانيته، بينما يمثل الإسلام رؤية السماء لدور الإنسان وخلافته في الأرض في ضوء ما شرعه الله تعالى■

---

١)سيرة الرسول في القيادة والمناهج الإنسانية/ الشيخ سالم الصفار/ص١٨.

٢)الإسلام وحركة التاريخ/أنور الجندي/ص٣٣-٣٤.

٣)ينظر: مكة بين الجاهلية والإسلام/أحمد إبراهيم الشريف/ص٣٩٣-٣٩٩، الدولة الإسلامية / فلهوزن/ ص١١-١٥، دولة الفكرة/ فتحي عثمان/ص٥٩-٦٣.

٤)النظام السياسي في الإسلام/باقر شريف القرشي/ ص٣٦-٣٧.

٥)الأمة والجماعة والسلطة/السيد رضوان/ص٤٤.

٦)ينظر: ن.م/ص٥٤.

٧)نص الصحيفة.

مبدأ الرعوية الشاملة لمواطني الدولة في عهود الرسول صلى الله عليه وآله لأهل المدينة

الباحث: محمد رضا الشريفي

المركز الوطني لعلوم القرآن – بغداد

تمهيد

جاء في الإعلان العالمي لحقوق الانسان الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة بقرارها المرقم ٢١٧ في ١٩٤٨م عدد من المبادئ منها:

المادة الأولى:- يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وُهبوا عقلاً وضميراً وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء.

المادة الثانية:- لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء. وفضلاً عما تقدم فلن يكون هناك أي تمييز أساسه الوضع السياسي أو القانوني أو الدولي للبلد أو البقعة التي ينتمي إليها الفرد سواء كان هذا البلد أو تلك البقعة مستقلاً أو تحت الوصاية أو غير متمتع بالحكم الذاتي أو كانت سيادته خاضعة لأي قيد من القيود.

المادة الثالثة:- لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه.

وقد أصبح هذا الإعلان مرجعًا حقوقيًا يمثل آخر ما تفتقت عنه العقلية البشرية الوضعية والإرادة الإنسانية في العصر الحديث، وأصبحت حقوق المواطنة اليوم من أهمّ مطالب الحضارة ومعالم النظام السياسي العالمي المعاصر ومشاغله، وأصبحت الدول والأنظمة تباهي بمدى اعترافها بحقوق مواطنيها وعدلها وتسويتها بينهم في الحقوق والواجبات، وأصبح الحكم على صلاح تلك الأنظمة مستندا إلى درجة التزامها

جاء في الإعلان العالمي لحقوق الانسان الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة بقرارها المرقم ٢١٧ في ١٩٤٨م عدد من المبادئ منها:

المادة الأولى:- يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وُهبوا عقلاً وضميراً وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء.

المادة الثانية:- لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء. وفضلًا عما تقدم فلن يكون هناك أي تمييز أساسه الوضع السياسي أو القانوني أو الدولي للبلد أو البقعة التي ينتمي إليها الفرد سواء كان هذا البلد أو تلك البقعة مستقلًا أو تحت الوصاية أو غير متمتع بالحكم الذاتي أو كانت سيادته خاضعة لأي قيد من القيود.

المادة الثالثة:- لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه.

وقد أصبح هذا الإعلان مرجعًا حقوقيًا يمثل آخر ما تفتقت عنه العقلية البشرية الوضعية والإرادة الإنسانية في العصر الحديث، وأصبحت حقوق المواطنة اليوم من أهمّ مطالب الحضارة ومعالم النظام السياسي العالمي المعاصر ومشاغله، وأصبحت الدول

والأنظمة تباهي بمدى اعترافها بحقوق مواطنيها وعدلها وتسويتها بينهم في الحقوق والواجبات، وأصبح الحكم على صلاح تلك الأنظمة مستندا إلى درجة التزامها بتلك المبادئ.

وها هو الإنسان يهجر مسقط رأسه ومرابع صباه حاملًا معه عياله والقليل من متاعه، إذا ما ذُكر له في تخوم الأرض بلدٌ يصون له كرامته ويضمن له حقوقه بغض النظر عن جنسه ولونه وعرقه وديانته، فيعاني في سبيل بلوغ تلك الأرض الموعودة ما يعاني من شظف العيش وفراق الأهل والأحبة، وربما فقد حياته في البر أو البحر وهو في طريقه لتحقيق تلك الغاية البعيدة.

لكن الباحث المنصف يجد أن الإسلام قد أقام هذه المبادئ الأولية إضافة إلى مبادئه المركزية الأخرى وقرر مبدأ الرعوية الشاملة لجميع مواطني الدولة الإسلامية بغض النظر عن ألوانهم وأديانهم وأعراقهم ومكانتهم الاجتماعية ووضعهم الاقتصادي والقانوني. فالمواطنون في النظام الإسلامي

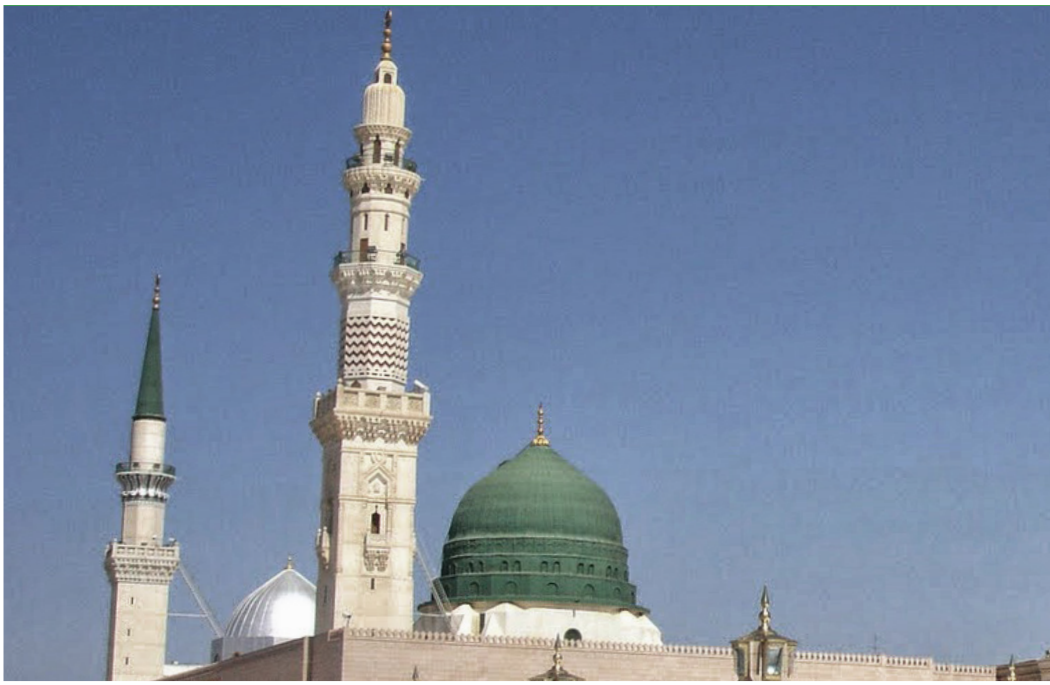

متساوون في جميع الحقوق المدنية من العيش والأمن والسكن والتنقل والعمل والتملك. كما أن تميز المواطن ومكانته في المجتمع يحددها معياران هما:

الأول: هو درجة تقواه ومستوى إيمانه لقوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**)

(الحجرات:١٣).

الثاني: هو مقدار الخدمات التي يقدمها للمجتمع ومدى التزامه بالقوانين والأنظمة العامة، لقوله تعالى: (**لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**) (النساء: ٩٥)، وقوله: (**لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**)(الحديد:١٠). ومنذ اليوم الأول لمقدم الرسول ﷺ إلى المدينة وتأسيسه للنظام الإسلامي فيها قرر بأن المواطنة حقٌ أصيل وثابت لكلّ فرد من أفراد المجتمع مهما كان وضعه، وإن الإنسان يحصل على ذلك الحق مع ولادته إن كان مسلمًا، ومع سكنه على أراضي الدولة الإسلامية إن كان معاهدًا أو ذميًا، وهذه الرعوية الشاملة لجميع أفراد المجتمع هي مما انفرد به الإسلام يوم مجيئه كما إنها كانت غريبة عن النظام الذي كان يحكم دول العالم آنذاك، وقد التفت الإسلام منذ ذلك الحين إلى سد أيّة ثغرة يمكن أن ينفذ منها أيُّ أحد للتشكيك ببنائه النظري الاجتماعي والسياسي المبرم من خلال إثارة مسألة أوضاع الشعوب غير المسلمة التي تعيش في كنف الأمة (الدولة) الإسلامية، فجاء بفتح فريد وغير مسبوق هو الآخر بإبداعه لمصطلح (أهل الذمة) الذي كفل جميع الحقوق المدنية لغير المسلمين بعدّهم مواطنين أصليين في الدولة الأم، وذلك ما نصت عليه أول وثيقة سياسية في تأريخ الإسلام وهي (وثيقة المدينة). وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله: (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**) (البقرة:٦٢)، وأعاد تأكيده بقوله: (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**) (المائدة:٦٩)، فالمتساوون في الحق الديني أولى بالتساوي في الحق المدني، وهذا ما أكدّه رسول الله ﷺ في بناء وتأسيس حضاري ومدني قد يجد بعض من ضاق بهم الأفق فلم يبصروا الحقيقة أنه تأسيس مدني غريب عن الدين وأطروحته، وما علموا إن من أسمى أهداف الدين هو إقامة الحياة المتمدنة المزدهرة والعادلة على هذا الكوكب، والذي يقرأ هذه النصوص السياسية التي كتبها رسول الله ﷺ لشعب الجزيرة ـ بل للعالم كلّه ـ بمختلف أديانه وأعراقه يقف مذهولًا أمام ذلك الفكر الخلّاق وتلك الروح السامقة التي جاء بها الإسلام ورسوله العظيم، ومن تلك النصوص هذا الكتاب: (بسم الله الرحمن الرّحيم، وبه العون، نسخة سجل العهد كتبه محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ إلى كافة النصارى: هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله إلى كافة الناس أجمعين بشيرًا ونذيرًا، ومؤتمنًا على وديعة الله

في خلقه، لئلا يكون للناس على اللّه حجة بعد الرسل، وكان اللّه عزيزًا حكيمًا، كتبه لأهل ملته، ولجميع من ينتحل دين النصرانية من مشارق الأرض ومغاربها، قريبها وبعيدها، فصيحها وعجميها، معروفها ومجهولها، كتابًا جعله لهم عهدًا، ومن نكث العهد الذي فيه، وخالفه إلى غيره، وتعدى ما أمره، كان لعهد اللّه ناكثًا، ولميثاقه ناقضًا، وبدينه مستهزئًا، وللّعنة مستوجبًا، سلطانًا كان أم غيره من المسلمين المؤمنين، وإن احتمى راهب أو سائح في جبل أو واد أو مغارة أو عمران أو سهل أو رمل أو ردنة أو بيعة، فأنا أكون من ورائهم ذابًا عنهم، من كل عدة لهم: بنفسي وأعواني وأهل ملتي وأتباعي، كأنهم رعيتي وأهل ذمتي، وأن أعزل عنهم الأذى في المؤن التي تحمل أهل العهد من القيام بالخراج إلّا ما طابت به نفوسهم، وليس عليهم جبر ولا إكراه على شيء من ذلك ولا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا حبيس من صومعته، ولا سائح من سياحته ولا يهدم بيت من بيوت كنائسهم وبيعهم، ولا يدخل شيء من مال كنائسهم في بناء مسجد ولا في منازل المسلمين، فمن فعل شيئًا من ذلك فقد نكث عهد اللّه، وخالف رسوله، ولا يحمل على الرهبان والأساقفة ولا من يتعبد جزية ولا غرامة، وأنا أحفظ ذمتهم، أينما كانوا: من بر

أو بحر، في المشرق والمغرب، والشمال والجنوب، وهم في ذمتي وميثاقي وأماني من كل مكروه...)[1] ومنها أيضا ما كتبه لأُسقف نجران: (بسم اللّه الرّحمن الرحّيم. من محمّد النبيّ إلى الأسقف أبي الحارث وأساقفة نجران وكهنتهم ومن تبعهم ورهبانهم، أنّ لهم ما تحت أيديهم من قليل وكثير من بيعهم وصلواتهم ورهبانيّتهم وجوار اللّه ورسوله، لا يغيّر أسقف من أسقفيّته، ولا راهب من رهبانيّته ولا كاهن من كهانته، ولا يغيّر حق من حقوقهم ولا سلطانهم ولا شيء ممّا كانوا عليه ما نصحوا وصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم ولا ظالمين)[2] ومن الواضح جدًا أن الرسول ﷺ لم يكتب هذه العهود لنفسه ولم يقصرها على عهده بل ألزم بها جميع المسلمين

وجميع أمرائهم وسلاطينهم في جميع الأعصار والأمصار. وبالفعل فقد عاش النصارى واليهود وغيرهم من أهل الأديان في الأراضي الخاضعة لسلطان المسلمين على مرّ العصور بأفضل مما عاش أقرانهم في البلدان الأخرى!

إن مبدأ المواطنة يقوم من أساسه على حاجة الفرد للتمتع بمزايا الانتماء للجماعة وحمايتها وحاجة الجماعة للتمتع بولاء الأفراد وخدماتهم بما يضمن الحرية والمساواة لهم جميعاً. ومهما بدا العنصر الديني كعنصر مركزي في النظام الإسلامي لكن الظاهر الذي لا لبس فيه من هذه العهود والمواثيق النبوية الكريمة إن مبدأ المواطنة يتجاوز ذلك العنصر لدواع تتعلق ببناء المجتمع وازدهاره ونشر الدعة والسكينة بين مكوناته.

ولعل أبرز تجسيد لهذا التأسيس النبوي لمبدأ الرعوية الشاملة قد ظهر في نهج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وسيرته إبان أيام حكمه وخلافته، وقد أخذه من القرآن الكريم وانتهجه من معلمه الأول رسول الله صلى الله عليه وآله، فمن كلام مهمٍّ له وجهه إلى الخوارج نعرف أنه كان مدركًا جدًا لمبادئ نظريته السياسية المتحضرة في المواطنة واستحقاقاتها، فقد قال لهم: (فإن أبيتم إلّا أن تزعموا أني أخطأت وضللت، فلم تضللون عامة أمة محمد بضلالي وتأخذونهم بخطئي، وتكفرونهم بذنوبي. سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسقم، وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب. وقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله رجم الزاني المحصن ثم صلى عليه ثم ورثه أهله. وقتل القاتل وورث ميراثه أهله. وقطع السارق وجلد الزاني غير المحصن ثم قسم عليهما من الفيء ونكحا المسلمات، فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وآله بذنوبهم، وأقام حق الله فيهم ولم يمنعهم سهمهم من الاسلام، ولم يخرج أسماءهم من بين أهله)[٣]، فالمواطنة في الإسلام حق دائم لا يسقط حتى عن المذنبين والمخالفين للقانون. ولا يُشترط فيه وحدة الدين والفكر والعرق والعقيدة، ففي ذات يوم (مر شيخ مكفوف كبير يسأل فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما هذا؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين نصراني، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه؟! انفقوا عليه من بيت المال)[٤]، فهذا هو البر وهذا هو القسط الذي قرره القرآن الكريم بقوله: **(لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)** (الممتحنة: ٨)■

---

١)مكاتيب الرسول/ الأحمدي الميانجي/ ج٣ص٧٥٨.

٢)ن.م/ ج٣ص١٤٨.

٣)نهج البلاغة/ الشريف الرضي ، ج ٢ ، ص ٧٠٨ .

٤)تهذيب الأحكام/ الشيخ الطوسي/ ج٦ص٢٩٣.

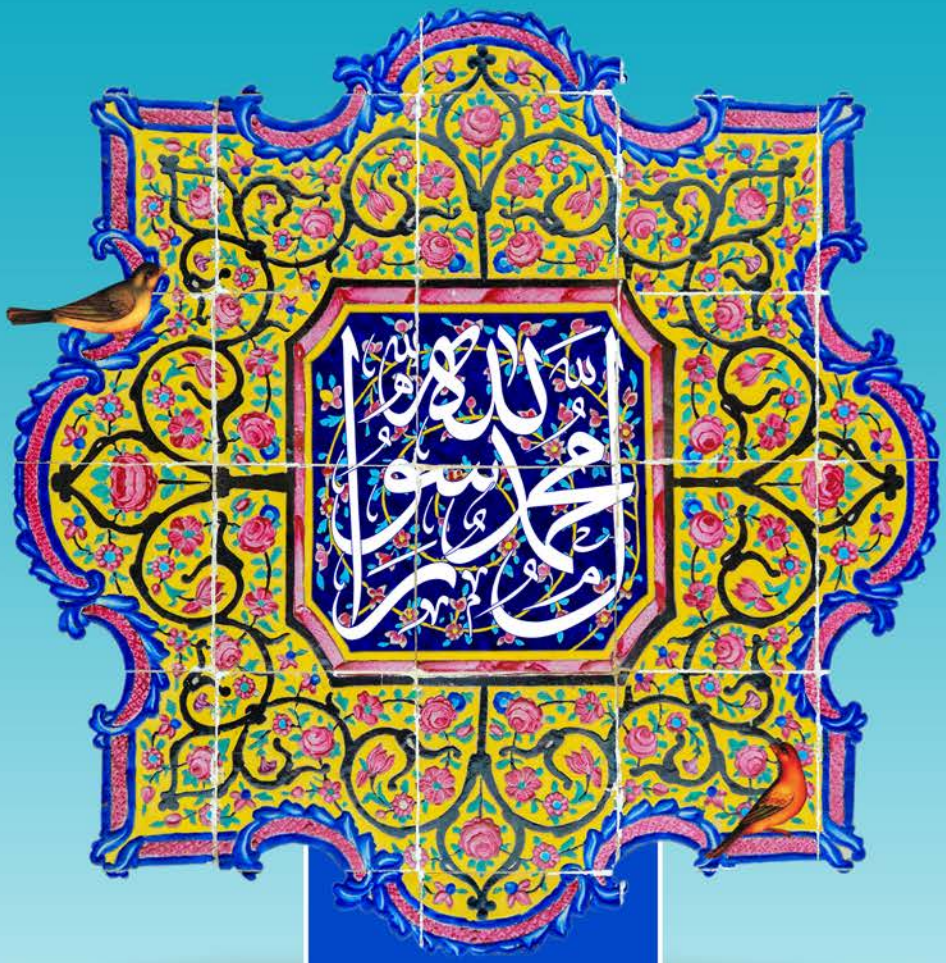

تمت

السلوك السياسي وإدارة الدولة في فكر الإمام علي عليه السلام .. رؤية نقدية

م.م. حامد عادل النصراوي
جامعة الكوفة - كلية التربية

ينابيع

إنّ المتابعَ والمحلل للسلوك السياسي يجد أنّ هنالك تباينًا واختلافًا في استقراء هذا السلوك، فالمدرسة الإسلامية تجده وسيلة لتحقيق مصالح الناس وتأمينها بشكل يحقق العدالة والمساواة بين الجميع من دون محاباة واستئثار بالسلطة، في المقابل قدمت المدرسة الغربية نظرة مغايرة بنسبة كبيرة، اذ عدّه بعضهم سلوكًا ذا خواص سلبية متمثلًا بخدمة المصالح الذاتية، إلا إنّ معظم الباحثين بدأوا يلاحظون أنّ التصرفات السياسية يمكن أن تنتج نهايات إيجابية، فالباحثون الذين بدأوا يدعمون دراسة السلوك السياسي الإيجابي تبنوا فكرة رئيسة تتمثل بأن السياسة هي مهارة ضرورية في القيادة بدلًا من وصفها مصدرًا للشر[١].

وبالرغم من ذلك فإن مختلف الباحثين يدركون أن السياسة هي سلبية بصورة عامة[٢]، إذ غالبًا ما ينظر لها بأنها مرادفة للأعمال القذرة والطعن بالخلف، لذلك تعد أمرًا مكروهًا ومن الأفضل تركه[٣]، فضلًا عن ذلك، فإن الجذور اللاتينية لكلمة سياسة Politics تشير إلى أن poli تعني (الكثير) و tics تعني (مصاصي الدماء)، لذا فإن هذا السلوك يعد سلوكًا سلبيًا بشكله العام[٤].

دوافع السلوك السياسي:

إن السلوك السياسي عادة ما ينطوي على أفعال متعمدة من أجل تعزيز النفوذ أو حماية المصلحة الذاتية للقادة أو الرعية أو الجماعات، لذا يُعَدّ أسلوبًا ضروريًا لمنح الفرد أو القائد القوة اللازمة لتحقيق ما يصبو إليه من أهداف وعلى اختلاف أنواعها[٥]، وعليه يتضح لدينا في ضوء أدبيات السلوك السياسي وتحديدًا الغربية منها بأن هنالك دافعين يكمن وراءهما هذا النوع من السلوك واللّذين سوف نستقرئهما في ضوء الإدارة السياسية للدولة إبان ولاية الإمام علي عليه السلام، وكما يأتي[٦]:

١.تلبية الاحتياجات الفردية والتنظيمية المشروعة وغير المشروعة

في ضوء ذلك فإن سيرة الإمام علي عليه السلام كانت تواقة لتقديم مصالح الرعية وعامة الناس من الفقراء وغيرهم على مصالحه واحتياجاته، لا بل كان يوظف حتى حقوقه لفقراء المسلمين، فمما يروى من مظاهر سياسة الإمام علي عليه السلام وعدله وإنسانيته الراقية في التعامل مع رعيته وعماله أنه قدم خادمه قنبرًا على نفسه في لباسه وطعامه، إذ في أحد الأيام اشترى الإمام علي عليه السلام ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم

والآخر بدرهمين، فأعطى الإمام الثوب الذي بثلاثة دراهم إلى قنبر وأخذ الثوب الذي بدرهمين لنفسه، فقال قنبر: (أنت أولى به يا أمير المؤمنين، تصعد المنبر وتخطب الناس، فقال عليه السلام: يا قنبر أنت شاب ولك شرة الشباب، وأنا أستحيي من ربي أن أتفضل عليك)[٧]، إذ نجد من خلال هذه الحادثة البسيطة كيف يقدم الإمام علي عليه السلام خادمه قنبر عليه في ملبسه وهو قائد دولة، لذلك نستقرئ أن الإمام عليه السلام هو أحوج ما يكون إلى اللباس الجيد كونه خليفة المسلمين ويجب أن يظهر بمستوى عالٍ فيما يخص المظهر الخارجي، لكنه لا يرى أن إدارة الدولة بحاجة إلى الملبس بقدر حاجتها إلى سلوك سياسي عادل يحقق الرفاه والعيش الرغيد للأمة، لذا أراد أن يعطينا درسًا كيف يقدم قائد الدولة الرعية على نفسه ويفضلهم عليه مشيعًا بذلك روح التكافل والإيثار بالذات، وهي في الواقع أبسط صورة ومفردة سلوكية يعطيها الإمام علي عليه السلام للقادة المتصدين لإدارة الممالك والدول.

كذلك من الصور السياسية الأخرى التي يصورها لنا الإمام علي عليه السلام ما حدث

في معركة صفين عندما سبق جيش معاوية جيش الإمام إلى ميدان القتال واستولوا على مشرعة الفرات ومنعوا جيش الإمام علي عليه السلام من الوصول إلى الماء، فضج أصحاب الإمام وأفراد جيشه من ذلك السلوك العدواني الذي قام به معاوية وجيشه، بعدها قام الإمام فخطب بجيشه وقال ما نصه: (اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ، فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّة، وَتَأْخِير مَحَلَّة، أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاء تَرْوَوْا مِنَ الْمَاء، فَالمَوْتُ في حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، وَالْحَيَاةُ في مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ، أَلاَ وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَّةً مِنَ الْغُوَاةِ وَعَمَّسَ فَعَلَيْهِمُ الْخَبَرَ، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ)[٨]، فاستنهض الإمام بكلامه همم الرجال بجيشه للوصول إلى مشرعة الفرات للاستيلاء عليها، وعندما حصل ذلك وجلا جيش معاوية بقوة السلاح والسيطرة عليها، (قال أصحاب الإمام علي عليه السلام له: امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك. فقال: (لا، خلوا بينهم وبينه لا أفعل ما فعله الجاهلون فسنعرض عليهم كتاب الله وندعوهم إلى الهدى فإن أجابوا وإلا ففي حد السيف ما يغني إن شاء الله)، .... فو الله ما أمسى الناس حتى رأوا سقاتهم وسقاة أهل الشام ورواياهم وروايا أهل الشام يزدحمون على الماء ما يؤذي إنسان إنسانا)[٩]، هنا تتضح لدينا صورة في قمة النُبل، فوفقًا للمصالح التنظيمية لقيام وانتصار دولة الإمام عليه السلام أن تقطع المشرعة على الأعداء في إشارة إلى تضييق الخناق عليهم وقطع مختلف سُبل الانتصار لديهم وذلك لتحقيق الانتصار بأقل التكاليف، لكن في ضوء المنظومة الفكرية والسياسية للإمام عليه السلام فأن هذا السلوك يتعارض ومتبنياته السياسية في إدارة صراع الدولة مع خصومها، فهو بذلك يعرض لنا صورة في قمة الروعة تمثلت في عدم توظيف الوسائل المشروعة (الماء) بأسلوب غير مشروع (قطع الماء) بشكل يلحق الأذى بالأعداء رغم أن أعداء الدولة قد وظفوها ضدهم في بادئ الأمر، لكن خلق الإمام عليه السلام في إدارة حلبة الصراع التي تمثل في حقيقة الأمر جانباً مهما من جوانب إدارة الدولة كانت تقوم على توظيف الأدوات بأسلوب نبيل، فكان أمره أن لا يمنع الأعداء من الوصول إلى المشرعة، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على مبادئ سلوك سياسي تقوم وفق معادلة في قمة الإنسانية حتى مع ألدّ خصومه وهو معاوية بن أبي سفيان، وهو بذلك حطم الدافع الأول للمنظومة الفكرية التي تتبناها أدبيات السلوك السياسي الغربي من خلال تقديم مصلحة الرعية على نفسه والتعاطي بنحوٍ إيجابي مع خصومه.

ا.خدمة الأغراض الأخلاقية وغير الأخلاقية

فالسلوك السياسي يعد أخلاقيًا ومناسبًا في ظل شرطين:

أولهما: إذا كان يحترم حقوق جميع الأطراف المتأثرة.

ثانيهما:إذا التزم بشرائع العدل (الحكم المنطقي لما هو عادل ومنصف) والعكس بالعكس، ففي رواية (عن الأصبغ بن نباتة، أنه قال: كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إذا أتي بالمال أدخله بيت مال المسلمين، ثم جمع المستحقين، ثم ضرب يده في المال فنثره يمنة ويسرة، وهو يقول: يا صفراء، يا بيضاء، لا تغريني، غري غيري، ثم لا يخرج حتى

يفرق ما في بيت مال المسلمين ويؤتي كل ذي حق حقه، ثم يأمر أن يكنس ويرش، ثم يصلي فيه ركعتين، ثم يطلق الدنيا ثلاثا، يقول بعد التسليم :يا دنيا لا تتعرضي لي ولا تتشوقي ولا تغريني، فقد طلقتك ثلاثا لا رجعة لي عليك)[١٠]، لكن هذه السياسة العادلة والأخلاقية للإمام عليه السلام في توزيع المال سبَّبت له أزمات سياسية واجتماعية مع البعيدين والقريبين منه، فقد خلقت مصاعب مع جيشه وتنكر له الأعيان من البلاد وقاطعته قبائل قريش الاقطاعية التي استأثرت بالمال والهبات في العهد الذي سبق ولايته، ونتيجة للسياسة العادلة في توزيع المال دفع الإمام علي ثمنًا باهضًا في تخاذل جيشه وتوجهه صوب معاوية، فـ (لما عوتب على التسوية في العطاء قال عليه السلام: أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ؟!.... لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللّه)[١١]، في لحاظ هذا الموقف الكبير نجد الإمام عليًا عليه السلام لم تعرف مفردات سياسته إلا الصور الأخلاقية العادلة التي تمثل في حقيقتها أخلاق السماء والرسالة المحمدية.

العوامل المؤثرة في تنامي السلوك السياسي:

أفرزت أدبيات السلوك السياسي جملة من العوامل المؤثرة في خلق وتنامي السلوك السياسي لدى بعض القادة والتي سوف نناقشها ونحللها في ضوء سياسة الإمام علي عليه السلام التي نورد بعضًا منها بالآتي[١٢]:

أ- عوامل على المستوى الشخصي: وتتضمن ما يأتي:-

١-الحاجة للسلطة: بعض القادة يكون لديهم حاجة وميول للسلطة، كما حددها ماكليلاند. فهي كما تدفع الأفراد للبحث عن التأثير في الآخرين، فهي تحفز أيضًا استخدام هذه السلطة لتحقيق مكاسب سياسية، لكن الإمام علي عليه السلام لم ينظر إلى السلطة كمغنم، إذ لم يتصارع من أجلها، كما فعل الكثيرون، وإنما هي التي تصالحت معه، فالسلطة عبر التأريخ لم تتصالح مع أحد، سوى مع علي عليه السلام، فالسلطة عنده عليه السلام وسيلة وليس هدف، يقول الإمام عليه السلام: (اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّه لَمْ يَكُن الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ ولَا الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ ولَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ ونُظْهِرَ الإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ وتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ)[١٣]، إن فلسفة الإمام عليه السلام السياسية في التعاطي مع السلطة لم تكن بدافع الحاجة لها فهو أسمى من ذلك، لكن طبيعة السلطة المنوطة به تفرض عليه توظيفها بصورة سياسية تجعل منها وسيلة لتحقيق الإصلاح ورد المظالم وإقامة الحدود وبما يكفل سلام وصلاح الأمة الإسلامية.

٢- مشاورة العلماء والحكماء:

فقد ورد في عهد الإمام عليه السلام لمالك الأشتر النخعي (رض) ما نصه: (وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ وَمُنَاقَشَةَ الْحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ)[١٤]. من خلال هذا المقطع من العهد يتضح بأن صلاح أمر البلاد (الغاية) لا يكون من دون مجالسة ومدارسة العلماء والحكماء (الوسيلة) في أمور الأمة، لذا يعود الإمام عليه السلام من جديد ويعطينا ومضة ودرساً جديداً تمثل في إشاعة فكرة ومفهوم مشاورة العلماء والحكماء في التعاطي مع المفردات والأحداث العامة

التي تواجه الأمة .

ب- عوامل على مستوى الأمة (الدولة): وتتضمن ما يأتي:-

١.التنافس القوي على الموارد النادرة

كانت السياسة المالية التي انتهجها الإمام عليه السلام امتدادًا لسياسة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الذي عني بتطوير الحياة الاقتصادية، وإنعاش الحياة العامة في جميع أنحاء البلاد، بحيث لا يبقى فقير أو بائس أو محتاج، وذلك بتوزيع ثروات الأمة توزيعًا عادلًا على الجميع، فليس لأحد على أحد فضل أو امتياز، وإنما الجميع على حدٍّ سواء. فلا فضل للمهاجرين على الأنصار، ولا للعربي على غيره، وعلى أي حال فإن السياسة الاقتصادية التي تَبنّاها الإمام عليه السلام قد أثارت غضب الرأسماليين من القرشيين وغيرهم وثقلت على القوى المنحرفة عن الإسلام، فانصرفوا عن الإمام وأهل بيته عليهم السلام، والتحقوا بالمعسكر الأموي الذي يضمن لهم الاستغلال، والنهب، وسلب قوت الشعب، والتلاعب باقتصاد البلاد، من خلال ما سبق يتضح أن هنالك تهافت ومنافسة كبيرة على الأموال دفعت الإمام عليه السلام إلى وضع الأمور في نصابها الصحيح وتأمين حقوق الناس لضمان حياة آمنة ومستقرة وتكفل العدالة وعدم الظلم بين الجميع من دون استثناء، وهذا لا يتحقق ما لم تكن هنالك معالم لسياسة اقتصادية تسير في ضوئها الدولة لا كما كان إبان فترات الحكام السابقين إذ تفشت الطبقية وانتشر الفقر وشاعت الفاحشة، لذا يؤشر لدينا مرة أخرى كيف تعامل الإمام عليه السلام مع الرعية بلغة السياسة ولكن بلمحة اقتصادية تعطي كل ذي حق حقه من دون زيادة أو نقصان أو إجحاف.

١.حجم المؤسسة (الدولة):

إن السلوك السياسي أكثر تناميًا في الدول والمؤسسات الكبيرة مما عليه في الصغيرة، ولعل سائلًا يسأل، لماذا؟ إن طبيعة الديمغرافية المتنوعة لكل مصر من الأمصار وأعداد الناس الكبيرة ونوعية الولاة اللذين يكلفهم، تحتم على قادة الدول اتباع أساليب سياسية متنوعة تراعى فيها مصالح الأمة، لذلك تباين شكل الدولة عند الإمام علي عليه السلام حسب قدرات أصحابه ومكانتهم لديه عليه السلام، فقد اتبع أسلوب الإدارة المركزية مع بعض ولاته، واتبع أسلوب الإدارة اللامركزية مع مالك الأشتر النخعي (رض) في عهده إليه وتوليته مصر، فـ (مالك) عند (علي) عليه السلام مثل(علي) عليه السلام عند(محمد) صلى الله عليه وآله، فالإمام عليه السلام قال بحق مالك: (لقد كان لي كما كنت لرسول اللّه صلى الله عليه وآله)، وقد انفرد مالك الأشتر بهذه المنزلة عند الإمام من بين جميع أصحابه، فالإمام عليه السلام وضع ثقته المطلقة بـ (مالك)، حيث يقول له: (...فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين، وأقمع به نخوة الأثيم، وأسد به الثغر المخوف... فإني إن لم أوصك اكتفيت برأيك)[١٥]، فلا ضرورة ولا حاجة للإشراف على سلوكه وأعماله في الولاية، وعليه يُبين لنا هذا التعاطي من قبل الإمام عليه السلام مع ولاته في الأمصار المختلفة، والذين يملؤون أرجاء الأمة الإسلامية، صورًا سياسية متنوعة توضح مستوى عاليًا جدًا من النضج والإدراك والفهم والاستيعاب للمنظومات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية لهذه الولايات. لذلك كان الإمام سباقًا وسياسيًا حاذقًا في تعامله مع هذا التنوع والتعدد

الديمغرافي الذي يحتم عليه إيجاد فرشة سياسية متنوعة تتناسب وهذه التركيبة المختلفة سواء على مستوى الولاة أو الأمصار.

١.أهمية القرار:

إن القرارات الهامة دائمًا ما تحفز القادة نحو مزيد من القرارات السياسية، على عكس القضايا الأقل أهمية إذ تجذب اهتمامًا وانتباهًا قليلًا، فحينما بُويع الإمام علي عليه السلام على تولّي الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفّان، قبلها مكرهًا وقال قولته الشهيرة: (دَعوني والتَمسوا غيري...)، ثم قال أيضاً مخاطباً الأُمّة: (...وأَنَا لَكُمْ وَزِيرًا خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرًا...)[١٦] أي أن أكون بعيدًا عن القرار (وزير) خير وأفضل من أكون في موقع القرار والمسؤولية (أمير) إذ أنّ الموقع الثاني يستبطن إصدار الأوامر والقرارات الصعبة التي تتطلّب قاعدة بشرية واعية ومطيعة قد وطّنت نفسها على خوض غمار الصعوبات، وعلى هذا الأساس فإنّ بيعتكم لي يجب أن تكون بيعة قد أخذت في حسابها جميع هذه الأمور وإلّا فأنا (لَكُمْ وَزِيرٍ خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِير).

وقد قبلت الأمّة شروط الإمام - بعد أن بلغ الإصرار أشدّه على الإمام في قبول الخلافة - وكان مقتضى هذا القبول قبول المنهج الجديد في العمل السياسي والاجتماعي والإداري، وكانت خلافته بداية عهد جديد ونقطة تحوّل في الخط الذي وجد بعد النبي صلى الله عليه وآله. إنّ أُولى وأكبر العقبات التي واجهت الإمام عليًا عليه السلام فور تسلّمه زمام الأمور هو انشقاق معاوية وتخلّف الشام عن الانضمام إلى بيعته. والذي يحتم على الإمام عليه السلام اتباع سياسة يُرسي من خلالها معالم دولة العدل الإلهي التي تختلف في متبنياتها وسياستها ما ينشده معاوية من البذخ والابتذال والرذيلة وغيرها الكثير، وهذا ما يتعارض ورؤية الإمام في إدارة الدولة، لذا إن طبيعة القرار كلما كانت مهمة تجذب قدرًا عاليًا من الصبغة السياسية والعكس بالعكس.

وفي الختام نستخلص مما سبق أن الإمام عليًا عليه السلام قدم لنا منظومة رائعة في الفكر السياسي وهي ترقى أن تكون نظرية رائدة في الأدب السياسي وهي فعلًا كذلك، يستند إليها المهتمون والمريدون ويسيرون بمقتضاها في إدارة الدولة، إذ نتلمس أن الإمام عليه السلام كان سياسيًا حاذقًا طالبًا للإصلاح مريدًا للخير محققًا للعدل طامحًا للفلاح، لذا استطاع الإمام عليه السلام أن يقدم نموذجًا رائدًا للعمل السياسي الصالح على عكس ما تطرحه أدبيات العمل السياسي المعاصر من نحو المكر والخديعة والتلاعب في أذهان الناس، فهذا هو الجوهر الحق للإسلام السياسي لا كما يحاول بعضهم أن يطرحه بصورة مشوهة عرجاء يراد منها تشويه الصورة الناصعة والبراقة التي طرحها الفكر العلوي في إدارة الدولة الذي يمثل امتدادًا للفكر المحمدي الذي هو في الحقيقة فكر السماء، لذلك ما أحوج قادة هذا الزمان إلى الاقتداء ولو بنزر قليل من شذرات علي عليه السلام التي أضحت معالم وسننًا تملأ المحافل والمؤسسات العالمية■

---

١) Ellen .، Hassell، Karen; Ashcroft، Darren M.; et al.(2013). Organizational Philosophy as a New Perspective on Understanding the Learning

of Professionalism. American Journal of Pharmaceutical Education Volume: 77 Issue: 10، p.284.
2) Colquitt، A. J.، Jeffery، A. L.، & Wesson، J. M.،.(2013). “Organizational Behavior”، McGraw-Hill Companies، Inc.، 3rd. p.428.
3) Griffin W. R.، & Moorhead، G.،.(2014).“Organizational Behavior: Managing People and Organizations”. Cengage Learning، 11th، . ، p.386.
4) Ellen et al.، 2013، p.284.
5) Ivanko Stefan.(2013). “Organizational Behavior”، Ljubljana، 1st،p.211.
6) Griffin W. R.، & Moorhead، G.(2014). “Organizational Behavior: Managing People and Organizations”. Cengage Learning، 11th.p.388.
٧) الغارات/ابراهيم بن محمد الكوفي/ج١ص١٠٦.
٨) نهج البلاغة/تحقيق صبحي الصالح/ص٨٨.
٩)بحار الأنوار/العلامة المجلسي/ ج٣٢ ص٤٤٣.
١٠) الأمالي/للشيخ الصدوق/ ص٣٥٨.
١١) نهج البلاغة/تحقيق صبحي الصالح/ص١٨٣.
١٢) تجربة الإمام علي عليه السلام في إصلاح الدولة والمجتمع .مجلة كتابات. ص٤.
١٣) نهج البلاغة/تحقيق صبحي الصالح/ص١٨٩.
١٤) م.ن/ص٤٣١.
١٥) الأمالي/الشيخ المفيد/ص٨٠.
١٦) نهج البلاغة/تحقيق صبحي الصالح/ص١٣٦.

من تواضع النبي صلى الله عليه وآله:

عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ زَيْدٍ الشَّحَّامِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: مَا أَكَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله مُتَّكِئاً مُنْذُ بَعَثَه اللهُ عَزَّ وجَلَّ إِلَى أَنْ قَبَضَه، وكَانَ يَأْكُلُ إِكْلَةَ الْعَبْدِ ويَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، قُلْتُ: ولِمَ ذَلِكَ ؟، قَالَ : تَوَاضُعاً لله عَزَّ وجَلَّ.

الكافي: ج٦، ص٢٧١

رَمزِيَّةُ الحُوارِ في فِكرِ الإمام الصَّادق عليه السلام

الدكتور حسين علي هادي المحنة
جامعة بابل / كلية الدراسات القرآنية

الرمز لغةً:

هو الإشارة بالشفتين أو العينين أو الحاجبين، واليد والفم واللّسان[١]، ومن العلماء مَن قصرَ الرمز على الشفتين، وذهب بعضهم إلى أنّ الرمز هو الصوت الخفي[٢] واستدلّ أصحاب هذا الرأي بقوله تعالى: (**أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا**) (آل عمران:٤١). وجاء في لسان العرب: الرمز تصويت خفي باللسان كالهمس ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة صوت، إنّما هو إشارة بالشفتين[٣].

الرمزُ في لغة العرب الإشارة، وفي كلام العرب ما يدلّ على أنّ الإشارة أو الرمز طريق من طرق الدلالة، فقد تصحب الكلام فتساعد على الإفصاح والبيان. وهناك مَن فرّق بين الإشارة والرمز، لأنّ الإشارة في ضوء ما يرى جزء من عالم الوجود المادي، أما الرمز فهو جزء من عالم المعنى الإنساني، والإشارة مرتبطة بالشيء الذي تشير إليه على نحو ثابت، وكلّ إشارة واحدة ملموسة تشير إلى شيء واحد معين، أما الرمز فهو عام الانطباق، أي يوحي بأكثر من شيء، وهو متحرك ومتنقل ومتنوع[٤].

الرمز في الاصطلاح:

قال ابن رشيق: (الإشارة في كلّ نوع من الكلام لمحة دالة واختصار وتلويح يعرف مجملًا، ومعناه بعيد من ظاهر لفظه)[٥].

يستعمل المتكلم الرمز في كلامه؛ لغرض إخفائه عن الناس كافة والبوح به إلى بعضهم، ويُطلع على ذلك الموضع مَن يريد إفهامه فيفهمه البعض، ويخفى على الآخرين.

الحوار لغةً:

للحوار معانٍ ودلالات متعددة تتضافر في مراجعة الكلام، والرد، والتفاعل، والتجاوب، والاستنطاق.

والحوار مشتق من الحَور وهو مصدر حارَ يحُورُ حورًا إذا رَجَعَ، والحَورُ الرجوع عن الشيء إلى غيره[٦]، وتقول: حَاوَرتُه: رَاجعتُه الكلامَ، وما أحَارَ جَوابًا أي ما رَجَعَ، والمحاورةُ: المُجاوَبَةُ، واستَحارَهُ: استَنطَقَهُ[٧].

الحوار في الاصطلاح:

مراجعة الكلام بين طرفين، أو أكثر بصورة متكافئة، ويغلب عليه الهدوء والرغبة في الوصول إلى الحق، وإظهار الحجة، ودفع الشبهة، والبعد عن التعصب والخصومة[٨].

فكر الإمام الصادق عليه السلام:

عندما نجوسُ في سيرة الإمام السادس من أئمة أهل البيت عليهم السلام الإمام الصادق عليه السلام إمام العلماء، وأستاذ الفقهاء، فإنّنا سنلمح مُعطىً فكريًّا مهمًا من معطيات فكره النيّر الذي نخالُ أنّه يمثّل حاجةً لازمةً عند الإمام عليه السلام ولاسيما في تلكم الظروف السياسية من جانب، والمجريات الاجتماعية والثقافية في العصر العباسي من جانب آخر، فالإمام عليه السلام كان معاصرًا لحكام بني العباس، ولاسيّما المنصور الدوانيقي (أبو جعفر) الذي طالما كان حاسدًا للإمام محاولاً توهين مرتبته السياسية، ومنزلته العلمية، على الرغم من أنّه وعى المِرقاة المُعجبة التي حظيَ بها الإمام عليه السلام.

الإمام الصادق عليه السلام ركنٌ كبيرٌ في الدين والعلم المنوّع والفكر، وهو نبراس رئيس ولا جدال، ومشعل صلاة، تمجّده المهابة، ومحاريب القداسة، وحسبه في الإسلام من الشجرة المثلى القائمة على العدل، والعلم الذي يتجسّد في شخصيته التي تجلّت معالمها بوضوح في الدين، وفي الفقه، والعلوم الصرفة (الكيمياء، والطب، والفلك وغيرها) فهو جامعة قائمة بذتها، ورسالة وإمامة[٩].

حاول الإمام الصادق عليه السلام إرساء معالم ثقافية قرآنية داخل مدرسته، عبر التنبيه على مرجعية القرآن الكريم بوصفه الحصانة الأولى في المجتمع، فكان داعيًا إلى استنطاق القرآن حتى يصطبغ المجتمع آنذاك، وفيما بعد بالأدب القرآني[١٠].

فهو النور الذي انبثق من مطلع النبوة فاستضاء به المسلمون في السير بإمور دينهم ودنياهم إلى ساحل النجاة، واهتدوا به إلى الطريق القويم واقتبسوا منه ما أنار البصائر وكشف حجب الظلمات عن الضمائر، إمام المجاهدين في سبيل الله تعالى وقدوة الذابين عن بيضة الإسلام والذائدين عن حمى الدين والمدافعين عن شريعة جدّه سيد المرسلين[١١].

رمزية حوارات الإمام عليه السلام:

في ظلّ الوقوف على قسم من الحوارات التي كان الإمام الصادقَ عليه السلام طرفًا فيها نجد أنّها قد انمازت بتنوّع أساليبها، فتارةً تلين هنا، وتشتدّ هناك، ويوجزها هنا، ويُطنب هناك، وصاحبها عارفٌ أنّ بعض المواقف تحتاج إلى حكمة وعرفان، وإذا تأملنا قوله عليه السلام للمنصور العباسي، والذي يُعدّ من الحوارات المُعجبة، والتي قلّما يجود بمثلها الزمان، وقد غضب المنصور بسبب الوشاية من بعض الحاقدين الذين أثاروا غضبه على الإمام وحذّروه من أنّ حكمه في خطر حقيقي، بدعوى أن الإمام يعمل على إسقاطه، فقال المنصور: (إنّ أوّل مَن قال الحقَّ جدُّك، وأوّل مَن صدّقه أبوك، فأنتَ حريٌّ بأن تقتصَّ آثارهما، وتسلك سبيلهما)[١٢].. فجاء ردُّ الإمام عليه السلام والذي نلمح فيه هذه الرمزية التي تنمُّ عن فكر وقاد، وإشارات جسّدت أهدافًا لايفقهها إلّا أصحابُ البصيرة الثاقبة والحكمة المتعالية، قال الإمام عليه السلام: (أنا فرعٌ من تلك الزيتونة، وقنديلٌ من قناديل بيت النبوة، وسليل الرسالة، وأديبُ السَفَرَة، وربيبُ الكرام البَرَرَة، ومصباح من مصابيح المشكاة التي فيها نور النور، وصفوة الكلمة الباقية في عَقَبِ المصطفين إلى يوم الحشر)[١٣].

فنرقب في ضوء جواب الإمام عليه السلام

على

المسند

إليه (أنا)

والمسند الرمز

السيميائي الخلاب.

استعمل الإمام الرمزية في حواره مع الآخر لغرض طيِّه عن الناس كافة، والإفضاء به إلى بعضهم، ويُطلِعُ على ذلك الموضع مَن يريد إفهامه، فيكون ذلك قولًا مفهومًا بينهما مرموزًا عن غيرهما[١٤].

ونبصرُ رَدَّ فعل المنصور تلقاء ردِّ الإمام الصادق عليه السلام، إذ أبان لجلسائه ـ بفعل تراتبية الرمزية ـ عن عمق الألفاظ، وعُلوِّ أفقها، وسموِّ دلالاتها، كيف لا وقد فتّشَ الإمام مع أهل البيت عليهم السلام في مناجم الماس حتى رصَّعَ للزمان جبهةً زهراويةً، ومحاريبَ تُزار كلّما نهضت للرقاع يراعةٌ[١٥]، فالتفتَ إليهم قائلًا: (قد أحالني على بحرٍ موّاج لايُدرَكُ طرفُه، ولايُبلَغُ عمقُه، تغرَقُ فيه السُّبحاءُ، ويُحارُ فيه العلماءُ، ويضيقُ بالسامع عرضُ

رموزًا

تشدُّ

القارئ،

وتجعله في دائرة

الاتصال الكلامي

مع المتكلم، ولاسيّما

الأنوية التي بدأ بها النَّص

(أنا) وتسلسل الرمزية السيميائية

(فرع من تلك الزيتونة، قنديل، سليل، أديب، ربيب، مصباح، صفوة)،

ولايخفى التعاقب الجملي المتوازن القائم

الفضاء)[١٦]، فحوار الإمام معه يفهمه السامعُ على أنَّ الإمام يمدحُ نفسَه وبيتَه العريق، ويُثني على آله الأطهار، لكنَّ الدوانيقي أدرك ما في كلام الإمام عليه السلام من إشارات عميقة، وسيميائية عصيَّة لاتُفكُ إلّا بكدِّ الذهن وإعمالِ الفكر لبيان دلالتها، فنراه يصرّح جهارًا بفعل الاستدعاء الذي لامناص منه، قال: (لولا ماتجمعني وإيّاه ـ يعني الإمام ـ من شجرة مباركة طاب أصلُها، وبَسَقَ فرعُها، وعَذبَ ثمرُها بوركت في الذّر، وتقدّست في الزُّبُر لكان منّي إليه ما لايُحمَدُ من العواقب، لما يبلغني من شدّة عيبه لنا، وسوء القول فينا)[١٧].

وتتجلى رمزية الحوار وسيميائيته في ظل التأثير في الآخر فامتصاص غضب المنصور والرجوع به من حالة الهيجان والحَنَق إلى حالة الهدوء والسكينة يُظهرُ لنا سحرية البيان الصادقي من حالة اللاوعي إلى حالة الوعي للمحاور، ومن حالة الابتعاد عن الواقع إلى حالة الواقع. وقد ألفينا هذا في قول المنصور، قال: (قد قبلتُ عذرَك لصدقك، وصفحتُ عنك لقدرك، فحدِّثني عن نفسك بحديث أتّعظُ به، ويكون لي زاجر صدقٍ عن الموبقات).

وأبصر بالمحاورة بين الإمام عليه السلام والدوانيقي، فقد روى المؤرخون أنَّ المنصور استدعى الإمام الصادق عليه السلام وأجلسه إلى جنبه، وهو يحنَقُ عليه حسدًا وبغضًا وعداوةً، وفي أثناء الحوار وقع الذبابُ على وجه المنصور، ولم يزل يقع على وجهه وأنفه حتى ضجِر منه، فقال: (يا أبا عبد الله لِمَ خلقَ اللّه الذبابَ؟) فقال الإمام عليه السلام: (ليُذلَّ به الجبابرةَ)[١٨].

وهنا يتجلّى لنا هذا التثمير الدلالي في قول الإمام عليه السلام في ضوء استرفاد المعجم القرآني، فقد أشار ضمنًا إلى قوله تعالى :(**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**)(الحج:٧٣). وهذا من أبلغ ما أنزله الله في تجهيل قريش، واستركاك عقولهم، وتضعيف منزلتهم حيث وَصَفُوا بالإلهية ـ التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلِّها، والإحاطة بالمعلومات عن آخرها ـ صورًا وتماثيلَ يستحيل منها أن تقدر على أقلِّ ما خلقه، وأذلّه وأصغره وأحقره، ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا.

وأدلّ من ذلك على عجزهم، وانتفاء قدرتهم: أنَّ هذا الخلق الأقل الأذل لو اختطف منهم شيئًا فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا[١٩]. استدلَّ الإمام عليه السلام على رمزية الذباب في صغر حجمها، وضعفها، وعجزها، وكيف تختطف الأشياء وتفعلُ فعلَها، وهم عاجزون ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا، وهو ملمحٌ دلالي اعتباري وعظي إرشادي.

ونُبصرُ تنوّعَ الحوارات الصادقية بمعاينة الظروف السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، ونستشرف أيضًا ضخَّ الحجج والبراهين والأدلة الساطعة في حواراته من أجل المقاربات التواصلية التداولية بينه عليه السلام وبين الآخرين، ودونك حواراته مع الزنادقة والملحدين والفاسدين والغلاة الذين ما فتئوا يريدون تشويهَ الإسلام وقيم القرآن السامية.

لقد كان ابن أبي العوجاء من تلامذة الحسن البصري، فانحرف عن التوحيد،

وصادف أن التقى الإمام عليه السلام فقال له: أفتأذن لي في الكلام؟ فقال عليه السلام: تكلّم. فقال: (إلى كَم تدوسون هذا البيدر، وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والحجر، وتهرولون حوله كهرولة البعير إذا نَفَر، إنَّ مَنْ فكّر في هذا وقدّر، عَلِمَ أنَّ هذا فعلٌ أسّسه غيرُ حكيم ولا ذي نَظر، فَقُل فإنَّكَ رأسُ هذا الأمرِ وسنامُه، وأبوك أُسُسَهُ ونظامُه)[٢٠].

فقال عليه السلام: (إنَّ مَن أضلَّه اللّهُ وأعمى قلبه، استوخم الحقَّ ولم يستعذبه وصار الشيطان وليَّه، يورده مناهلَ الهلكة، ثمّ لايصدره، وهذا بيتٌ استعبد اللّه عبادَه ليختبر طاعتَهم في إتيانه، فحثَّهُم على تعظيمه وزيارته، وجعلَه محلَّ أنبيائه، وقبلةً للمصلين له، فهو شعبةٌ من رضوانه، وطريقٌ يؤدي إلى غفرانه، منصوبٌ على استواء الكمال، ومجتمع العظمة والجلال، خلقه قبل دحو الأرض بألفي عام، فأحقّ مَن أُطيع فِيما أمر، وانتهى عمّا نهى عنه وزجر، اللّه المنشىء للأرواح والصور)[٢١].

وظّفَ الإمام عليه السلام جملةً من الرموز التي تقوّي النَّص، وتُضيء الدلالات، فضلًا عن تسييج النَّص بأوصاف لبيتِ اللّه الحرام (محل أنبيائه، قبلة للمصلين، شعبة من رضوانه، طريق يؤدي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال، مجتمع العظمة والجلال)، ومن هنا فإنَّ الإمام قد أسّس لقاعدةِ أوصافِ لبيت اللّه الحرام، قائمة على رموز.

لقد أكّدَ عليه السلام على وحدانية اللّه عزّوجل، فالمعرفة الحقيقية للخالق العظيم هي الطريق الأول، والسبيل الأوحد للمخلوقين من أجل الوصول بالإنسان إلى سبل الحقيقة والفوز بالحقائق التي تسوقه إلى التحلّي بالصفات والسمات الإنسانية العالية.

إنَّ رمزيةَ الحوار عند الإمام الصادق عليه السلام تدلُّ دلالةً قاطعةً على علاقة الإمام عليه السلام بالمجتمع، وليس كما يظن بعض الباحثين من أنَّ الإمام انكفأ على الدرس العلمي الفقهي، وترك المجتمع يُعارك التحدياتِ والمشاكل.

لا جرم أنَّ الإمام عليه السلام كان مؤسسًا للفكر الحواري في المنظومة الإسلامية الثقافية عامة، والمنظومة الإمامية خاصة، إذ سار الأئمةُ الباقون على نهجه في ترسيخ تعاليم الحوار في حياة المسلمين ولاسيما الحوار العلمي، والمناقشة الفكرية الجادّة[٢٢].

هذه المدرسة الفكرية الفقهية التي أسّسها الإمام عليه السلام عدّت الحوار والتحاور الأساس بين تلامذتها من جهة، والحوار مع الآخر من جهة أخرى.

وبدا لنا أنَّ الإمام عليه السلام كان يدعو أصحابه إلى إعمال العقل، والتجربة القائمة على التكثيف والاستدلال، وهي من لبنات العقل الإنساني، فالعقل له أثرٌ في البناء الحواري والمناظرة العلمية الرصينة المستندة على تحريك العقل وشحذه من أجل الوصول إلى الحقائق الباهرة والدلائل الواضحة والمقاربات الناجحة، ودوننا آلافٌ من العلماء الذين تخرّجوا من مدرسة الإمام الصادق عليه السلام الذين نشروا تعاليمَ الإسلام وظلّت إرثًا للأمة الإسلامية جمعاء.

فإننا نلمح في كثيرٍ من محاوراته عليه السلام التدبرَ في مخلوقاتِ الحقِّ (عزّوجل) وحقيقة كنهها وآلية عملها، فقد ترسَّمَ

الإمامُ الرموزَ الشاخصة في عالم الخلق، فنجد الشمسَ والقمر والنجوم والرياح وسواها. وقد ذكر الطبرسي في كتابه الاحتجاج أنَّ اليمانيَّ حاور الإمام عليه السلام فسأله عليه السلام: فما زُحَل عندكم في النجوم؟ فقال اليمانيُّ: نجم نحس.

فقال الإمام: (لا تقل هذا، فإنّه نجم أمير المؤمنين صلوات الله عليه وهو نجم الأوصياء، وهو النجم الثاقب)[٢٢]، وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى: (**وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثَّاقِبُ**)(الطارق :١-٣).

إنَّ رمزية الحوار الفكري والمعرفي عند الإمام عليه السلام هي استعادةٌ للحظة الماضية من جديد لتبدو ظاهرةً مفعمةً بالحيوية في مجال تداولنا المعاصر، والدعوة إلى خلق جيل من طلائع المفكرين والمثقفين الذين يُحسنون الحوار، ويناظرون بالحق في ضوء استرفاد الأدلة والبراهين والحجج التي تنبع من النبع الخلّاق القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهّرة، ونلفت إلى أنَّ الإمام قد حذَّر من الحوارات والمناظرات غير المحمودة التي هدفها الخصام والمشاجرة، والتي لا تصبُّ في مصلحة الإسلام فهي تفرّق ولا توحّد فخيار الخصام مرفوض في المنظومة الصادقية .

فحوارات الإمام الصادق عليه السلام قائمة على الاستدلال والتجريب، والواقع هي حوارات قائمة على لغة الحجج والأدلة، قدحُ الرأي بالرأي الآخر لتفتيح أبواب الحوار مع المختلف معك في دينك من أجل هدايته وغرس المبادئ الإسلامية الخالدة■

---

١)ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية / إسماعيل الجوهري: ٣/ ٨٨٠ (رمز).

٢) ينظر: العين/الفراهيدي: ٧ /٣٦٦.

٣)لسان العرب/ابن منظور: ٥ / ٣٥٦.

٤) ينظر الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني/ أمية حمدان: ٢٨.

٥)العمدة/ابن رشيق القيرواني: ١ /٢٠٦.

٦)ينظر: العين/الفراهيدي: ٣ /٢٨٨.

٧)ينظر: لسان العرب/ابن منظور: ٤ /٢١٨.

٨)ينظر: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة/يحيى أحمد زمزمي: ٦.

٩)ينظر: الإمام الصادق عليه السلام ضمير المعادلات/ سليمان كتاني: ٧.

١٠)ينظر: الفكر السياسي للإمام جعفر الصادق عليه السلام / عمر بن عبد العزيز:٨٧.

١١)ينظر: أشعة من بلاغة الإمام الصادق عليه السلام/الشيخ عبد الرسول الواعظي:٣.

١٢)بحار الأنوار/المجلسي: ١٠ / ٢٠٩.

١٣)المصدر نفسه.

١٤)ينظر: الرمزية في الشعر العربي/د. جلال عبد الله خلف: ٣.

١٥)ينظر: الإمام الصادق عليه السلام ضمير المعادلات/ سليمان كتاني: ٩.

١٦)بحار الأنوار /المجلسي: ١٠ / ٢٠٩.

١٧)المصدر نفسه والصفحة نفسها.

١٨) سير أعلام النبلاء/الذهبي: ٦ /٢٦٤.

١٩) ينظر: الكشاف: ٣ / ١٧١.

٢٠)الاحتجاج/الطبرسي: ٢ / ٦٦، ٦٧.

٢١) المصدر نفسه.

٢٢)ينظر: فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام/محمد جواد مغنية: ١١١.

٢٣) الاحتجاج/الطبرسي: ٢ /٨٩.

(الشكر) في حديث الإمام الصادق عليه السلام

قال الإمام الصادق عليه السلام عن الشكر: ((في كل نفس من أنفاسك شكر لازم لك بل ألف وأكثر، وأدنى الشكر رؤية النعمة من الله تعالى من غير عله يتعلق القلب بها دون الله عز وجل والرضا بما أعطاه، وأن لا تعصيه بنعمته، وتخالفه بشيء من أمره ونهيه بسبب نعمته، وكن لله عبدًا شاكرًا على كل حال، تجد الله ربًا كريمًا على كل حال، ولو كان عند الله تعالى عبادة تعبَّد بها عباده المخلصون أفضل من الشكر على كل حال، لأطلق لفظه فيهم من جميع الخلق بها، فلما لم يكن أفضل منها خصَّها من بين العبادات وخصَّ أربابها فقال: (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) وتمام الشكر الاعتراف بلسان العز خاضعًا لله عز وجل بالعجز عن بلوغ أدنى شكره، لأن التوفيق للشكر نعمة حادثة يجب الشكر عليها، وهي أعظم قدرًا وأعز وجودًا من النعمة التي من أجلها وفقت له، فيلزمك كل شكر شكرا أعظم منه إلى ما لا نهاية له، مستغرقًا في نعمه عاجزًا قاصرًا عن درك غاية شكره، وأنَّى يلحق العبد شكر نعمة الله ومتى يلحق صنيعه بصنيعه والعبد ضعيف لا قوة له أبدا إلا بالله تعالى عز وجل وتعالى غنى عن طاعة العبد فهو تعالى قوي على مزيد النعم على الأبد فكن لله عبدًا شاكرًا على هذا الأصل ترى العجب)).

(جامع السعادات/ النراقي/ ج٣ص ١٩٣)

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

س هل تحلّ الجلود المأخوذة من بلد إسلامي كـ(مصر) مع علمي أن في مذهب العامة الميتة تطهر بدبغها؟

ج **نعم تعتبر الجلود المذكورة بحكم الطاهرة.**

س إذا كان هناك عشرة لترات ماء مثلاً، وبعد غليانه أريق فيه لتر من خل العنب حتى غلى المجموع، فهل يجوز شربه أو لابدّ من ذهاب ثلثي الخل العنبي بذهاب ثلثي المجموع؟

ج **الذي يحرم بالغليان هو العصير العنبي لا الخل العنبي، وعلى ذلك يجوز الشرب في موضوع السؤال من دون حاجة إلى ذهاب الثلثين، نعم لو كان الذي أريق في الماء هو عصير العنب بمقدار لا يستهلك فيه عرفاً فاللازم ذهاب ثلثي المجموع قبل شربه.**

س هل الدم الطاهر المتخلف في الذبيحة، يشمل الدم المشروق إلى الداخل عندما يشرق الحيوان بنَفَسه ـ بالفتح في النون والفاء ـ عند الذبح؟

ج **نعم يشمله.**

س ما حكم عصير الحصرم (العنب قبل نضجه) لو غلى؟

ج **يجوز شربه.**

س هل يجوز أكل الأطعمة المحتوية على الجيلاتين أو الأنفحة المأخوذة من الميتة أو مشكوك التذكية؟

ج **أما الأنفحة فلا بأس بها إذا كانت من مأكول اللحم، لأنها مستثناة من نجاسة الميتة، وأما الجلاتين فكذلك إذا كان مستخرجاً من العظم الخالص.**

س هل تجوز الصلاة مع وجود مستحضرات التجميل على البدن المصنوعة من كبد سمك القرش أو زيت أي سمك ليس له فلس؟

ج **الأحوط وجوباً المنع من ذلك.**

س ما حكم العملة الموسومة بشعار مقدس أو تربة حسينية في حالة وقوعها في دورة المياه؟

ج **يحرم إيقاعها في الدورة المذكورة إذا كانت مشتملة على قذارة توجب توهين الشعار المقدس أو التربة المقدسة، وإن وقعت وجب إخراجها مع الإمكان، ومع تعذره لا شيء سوى التحفظ من وقوع غيرها.**

س هل يجب الفحص عن تحقق الاستطاعة للحج، وكذا عن تحقق الربح وتحديد كمية الربح الذي يجب فيه الخمس؟

ج **لا يجب الفحص عن تحقق الاستطاعة، وكذا عن تحقق الربح من أجل الخمس. نعم إذا علم بتحقق الربح وشك في استيفاء المؤنة له، لجهله بقدرها فاللازم الفحص.**

س ما حكم دخول شخص غير مسلم للمسجد أو الحسينية، لحضور حفل زواج شخص مسلم أو لتعزية شخص مسلم؟

ج **لا مانع من دخول الحسينية.**

س هل يجوز بلع الدم الذي يكون في باطن الفم أم لا؟

ج **لا يجوز بلعه.**

س ما حكم من نسي في جيبه قطعة من الجلد غير المذكّى، وفي أثناء الصلاة تذكر وأخرجها من جيبه، فهل صلاته صحيحة أو هناك إشكال في صحة الصلاة؟

ج **يشكل صحة الصلاة.**

س إذا تنجست الأرض وأُخبرت بتطهيرها من قبل شخص بأنه رأى شخصًا آخر قام بتطهيرها، ويوجد شك في أن الشخص الأول لا يعلم كيفية التطهير أو الثاني أو كلاهما، ما هو الحكم؟

ج **إذا علم بتحقق التطهير من شخص أو قامت الحجة الشرعية عليه وشك في صحته يبنى على الصحة، أما إذا شك في أصل حدوث التطهير فلا يثبت إلّا بالعلم أو البينة أو صاحب اليد أو غير ذلك مما يذكر في محله.**

س توجد أشياء في الدنمارك تصنع من شحم أو لحم أو شعر الخنزير، أو يدخل في مركباتها كالصابون ومعجون الأسنان وفرشاة الأسنان، ولا نعلم هل حصلت الاستحالة لشحم أو لحم أو دهن الخنزير ضمن هذه الأشياء المذكورة أم لا؟ فما هو الحكم؟ وأي من هذه الأشياء تحصل فيه الاستحالة ليجوز استعماله؟

ج **لا تتحقق الاستحالة المطهرة في مثل ذلك، وعليه فاللازم البناء على النجاسة.**

س هل تجوز زراعة كبد خنزير للمسلم؟

ج **نعم يجوز مع الحاجة بحيث لا يمكن الاكتفاء عنه بطاهر العين قبل أن يصير من أجزائه عرفاً كما يظهر مما ذكرناه في المسألة (٤٠٩) من كتاب الطهارة من رسالتنا (منهاج الصالحين).**

س إذا مررت بشخص فاعتقد أني أسلم عليه فرد السلام، فهل يكون رده ابتداءً سلام جديد لكي يجب علي الرد؟

ج لا يجب الرد في الحالة المذكورة.

هل يجوز في أثناء الأذن قبل صلاة الجمعة أن أصلي الظهر برجاء المطلوبية وبعدها أصلي الجمعة خلف الإمام وثم العصر، أي أقدم صلاة الظهر الاحتياطية على الجمعة؟ وفي حال الجواز هل يحق للإمام أن يصلي الظهر جماعة قبل الجمعة؟ وما هي نية الظهر بعد الجمعة استحباب أو برجاء المطلوبية أم تجزي أي من النيتان؟

س

يجوز الإتيان بصلاة الظهر وصلاة الجمعة للإمام والمأموم والنية هي رجاء المطلوبية، نعم تجب المبادرة في أداء صلاة الجمعة على الأحوط وجوباً فلا يشرع للإمام أن يبدأ بالظهر أما المأموم فقد يشرع له ذلك في أثناء الأذان.

ج

إذا باشر الإمام الخطبة وهناك شخص واحد فقط أو اثنان، لكن عندما شرع في الصلاة كان العدد خمسة مع الإمام، هل تصح؟ بمعنى آخر أن العدد الواجب يجب عند الشروع في صلاة الجمعة وليس في أثناء الخطبة، صحيح أم لا؟

س

لابد من اجتماع خمسة من أول الخطبة.

ج

ما حكم صلاة الظهر جماعة بمن يصلي صلاة الجمعة ؟

س

تصح الصلاة و الجماعة مع اجتماع الشرائط.

ج

إذا إلتحق زيد بعدنان في صلاة الجمعة ولكن نوى بصلاته صلاة الظهر وأكمل الصلاة ظهرًا، هل تصح صلاته؟

س

نعم تصح .

ج

إذا جاء زيد وإمام الجماعة في الركعة الثانية لصلاة الجمعة، هل يجوز له الالتحاق في الفرض المذكور؟

س

إذا كان المقصود أن المأموم يلتحق قاصداً صلاة الظهر عن نفسه فيجوز الالتحاق، وإذا كان المقصود أن المأموم يلتحق قاصداً صلاة الجمعة، فالحكم مذكور في الرسالة.

ج

إمام الجمعة زاد في ركن صلاة الجمعة ولم يتابعه المأمومون في هذه الزيادة، فهل يجوز لهم إتمامها مع الاستمرار في الجماعة أو مع قصد الانفراد؟

س

يجب الانفراد في الحالة المذكورة.

ج

س صليت الصبح في بلدي ثم سافرت، فقطعت ما يقارب ست عشرة ساعة جواً، حيث مرّ وقت الظهرين والعشائين وأنا في الطائرة ولم أصلِّ، حتى وصلت الولايات المتحدة، ولكن وصلت قبل المغرب بتوقيتها. السؤال: بما أني وصلت قبل المغرب هل أكتفي بصلاة الظهر والعصر فقط، أم أنه يجب علي أن أصلي الظهر والعصر اللذين مرّا وأنا في الجو، وكذلك المغرب والعشاء باعتبار أن الشمس غربت وأنا في الجو، وكذلك أصلي الظهر والعصر أداءً، لأني وصلت قبل المغرب إلى أمريكا؟

ج **عليك أداء صلاة الظهرين أداءً وظهرين قضاءً، وإذا غربت الشمس عليك وأنت في الولايات المتحدة، فعليك صلاة المغرب والعشاء أداءً.**

س ما حكم الصلاة إلى غير القبلة جهلاً بالحكم؟

ج **باطلة يجب إعادتها.**

س هل البوصلة المستعملة لتحديد القبلة مما يعتمد عليها؟

ج **إذا كانت الجهة التي نظمتها موثوقة في خبرتها جاز الاعتماد عليها.**

س ما هو حكم الصلاة مع وجود نجاسة في بدن المصلي، أو ثوبه الساتر للعورة أو غيره من الثياب مع عدم العلم بوجودها؟

ج **تصح الصلاة مع الجهل بالنجاسة.**

س ما هو حكم رباط العنق الذي يستخدمه بعض الرجال للزينة؟ وهل تجوز الصلاة فيه؟

ج **نعم يجوز لبسه والصلاة فيه وإن كان الأولى تركه.**

س شخص كان يصلي قربة لله تعالى ولكنه كان يحب أن يراه الناس صاحب جبهة سوداء من أثر السجود لكنه لم يكن يعلم أنه بالرياء في العبادة تكون الصلاة باطلة؟

ج **إذا كانت الصلاة بقصد القربة لا من أجل مدح الناس له صحت صلاته ولا يبطلها حينئذٍ سواد جبهته.**

ما حكم صلاة من كانت وظيفته القيام، ولكنه جهلاً منه كان يصلي من جلوس؟

يقضي صلاته.

أي الأشياء التالية يجوز السجود عليه (الكلينكس، السجاد، الحصير النايلون، الزفت)، وهل يعتبر من الأرض؟

لا يجوز السجود على ذلك بأجمعه، إلّا الكلينكس فإنه يجوز السجود عليه إذا علم أن أصله نبات غير مأكول ولا ملبوس، ولا يجوز السجود عليه في غير ذلك.

هل التربة الحسينية التي لا يجوز تنجيسها هي هذه المتواجدة في الأسواق والمساجد؟

لا يجوز توهين التربة الحسينية التي يتعارف وجودها في الأسواق والمساجد.

من ترك التشهد عمداً لاعتقاده عدم وجوبه فما حكمه؟ وهل يفرق بين كونه جاهلاً عن قصور أو تقصير؟ وهل يجب قضاؤه؟

الأحوط قضاؤه ولا فرق بين القاصر والمقصر.

يحدث في هذه الأيام بين الشباب أن يستعملوا صيغاً متعددة لرد السلام على الملقي للتحية الشرعية (السلام عليكم)، وتأتي صيغة الرد كمثل: (سلام هلا) أو (هلا هلا) أو (سلام) وإلى آخره مما يشترك معنى أو لفظاً مع الرد الشرعي أو لا يتفق.

أ ـ هل يجب الرد بالصيغة الشرعية فقط (عليكم السلام)، ويعتبر الراد بغيرها مأثوماً؟

إذا كانت التحية بالسلام فالواجب الرد بمثلها ولا يكفي الرد بغيرها.

ب ـ هل يجب رد السلام في المخاطبات الكتابية (ورقية كانت أو الكترونية)؟

لا يجب ذلك.

جـ ـ هل يجب الرد بالصيغة الشرعية إذا كان السلام بغير الصيغة الشرعية، أو أنها غير مكتملة، مثل (سلام شباب) أو (سلام على الأحباب)؟

يجب رده إذا كان مطابقاً للقواعد العربية وإذا كان ملحوناً فالأحوط وجوباً الرد.

التربية القرآنية .. والاستقامة

د. محمد كاظم حسين الفتلاوي
جامعة الكوفة/ كلية التربية

بناية لا يصل الإنسان إلى السمو النفسي والأخلاقي، وبالتالي إلى الاستقامة، إلّا بعد المرور بمرحلة من تربية النفس نحو الفضائل، وتنحيتها عن الرذائل، إنّ العلاقة بين الأخلاق والتربية هي العلاقة بين النظرية والتطبيق.

فإنّ ما بين التشريعات والجوانب الأخلاقية والتربوية من تعاضد وتكاتف كما بين لحمة النسيج وسداه، لا يتم الفصل بينهما، فإنّ المسلم الحق هو الذي ملأت أخلاقه جميعَ جوانب حياته في عقيدته وعبادته ومعاملاته، إذ (لا يغني إسلام القلب وحده ولا العمل بدون إخلاص بل لا نجاة إلّا بهما)[1].

فالاستقامة على الأخلاق الفاضلة: من عفو وحلم وعزة وسخاء علم نظري راق، والتربية تعويد النفس على هذه الأخلاق حتى تصبح سجية.

وهذه السجايا والصفات الإيجابية النبيلة لا يمكن لها أن تأخذ مفعولها ودورها في استقامة حياة الإنسان إلّا بعد أن يتغلب على الصفات والسجايا السلبية الذميمة التي تعتري نفسه ويبدلها بالصفات الحسنة.

وكيف للإنسان أن يردع نفسه عن خبائث الصفات؟ يجيب القرآن على هذا التساؤل بقوله تعالى: (**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**) (العنكبوت:٤٥). باعتبارها ناهيةً عن رذائلَ الصفات، ومن هنا نفهم سبب التركيز على الصلاة في القرآن والسنة الشريفة، كقوله تعالى: (**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ**...)، (**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**..)،

(**وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ...**)، (**وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ...**)، (**وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ...**)، (**وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ...**)، (**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ...**)، (**وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ...**)، (**وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ...**)، (**رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ..**)، (**إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا...**)، وكذلك الأحاديث الواردة التي تدل على أهمية الصلاة، قال رسول الله ﷺ: (إن عمود الدين الصلاة، وهي أول ما ينظر فيه من عمل ابن آدم، فإن صحت نظر في عمله، وإن لم تصح لم ينظر في بقية عمله)[٢]، وعن الإمام علي عليه السلام قال: (أوصيكم بالصلاة التي هي عمود الدين، وقوام الإسلام، فلا تغفلوا عنها)[٣]، وعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: (الصلاة عمود الدين، مثلها كمثل عمود الفسطاط، إذا ثبت العمود ثبت الأوتاد والأطناب، وإذا مال العمود وانكسر لم يثبت وتد ولا طنب)[٤]، وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة.

وبما أن البحث محصور بالتربية القرآنية لتقويم السلوك الإنساني واستقامته، فسنمر على بعض تلك الآيات القرآنية ودلالاتها في تهذيب النفس الإنسانية واستقامتها.

١. قال تعالى: (**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا**) (طه:١٣٢)، ووجه الدلالة من هذه الآية: أنّ الصلاة التي أمر الله المسلم بإقامتها بشكل يومي دون انقطاع، سيصبح الاستمرار والمواظبة عليها جزءًا من سلوكه اليومي، وهذا بحد ذاته يحتاج إلى صبر، والصبر من الصفات الحميدة والأخلاق السامية التي يتحلى بها المؤمن والتي تفضي إلى الاستقامة.

٢. اقترنت عبادة الصلاة بالقول الحَسَن، فقال تعالى: (**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**) (البقرة:٨٣).

فينبغي أن يكون المصلي متعاهداً نفسه لتربيتها على القول الحسن، وليس القول الحسن خاصًا بالمؤمنين فقط، بل لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم. فقد ذكر النيسابوري نقلاً عن أهل التحقيق: أنه على العموم وذلك أنّ كلام الناس مع الناس في الأمور الدينية إن كان بالدعوة إلى الإيمان وجب أن يكون بالرفق واللين، كما قال الله تعالى لموسى عليه السلام: (**فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا**)(طه:٤٤)، وقال لنبينا محمد ﷺ: (**وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**) (آل عمران:١٥٩)، وإن كان بالدعوة إلى الطاعة كدعوة الفسّاق فحُسنُ القول أيضًا معتبر: (**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**) (النحل:١٢٥)، (**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**) (فصلت:٣٤)، وأمّا في الأمور الدنيوية فمن المعلوم: أنه إذا أمكن التوصل إلى الغرض باللطيف من القول لم يعدل إلى غيره، وما دخل الرفق في شيء إلّا زانه، وما دخل الخرق في شيء إلّا شانه، فثبت أنّ جميع آداب الدين والدنيا داخلة تحت هذا القول[٥].

ولنتأمل في ذلك قوله تعالى: (**وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ**) (المؤمنون:٢-٤).

فمع أنّ الصلاة قرينة الزكاة في أغلب آيات القرآن، لكن في هذا الموطن لما كانت السورة تحمل في اسمها (المؤمنون) أسمى ما يتصف به المرء، فقد مزجت التشريعَ بالأخلاق، فأتبعت الصلاةَ بخُلق الإعراض عن اللغو.

من هذا المنطلق وجب على حامل القرآن أن يتدبر في كلامه عز وجل، حتى يكون نموذجًا يحتذى، وخليفة لله في أرضه، عفّ اللسان، طاهر اليد، نظيف القلب.

ونلحظ أن الصلاة مقترنة بالإعراض عن اللغو (**وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ**) (المؤمنون: ٤).

تؤثر الصلاة تأثيراً إيجابياً فتجعل صاحبها يعي ما يتكلم به، بحيث يكون عقله قبل لسانه، فلا يلغو ولا يفحش، وإذا سمعه يعرض عنه: (**وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ**) (القصص:٥٥)، وعن معنى اللغو يقول ابن منظور: اللغو واللغا: السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره، ولا يحصل منه فائدة ولا نفع، لقلته أو لخروجه على غير جهة الاعتماد من فاعله[٦].

وقال الراغب: هو ما لا يعتد به، وهو الذي يرد لا عن روية وفكر، فيجري مجرى اللغا ـ وهو صوت العصافير ـ وقد يسمى كل كلام قبيح لغوًا[٧].

وفي التعبير بـ (مُعْرِضُونَ) يفيد أنهم على هذه الأخلاق في عامة أوقاتهم أي: تربوا على ذلك كما ينبئ عنه الاسم الدال على الاستمرار، فيدخل في ذلك إعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلاة دخولاً أوليًا، وإقامة الإعراض مقام الترك؛ ليدل على تباعدهم عنه رأساً مباشرة وتسبباً وميلاً وحضورا[٨]،ومن ثم إذا (كانوا معرضين عن اللغو فإعراضهم عن المحرم من باب أولى وأحرى)[٩].

٣ـ الصلاة مقترنة بتطهير النفس من براثن الفواحش والمنكر، قال تعالى: (**اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**) (العنكبوت:٤٥).

من التطبيق العملي لهذه الآية ما رواه أنس بن مالك قال: كان فتى من الأنصار يصلي مع النبي ﷺ ولا يدع شيئاً من الفواحش والسرقة إلّا ركبه، فذكر للنبي ﷺ، فقال ﷺ: (إنّ الصلاة ستنهاه) فلم يلبث أن تاب، وصلحت حاله، فقال رسول الله ﷺ: (ألم أقل لكم ؟)[١٠].

ونلحظ أيضاً أن القرآن الكريم حينما عرض للصلاة وهو يبرز أهدافها عرض لها من جهات متعددة، فقد عرض لها في موضع على أنها من أوصاف المتقين الذين ينتفعون بهذا الكتاب الكريم، والذين كانوا بتلك الأوصاف على هدى من ربهم وكانوا هم المفلحين، قال تعالى: (**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ، أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**) (البقرة:١-٥). فتعميق الصلاة لهذه الصفات لكونها خطاً روحياً مباشراً بين الإنسان وبين الله.

وعرض لها مرة على أنها عنصر من عناصر البر والحق الذي رسمه الله لعباده ودعاهم إليه، وجعله عنواناً على صدقهم في الإيمان، وعلى أنهم المتقون، قال تعالى: (**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ**

وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (البقرة:١٧٧)، فـ(الإيمان وإقامة الصلاة هما منبع الفضائل الفردية، لأنهما ينبثق عنهما سائر التحليات المأمور بها)[١١].

وعرض لها على أنها سبيل يؤهل القائمين بها أن يتآخوا في الدين ويتقرر لهم ما تفرضه الأخوة من حقوق وواجبات، قال تعالى: **(فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)** (التوبة:١١)، فنلحظ أن المشركينَ بمجرد الإتيان بهذه الصلاة وإقامتها مع الركن الآخر، يكونوا إخوان المسلمين على الرغم من العداوة السابقة، فهي عنوان للأخوة في المجتمع.

كما عرض لها على أنها عنوان للتمسك بالكتاب وسبيل للحصول على أجر المصلين، قال تعالى: **(وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ)** (الأعراف:١٧٠)، إلى غير ذلك من المواطن التي تقرر أن المقيم للصلاة كما أرادها الله والمتفاعل معها إنسان تتحقق فيه العناصر المكونة لشخصية الإنسان المؤمن، وإذا وجدت هذه الشخصية المؤمنة داخل المجتمع فإنها بالطبيعة تندفع نحو الخير والترابط والتعاون، إذ الإيمان الذي تؤسس له الصلاة وتثبته يتعامل بأوامر الإسلام القاضية بلزوم أخوة من يتماثل معها في الدين والعقيدة.

وبكلمة.. إن من فضل الله على البشرية أنه لم يتركها هملاً، تخبط خبط عشواء، فتهيم على غير هدى، بل جاءها بمنهاج شامل قويم في تربية النفس، وتنشئة الأجيال، وتكوين الأمم، وبناء الحضارات، فيقول رب العزة في محكم آيه: **(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)** (الإسراء:٩).

ولعل المتأمل للحالة الراهنة للأمة الإسلامية، يجد أنها في أمس الحاجة إلى منهاج تربوي يعمل على تقويمها وإصلاحها، ليخرجها مما وقعت فيه من ضعف نفسي، وأزمات فكرية، وانحرافات أخلاقية، وفساد اجتماعي، زلزلت كيانها وأدت إلى تراجعها وتخلفها، والتربية القرآنية (حتماً هي الوسيلة لذلك الصلاح لأنها البوتقة التي ينصهر فيها الرجال الذين يقودون الإصلاح)[١٢]، فالمسلمون يجب أن يدركوا أن دينهم ليس مجرد مجموعة من الآيات والنصوص يترنمون بتلاوتها من دون وعي أو تدبر، وأن يدركوا ذلك الدور الفكري التربوي لمنهج القرآن الكريم، وما يحويه من قيم ومبادئ وأبعاد تربوية عظيمة، إذ بتوجيهات القرآن المجيد كان أن تجلى للبشرية رجالٌ عظماء، عمالقة في الفكر والرأي في شتى المجالات؛ لأنهم التزموا صراط ربهم المستقيم ومنهجه القويم، يستقون من معينه، ويستضيئون بنوره، وينهجون في التربية نهجه، ومنهم عدل القرآن وترجمانه الواقعي، العترة الطاهرة من آل محمد عليهم السلام.

ومن ثَمّ نعلم يقيناً (بأن النصوص وحدها لا تصنع شيئاً، وأن المصحف وحده لا يعمل على صنع الرجال، وأن المبادئ وحدها لا تعيش إلا أن تكون سلوكاً ملموساً)[١٣]، لذلك فإن التربية الناجحة هي التي تصوغ من فكر الإسلام شخوصاً، وتجعل إيمانهم بالإسلام عملاً، وبذا

يطبقون المنهج القرآني بالقول والفعل كما وصفهم ربهم عز وجل في قوله: (**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**) (الأحقاف:١٣)، فالقرآن الكريم يدعو إلى صياغة إنسان (بعيداً عن الهوى، والضلالة، والخرافة، وفي كل المجالات السياسية والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية والتربوية و.. و.. وبالتالي فهو ينسق بين سعي الإنسان من جهة، وبين فطرته، والطبيعة من حوله، والتاريخ وسنته من جهة أخرى)[١٤].

والمستقرئ لنصوص القرآن الكريم والمتدبر لآياته ومعانيها، يجدها توجه الأمة إلى الاستقامة على منهج الله سبحانه وسنة المعصوم في مواضع متعددة منها قوله تعالى: (**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**) (الأنعام:١٥٣)، فنلحظ أن المنهج القرآني في البناء الفكري لا يحدد أمراً معيناً من شؤون الإنسان وبنائه، أو فعل خاص من أفعاله، ويقتصر عليه بناؤه دون غيره، بل الطريق واحد لجميع شؤون الإنسان، فالآية في مضمونها تمثل منهجًا يشمل كل حياته، إنها دعوةٌ لتحديد الطريق التي يسلكها على أساس الهدف الذي يستهدفه، فإذا كان الله، هو هدف وجوده، في ما يريد أن يبلغه من رضوانه، ويصل إليه من جنته، فإن هناك طريقاً واحداً يصل به إلى هذا الهدف، لا يوجد غيره، ولا سبيل سواه، وهو الطريق المستقيم، الذي يبدأ من الإيمان بالله وينتهي بنيل رضاه.

وفي موضع آخر نجد الحث القرآني على الاستقامة وتمثّل القيم القرآنية، للوصول بالتالي إلى بناء فكر جامع لمعاني التربية وقيمها، قال تعالى: (**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**) (هود: ١١٢)، فنلحظ هنا الأمر الإلهي للنبي ﷺ ولمن اتبعه من المؤمنين بالتزام الاستقامة بما تحمل هذه المفردة من معاني الاعتدال والمضي على النهج من دون انحراف، والإنسان الذي يروم حياة قرآنية يكون في حاجة دائمة إلى اليقظة الدائمة، والتدبر الدائم، والتحري الدائم لحدود الطريق، وضبط الانفعالات البشرية التي تميل الاتجاه قليلاً أو كثيراً.. ومن ثم فهي في شغل دائم في كل حركة من حركات الحياة، ومجالاتها الواسعة، لتحقيق واقع يعيش مبادئ القرآن الكريم وما أراده من منهج مستقيم يصل بالإنسان إلى سعادة الدارين■

---

١) التحرير والتنوير/ ابن عاشور/١/٦٥٧.
٢) تهذيب الأحكام / الشيخ الطوسي / ج٢ ص٢٣٧.
٣) مستدرك الوسائل / النوري / ج٣ ص٢٩.
٤) الوسائل / الحر العاملي / ج٤ ص٢٧.
٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان/النيسابوري / ١/ ٣٢٥.
٦) لسان العرب / ابن منظور / ج١٥ / ٤٥٠١.
٧) المفردات / الراغب / ص٤٥١.
٨) ظ: إرشاد العقل السليم/أبو السعود / ٦/ ١٢٤.
٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي /ص٥٩٤.
١٠) سنن البيهقي، ٣ / ١٧٤ رقم ٣٢٦١.
١١) تفسير التحرير والتنوير/ابن عاشور محمد الطاهر / ٢ / ١٣١.
١٢) فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء / أحمد رجب الأسمر / ص١٩ .
١٣) تربية الأولاد في الإسلام/ عبد الله ناصح علوان/ج١/ ٧ .
١٤) تفسير من هدى القرآن / المدرسي / ٤/ ٤٢٣ .

من وصايا النبي ﷺ وحكمه البليغة

قال رسول الله ﷺ: خير الرزق ما يكفي، وخير الذكر ما يخفى، وإني أوصيكم بتقوى الله وحسن النظر لأنفسكم، وقلة الغفلة عن معادكم، وابتياع ما يبقى بما يفنى، واعلموا أنها أيام معدودة، والأرزاق مقسومة، والآجال معلومة، والآخرة أبدٌ لا أمد له، وأجلٌ لا منتهى له، ونعيم لا زوال له، فاعرفوا ما تريدون وما يراد بكم، واتركوا من الدنيا ما يشغلكم عن الآخرة، واحذروا حسرة المفرطين، وندامة المغترين، واستدركوا فيما بقي ما فات، وتأهبوا للرحيل من دار البوار إلى دار القرار، واحذروا الموت أن يفاجئكم على غرة، ويعجلكم عن التأهب والاستعداد، وإن الله تعالى قال: (**فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ**) فرُبَّ ذي عقل أشغله هواه عما خلق له حتى صار كمن لا عقل له، ولا تعذروا أنفسكم في خطئها، ولا تجادلوا بالباطل فيما يوافق هواكم، واجعلوا همكم نصر الحق من جهتكم أو من جهة من يجادلكم، فإن الله تعالى يقول: (**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصارَ اللهِ**)، فلا تكونوا أنصارًا لهواكم والشيطان، واعلموا أنه ما هدم الدين مثل إمام ضلالة وأضل، وجدال منافق بالباطل، والدنيا قطعت رقاب طالبيها والراغبين إليها، واعلموا أن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران، فمهدوه بالعمل الصالح، فمثل أحدكم يعمل الخير كمثل الرجل ينفذ كلامه يمهد له، قال الله تعالى: (**فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ**)، وإذا رأيتم الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته، فاعلموا أن ذلك استدراج له، قال الله تعالى: (**سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ**).

(إرشاد القلوب/ الديلمي/ ج١ ص٧٥)

إضاءات تربوية ونفسية في العفة

أ. د. نجم عبدالله الموسوي
جامعة ميسان/ كلية التربية

ينابيع

العفة لغةً: مصدر عفَّ يقال: عَفَّ عن الحرام يعِفُّ عِفَّةً وعَفًّا وعَفَافَةً أي: كفَّ، فهو عَفٌّ وعَفيفٌ والمرأة عَفَّةٌ وعَفِيفَةٌ وأعَفَّهُ اللّه، واسْتَعَفَّ عن المسألة أي: عفَّ، وتَعَفَّفَ: تكلف العِفَّةَ، والعِفة الكَفُّ عما لا يَحِلُّ ويَجْمُل، والاسْتِعْفَاف طلَبُ العَفاف[1].

أما في الاصطلاح: فهي حالة نفسية تربوية أخلاقية إرادية رفيعة ضابطة للقوى الشهوية (شهوة الفرج والبطن) الموجودة لدى الإنسان، إذ تكون رادعة له عن اقتراب المحرمات التي نهى الشرع عنها وتعفه عن المآثم والموبقات. ويقابل كلمة العفة في اللغة الانكليزية (Chastity Virtue).

وفي ميدان علم النفس تكون العفة حالة وقائية تحفظ للفرد كيانه وتسمح له بإشباع حاجاته بما يضمن ويحقق له الصحة النفسية والاستقرار العاطفي بعيدًا عن مشاعر الخوف والقلق والاضطراب والشعور بالذنب.

وقد يتبادر إلى ذهن البعض أمران مهمان:

أولهما: أن العفة تشير إلى عفة الإنسان في الناحية الجنسية فقط، لكن واقع الأمر أن العفة مصطلح واسع يدخل في ميادين كثيرة، إطارها العام المحرمات التي أوقفنا اللّه سبحانه وتعالى عند حدها، لكن الناحية الجنسية أخذت حيزًا كبيرًا في توجيهات السماء نحو العفة.

وثانيهما: أن مسألة العفة تختص بالنساء من دون الرجال، وذلك لاعتبارات عرفية

وليست دينية، والصحيح أن كلا الجنسين يجب أن ينحنيا تحت هذه الصفة التي أثنى الله عليها ورسوله الكريم محمد ﷺ وأن يتنزها عن الرّذيلة والمنكر والفحشاء، وأن الرجل والمرأة كليهما مأموران بالالتزام بالطهارة، فلا تقتصر في معناها على جنس النساء من دون الذكور.

قال تعالى: **(وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ)** (النور:٣٣)، وقال رسول الله ﷺ: (أحبّ العفاف إلى الله تعالى عفاف البطن والفرج)[٣]، ويروى عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: (إذا أراد الله بعبد خيراً عفّ بطنه وفرجه)[٤]، وكذلك عن الإمام الباقر عليه السلام: (ما عُبِدَ الله بشيء أفضل من عفة بطن وفرج)[٥].

وقد بين الله سبحانه وتعالى حدود العفة عند الرجل أن تكون ضمن دائرة غض البصر وحفظ الفرج، قال تعالى: **(قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)** (النور:٣٠).

أما ما يخص المرأة فعفتها تكون بغض البصر وحفظ الفرج وعدم إبداء الزينة وإظهارها والحجاب والتستر ووجوب إخفائها إلّا على المحارم، قال الله تعالى: **(وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ)** (النور:٣١).

وقد سعى الرسول الأكرم محمد ﷺ والأئمة الأطهار إلى العمل الجاد على تربية المجتمع المسلم تربية صحيحة وخلق حالة العفة لديه حتى تكون صفة متلازمة لدى الفرد ولدى المجتمع، فعن النبي ﷺ، قال في قوله تعالى: (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ): (أن الراسخ .... ، وعف بطنه وفرجه)، وعنه ﷺ، أنه قال: (أحب العفاف إلى الله عفة البطن والفرج)[٦]، و(عنْ الإمام أبي عَبْد الله عليه السلام قَالَ: كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: يَقُولُ أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الْعَفَافُ)[٧]، والأحاديث كثيرة جدًا ممكن أن تطلب من منابعها في كتب الحديث المباركة، هذا من ناحية دينية وشرعية وأخلاقية.

ومن الناحية التربوية والنفسية فقد بدأت العديد من البحوث والدراسات التي أجريت في بلدان غير عربية وغير إسلامية تطرح مبدأ الالتزام بالعفة والحياء والابتعاد عن نشر الفواحش والرذائل والمنكر، والمناداة بارتداء ثوب الشرف، لأن الكثير من المشاكل التربوية والنفسية والصحية بدأت تأخذ حيزًا كبيرًا في داخل المجتمعات التي ابتعدت أيّما ابتعاد عن العفة وعن الفطرة الإنسانية السليمة.

وهنا كان لا بد من أن نبين النتائج التي يمكن أن تحققها صفة العفة عند الالتزام بها في السلوك الفردي والاجتماعي، والتي منها:

١. أنها تبني شخصية الفرد وذاته وتجعل منه أنسانًا قويًا ذا إرادة وسيطرة على نفسه، قادرًا على أن يتحكم بغرائزه، فلا يقترب إلّا مما أحله الله له، فلا تؤثر به كل المغريات التي تعترض طريقه ولا تغلب شهوتُه دينَه وعقلَه.

٢. إن التزام مبدأ العفة ينعكس إيجابيًا على نفسية الفرد، فيكون شخصًا عزيزًا يسمو بذاته ونفسه، لأن الرذائل مذلة للإنسان توصله إلى التسافل والدونية وذلّة

النفس والانحطاط والابتذال. عن الإمام الصادق عليه السلام: (إيَّاكَ والسَّفلَةَ فَإنَّمَا شِيعَةُ عَلِيٍّ مَنْ عَفَّ بَطْنُه وفَرْجُه...)[٨].

٣. إن للعفة دور كبير في ضبط سلوك الإنسان نحو الأفضل والأحسن وتنزيهه عما لا يليق به، فالسلوك هو كل ما يصدر من الإنسان من أقوال وأفعال وحركات، وتصبح هذه الأمور تحت وطأة العفة إذا كان الإنسان عفيفًا، وإلّا فلا يمكن السيطرة عليها.

٤. تسهم العفة إسهامًا واضحًا في الحدِّ من ظاهرة الانحراف الجنسي وبنسبة كبيرة، أي أنها تؤدي إلى سلامة المجتمع، فإذا كانت السمة السائدة في المجتمع هي العفة فنلاحظ من الناحية التربوية والنفسية والاجتماعية أن نسب الانحرافات فيه تقل، فلا يجد من في نفسه مرض مبتغاه فيضطر إلى الرجوع إلى الوسائل الشرعية لإشباع غرائزه، على العكس من ذلك في المجتمعات المنحلة والتي يشيع فيها الفساد نلاحظ حتى عزوفًا عن الزواج وتكوين الأسرة، بسبب إشباع حاجات الجنسين بطرائق غير مشروعة، وإن حصل الزواج فإنه يكون في مرحلة متأخرة من العمر.

٥. إن العفة مبدأ أخلاقي يحافظ على إنسانية الإنسان ويصون كرامته وخصوصًا المرأة فهي ليست وسيلة لإشباع غرائز الآخرين وهي ليست متاحة للجميع وفي متناول أيدي الكل تهمل بمجرد أن يقضوا منها وطرهم وتهان وتستغل كرامتها، فالمرأة لم تخلق لهذه المهمة البائسة التي تروج لها أبواق الفاحشة، فقد خلقت لتؤدي مسؤوليتها في بناء الأسرة وتكوينها وتربيتها تربية صحيحة، فالمرأة ذات كيان وكرامة والحفاظ عليها جزء كبير من مسؤولية المرأة نفسها ومسؤولية المجتمع الذي تعيش فيه.

٦. تعطي العفة حالة تحصين وحماية ذاتية للفرد تجاه كل ما يدور حوله من مثيرات متنوعة وريب وفتن وتقيه شر الأمراض النفسية والجسمية الفتاكة، وتنمي لديه حالة التسامي والتعالي والترفع عن الانقياد للهوى، وتقوي ملكة التحمل والصبر لديه وتنظم سلوكه ونشاطه الجنسي على وفق القيم والمبادئ السماوية.

٧. إن آثار العفة تنعكس على الفرد أولًا وعلى المجتمع ثانيًا، فهي الأداة التي تصونهما من انتشار الأمراض الاجتماعية والأخلاقية الخطيرة التي تفقد الإنسان هيبته والمجتمع طمأنينته ومن ثم تكون هناك آثار سلبية كثيرة ومتنوعة.

٨. يرى المختصون في التربية والطب النفسي أن انخفاض نسبة العفة لدى الفرد تؤدي إلى زيادة نسبة الأمراض النفسية لديه وخصوصًا التوتر النفسي والقلق والاكتئاب وهذا ما أثبتته الدراسات النفسية التي أجريت في العديد من الجامعات العالمية، ويحق لنا أن نفخر أن قرآننا الكريم ونبينا محمدًا صلى الله عليه وآله وأئمتنا الأطهار عليهم السلام هم السباقون في الحفاظ على جسد ونفسية المسلم وسلامتهما مما يؤذيهما من المشكلات ومن آثار الفاحشة، قال تعالى: **(وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)** (الأنعام:١٥١).

٩. العفة فيها راحة القلب وهدوء النفس وقوة الإيمان وراحة الضمير، ووجودها يشعر الفرد بالسعادة والرضا عن نفسه

وذاته، بينما فقدان العفة يشعر الفرد بالريبة والشك وعدم الثقة وفقدان السعادة والطمأنينة وسوء الظن بالآخرين حتى على مستوى المقربين منه.

وفي الختام يجب أن نذكر أن أهم ما يدعم ركائز العفة ويقويها في المجتمع هو الزواج، والناظر الحاذق في الزواج يراه عبادة لله، وعفة للفرج وبناء للأسرة والمجتمع، وابتعادًا عن المعاصي الموبقات، وطهارة للروح والجسد، وصيانة لهما مما يؤذيهما من دنس ومرض، والزواج يحقق هدف السماء من وجود الإنسان على هذه الأرض في الاستمرار والتكاثر والتناسل وهذا ما صرحت به العديد من الآيات المباركة، كما لا بد من وجود التوعية الإعلامية الكافية للفرد المسلم والمجتمع المسلم بالآثار الايجابية للعفة، وإيضاح الآثار السلبية لمن حاد عن طريق العفة والحياء، وأخذ الدروس والعبر منها.

لقد حفز الإسلام على الزواج واعتبره نصف الدين على لسان خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ حيث قال: (من تزوّج أحرز نصف دينه، فليتّق الله في النصف الباقي)[9]، وكذلك اعتبر عبادة المتزوج أفضل من عبادة الأعزب، فعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عليه السلام قال: (ركعتان يصليهما متزوج أفضل من سبعين ركعة يصليهما عزب)[10]■

---

١) لسان العرب، م ٩ ص ٢٥٣.
٢) تنبيه الخواطر-٢-٣٠.
٣) عيون الحكم والمواعظ / الليثي الواسطي / ص١٣١.
٤) أصول الكافي ج٢ ص ٧٩.
٥)مستدرك الوسائل / النوري الطبرسي / ج١٤ ص٣٥٨.
٦) الكافي / للكليني / ج٢ ص ٧٩.
٧) الكافي / للكليني / ج٢ ص٢٣٣.
٨) ٩.المقنع / الشيخ الصدوق / ص٣٠١.
٩) ١٠. من لا يحضره الفقيه / الشيخ الصدوق / ج٣ ص٣٤٨.

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:

اللَّهُمَّ ارْزُقْ مُحَمَّداً وآلَ مُحَمَّدٍ ومَنْ أَحَبَّ مُحَمَّداً وآلَ مُحَمَّدٍ الْعَفَافَ والْكَفَافَ، وارْزُقْ مَنْ أَبْغَضَ مُحَمَّداً وآلَ مُحَمَّدٍ الْمَالَ والْوَلَدَ.

الكافي: ج٢، ص١٤٠.

منهج تفسير جامع البيان لابن جرير الطبري

إعداد: لينا أمير عبدالحسين

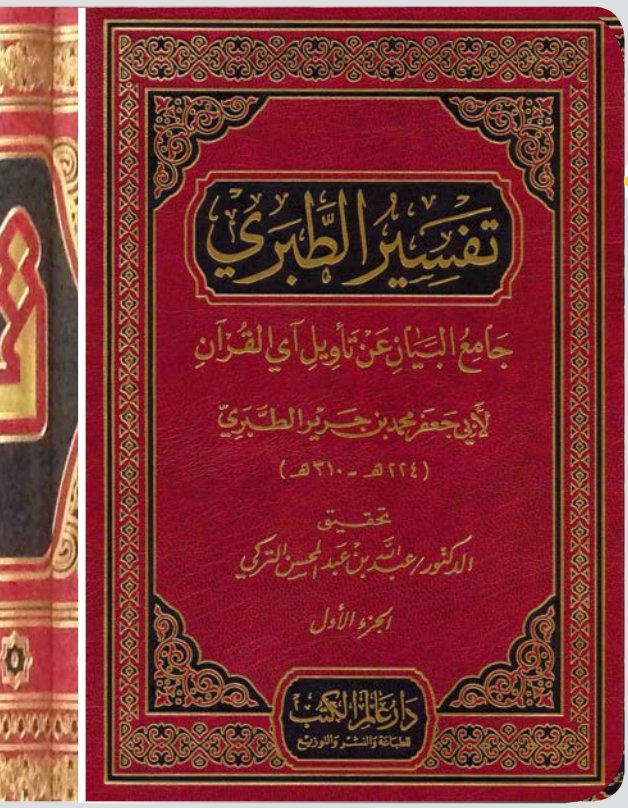

بداية إن تفسير النص القرآني يحتاج إلى إلمام كبير بمجموعة من المقدمات والعلوم والمعارف وجملة من القواعد والأصول مع الاطلاع على مناهج التفسير[1]. وإذا كان التفسير المراد منه لغة الإيضاح والتبيين فإنه يدور حول بيان المراد من كلامه سبحانه في حدود النص القرآني بحسب الإمكان والسعة المعرفية للمفسر، وأما المنهج لغة فهو الطريق الواضح والمراد منه اصطلاحاً مجموعة القواعد والضوابط التي توصل إلى نتائج أو طريقة كل مفسر في تفسير القرآن الكريم[2].

وعموماً إن أهمية المنهج في كل مجال معرفي غنية عن التوضيح وهي تمثل البصيرة التي يسير عليها السائر في الطريق، وكذا عملية تحديد المنهج أو الطريقة في رتبة سابقة على البحث لا تقل أهمية عن نفس المنهج لأن الوقوع في سوء اختيار الأدلة والمقدمات سوف يؤدي إلى إفساد النتائج في أي سير معرفي وهذا ينطبق أيضاً على عملية التفسير، فإذا اختلفت الطريقة أو الكيفية المعتمدة في بيان الآيات والكشف عن مقاصدها فهذا يعني اختلاف النتائج المترتبة على عملية التفسير، وهذا يعني اختلاف المنهج أو

الطريق المعتمد في ذلك.

ومن هنا جاءت بعض الدراسات للخوض في مناهج المفسرين لبيان تلك المناهج ونماذجها ومقوماتها، ومن أهم تلك المناهج منهج التفسير الروائي، ومنهج التفسير اللغوي، ومنهج تفسير القرآن بالقرآن، وغير ذلك، ونحن في هذه الدراسة الموجزة نحاول الإلمام بمميزات منهج تفسير الطبري في كتابه جامع البيان. حيث وقفنا على أهم النقاط في تفسيره وبيان ما اعتمد عليه في منهجه مع موجز تفسير له للآيات (٧١ ـ ٨٠) من سورة الشعراء.

قال تعالى: ﴿**قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ* قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ* أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ* قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ* قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ* أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ* فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ* الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾ (سورة الشعراء:٧١ ـ ٨٠).

من هو الطبري ؟

الطبري صاحب التفسير، هو محمد بن جرير من العلماء المؤرخين والمفسرين، ولد سنة ٢٢٤هـ في مدينة (آمل) من مدن محافظة مازندران الإيرانية، والتي كانت تسمى قديماً طبرستان، ولعل لقبه (الطبري) جاء نسبة إليها. كان عارفاً بالقراءات فقيهاً عالماً بالسُنّة وطرقها، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم، وطاف في عدة بلدان منها العراق والشام ومصر، واستقى من العلوم في كثير من المدن، لقد كان في أول أمره شافعياً في الفقه ثم استقل في مذهبه الفقهي، وتوفي ببغداد سنة ٣١٠هـ(٣)، ودفن في داره.

ومن آثاره جامع البيان المشهور بـ (تفسير الطبري)، الذي نحن بصدد التعريف به، لقد كان ابن جرير من الأعلام، وجمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فهو بالإضافة إلى علمه بالتفسير صنف أيضاً كتاب التاريخ المعروف بتاريخ الأمم والملوك[٤] أو ما يسمى بـ(تاريخ الطبري) وغير ذلك. يقول السيد ابن طاووس في إقبال الأعمال في أثناء ذكره الراوين لنص يوم الغدير من علماء الجمهور عن النبيﷺ: (ومن ذلك ما رواه محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ الكبير، صنفه وسماه كتاب الرد على الحرقوصية، روى فيه حديث الغدير وما نص على عليعليه السلام بالولاية والمقام الكبير، وروى ذلك من خمسة وسبعين طريقاً)[٥]. وتفسيره المذكور من التفاسير المعتبرة بالمأثور، يقصده من له اهتمام بالتفسير النقلي، لأن التفاسير التي كانت قبله تذكر فيها الروايات فقط، حتى جاء الطبري فزاد توجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض وذكر الإعراب وغير ذلك[٦]، والاستشهاد بأشعار العرب وغير ذلك مما سنذكره في منهجه، أي أن كتابه محط اهتمام لأنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة كما يذكر عنه البعض[٧].

مميزات منهج الطبري:

١ـ المنهج القرآني: اعتمد على المنهج القرآني وتفسير الآيات القرآنية بعضها ببعض.

٢ـ المنهج الأثري: اعتمد على المنهج الأثري[٨]. ولم يخرج في ترجيحاته عن قول الطبقات الثلاث إلا نادراً، وكان شرطه في كتابه أن لا يخرج المفسر عن أقوال هذه الطبقات الثلاث. وإن كان في بعض المواطن يقدم على الصحابة، خصوصاً فيما يتعلق بالنزول. ويقدم قول الجمهور على قول غيرهم، وقد يعدُّه إجماعاً، ويعُدُّ القول المخالف لهم شاذاً. وهذا انحياز واضح وتطرف مقيت.

٣ـ منهج الرأي: لم يعتمد على منهج الرأي، وذكر من تُرضى روايتهم ومن لا تُرضى في التفسير. ثم ذكر القول في تأويل أسماء القرآن وسوره وآياته. ثم القول في تأويل أسماء فاتحة الكتاب، ثم القول في الاستعاذة، ثم القول في البسملة.

٤ـ المنهج اللغوي: اعتمد الطبري النظر إلى صحة المعنى المفسَر به، وإلى توافقه مع السياق، وقد كانَ هذا هو المنهج العامّ في تفسيره، وكان يعتمد على صحة المعنى في الترجيح بين الأقوال. منها: اللغة التي نزل بها القرآن والأحرف السبعة، والمعرب، وطرق التفسير وقد عنون لها بقوله: (القول في الوجوه التي من قِبَلِها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن). لكنه لا يقبل أقوال اللغويين المخالفة

لأقوال السلف، ولو كان لها وجه صحيح في المعنى. وبذلك وقع في (بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ).

٥- المنهج العلمي: لم يعتمد المنهج العلمي، فلم يُعرض عن مرويات بني إسرائيل لأنه تلقاها بالآثار التي يروي بها عن السلف[٩]. فقد فاته بعض المرويات التي لا تزال تحتاج إلى النقد الفاحص. وهذه منقصة كبرى في تفسيره ومثلبة لابد من الالتفات إليها.

٦- المنهج التاريخي: لم يعتمد المنهج التاريخي. ثم ابتدأ التفسير بسورة الفاتحة، حتى ختم تفسيره بسورة الناس. وعدم الاعتماد على المنهج التاريخي يضعف التفسير لأن فيه حقائق لا يمكن تجاهلها وفيها تبيان لكثير من أسباب النزول.

٧- المنهج الموضوعي: لم يعتمد المنهج الموضوعي. حيث كان يُجزِّئ الآية التي يريد تفسيرها إلى أجزاء، فيفسرها جملة جملة، فيذكر المعنى الجملي لها بعدها، أو يذكره أثناء ترجيحه هل كان هناك خلاف في تفسيرها. وهذا ضعف آخر يضاف إلى تفسيره.

٨- مناهج أخرى (احتجاجي، كلامي، اجتماعي): فقد قدم الطبري لتفسيره بمقدمة علمية حشد فيها جملة من مسائل علوم القرآن. وبحث في علم تفسير القرآن الكريم، وفي التأويل، وأهمية التفسير، وتفسير النبوة والصحابة والتابعين، وأنواع التفسير، وعلوم المفسِّر وآدابه وشروطه. وبحث في العلوم الرافدة للتفسير، علوم اللغة العربية، والقراءات والفقه ومذاهب الفقهاء، والعقيدة والفرق الإسلامية.

ملخص تفسيره لبعض الآيات في سورة الشعراء:

قال تعالى: ﴿**قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ*قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ* أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ* قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ* قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ* أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ* فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ* الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾(سورة الشعراء:٧١ - ٨٠).

أوحى الله إلى خاتم أنبيائه محمد ﷺ أن أقصص على قومك من المشركين خبر إبراهيم حين قال لأبيه وقومه: أيّ شيء تعبدون؟ (قالوا) له: ﴿**نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ**﴾ يقول: فنظلّ لها خدماً مقيمين على عبادتها وخدمتها.

وكان ابن عباس فيما روي عنه يقول في معنى ذلك، قوله: ﴿**قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ**﴾ قال: الصلاة لأصنامهم.

قال إبراهيم لهم: هل تسمع دعاءكم هؤلاء الآلهة إذ تدعوهم؟

واختلف أهل العربية في معنى ذلك: فقال بعض نحويي البصرة معناه: هل يسمعون منكم أو هل يسمعون دعاءكم. فحذف الدعاء.

وقوله: ﴿**أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ**﴾ يقول: أو تنفعكم هذه الأصنام، فيرزقونكم شيئاً على عبادتكم لها، أو يضرونكم فيعاقبونكم على تركككم عبادتها بأن يسلبوكم أموالكم، أو يهلكوكم إذا هلكتم وأولادكم ﴿**قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾.

وفي الكلام متروك استغنى بدلالة ما

ذكر عما ترك، وذلك جوابهم إبراهيم عن مسألته إياهم: ﴿**هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ* أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ**﴾ فكان جوابهم إياه: لا يسمعوننا إذا دعوناهم، ولا ينفعوننا ولا يضرون، يدل على أنهم بذلك أجابوه. قولهم: ﴿**بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾ وذلك رجوع عن جحود، قولهم من آبائنا يعبدونها ويعكفون عليها لخدمتها وعبادتها، فنحن نفعل ذلك اقتداء بهم، واتباعًا لمناهجهم.

ويعني بالأقدمين: الأقدمين من الذين كان إبراهيم عليه السلام يخاطبهم، وهم الأولون قبلهم ممن كان على مثل ما كان عليه الذين كلمهم إبراهيم عليه السلام من عبادة الأصنام ﴿**فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾. يقول قائل: وكيف يوصف الخشب والحديد والنحاس بعداوة ابن آدم؟ فإن معنى ذلك: فإنهم عدوّ لي لو عبدتهم يوم القيامة.

وقوله: ﴿**إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾ نصباً على الاستثناء، والعدوّ بمعنى الجمع.

ومعنى الكلام: أفرأيتم كل معبود لكم ولآبائكم، فإني منه بريء لا أعبده، إلا رب العالمين.

يقول: (فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ* الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ) للصواب من القول والعمل، ويسددني للرشاد. ﴿**وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ**﴾ يقول: والذي يغذيني بالطعام والشراب، ويرزقني الأرزاق ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾ يقول: وإذا سقم جسمي واعتل فهو يبرئه ويعافيه.

وبعد هذا الشرح الموجز لمميزات منهج الطبري في تفسيره وبيان طريقته في توضيح الآيات نحاول الوقوف على بعض المفاهيم التي ارتبطت بما ورد من النقاط السابقة، فما ورد عن اعتماد الطبري على المأثور هو طريقة من التفسير يعبر عنها بالمندرج النقلي أو الروائي ومصدره، إما أن يكون صادراً عن النبي صلى الله عليه وآله في تفسير القرآن الكريم أو كلام الصحابة كما هو عند الجمهور، وإما أن يكون مصدره أئمة أهل البيت عليهم السلام كما عند الشيعة الاثني عشرية مستدلين بما وصى به رسول الله صلى الله عليه وآله الأمة بالتمسك بكتاب الله تعالى وعترته، وأن روايتهم هي رواية النبي صلى الله عليه وآله وهم أدرى بالقرآن من غيرهم، فعلى هذا يكون التفسير بالمأثور مصدرًا من مصادر التفسير، وطريقًا يأخذ به المفسرون على اختلاف مناهجهم، ولكنه معرض للنقد غالباً لأن الصحيح من الروايات قد اختلط بغير الصحيح، ولزنادقة اليهود والغلاة دور لا يجهله أحد في الدس في الإسلام وتشويه معالمه[10].

وهذا الأمر له علاقة بالمرجعية الثقافية والفكرية من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقد ترتبت نتائج خطيرة في المجتمع الإسلامي وفي الثقافة الإسلامية بشكل عام، والمعرفة التفسيرية بشكل خاص، بسبب عدم التمييز بين أهل البيت عليهم السلام وبقية الصحابة في أخذ العلوم الإسلامية، ومن تلك النتائج الخطيرة التي يمكن الإشارة إليها، هو اعتماد الصحابة على أهل الكتاب في تفسير القرآن، نتيجة عدم الاستيعاب للمتطلبات الفكرية التي كانت تواجههم[11]. وقد وقع بعض الصحابة نتيجة لهذا الاعتماد في مفارقات فكرية وعقائدية تختلف عن الاتجاهات الإسلامية، فهناك كثير من الأفكار الإسرائيلية عن الأنبياء والملائكة وعالم الآخرة أضيف إلى الثقافة الإسلامية

نتيجة الربط التفسيري بين ما في بطون الكتب الإسرائيلية والوقائع التي يشير إليها القرآن الكريم لاستخلاص العبر أو الموعظة منها [١٢].

(والمراد من الإسرائيليات كل ما اشتملت عليه أخبار اليهود في التوراة وشروحها والأسفار وما اشتملت عليه في التلمود وشروحه والأساطير والخرافات والأباطيل التي افتروها أو كانت من معارف اليهود وثقافاتهم، ومن المسيحيات ما في كتب التفسير من بدء الخلق وأخبار الأمم الماضية والكونيات وقصص الأنبياء، وأطلقت على جميع ذلك لفظ الإسرائيليات من باب التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني فإن الجانب اليهودي هو الذي اشتهر أمره فكثر النقل عنه)[١٣].

وعلى هذا فكثير من المفسرين قد نقلوا الإسرائيليات وخاصة في التفاسير المطولة التي تعتمد المأثور مثل كتب الطبري والبغوي وابن كثير والقرطبي وغيرهم.

ومعظم هذا الروايات تعزى إلى كعب الأحبار[١٤] وغيره من أهل الكتاب الذين دخلوا في الإسلام وخاصة مسلمي اليهود، فنجد التهم التي ألصقت بالأنبياء عليهم السلام وهم أبعد الناس عنها.

إن غياب الثقافة الصحيحة وفقدان المنهجية الموضوعية في السير بالأمة الإسلامية نحو التكامل هو الذي أفقد زمام الوعي المطلوب من أيدي المسلمين، إن الاختلافات وسوء الفهم الذي يعاني منه المسلمون لحد الآن كانت بذوره واضحة المعالم في العصور الأولى، الأمر الذي أدى إلى ظهور الخلافات والتي منها ما تحدثنا عنه من فسح المجال للأحبار والرهبان للتحدث عن المرويات للكتب القديمة المحرفة، والذي كان من خلقه منع تدوين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عهد المنصور العباسي عام ١٤٣هـ(١٥) فقد منع على زمن عمر بن الخطاب. لقد خسر الإسلام من جراء حظر التدوين للحديث ونشره خسارة كبيرة، فقد انتشرت الفوضى في العقائد والأخلاق والآداب، لأن الفراغ الذي حصل بغياب الحديث النبوي أوجد الأرضية المناسبة لافتعال الأحاديث المنسوبة إلى الأنبياء عليهم السلام[١٦]■

---

١) انظر المناهج التفسيرية في علوم القرآن للشيخ جعفر السبحاني ص١١ وص٧٣ .

٢) المناهج التفسيرية ص٧٣.

٣)المفسرون حياتهم ومنهجهم ص٤٠٠ السيد محمد علي أيازي .. والتفسير والمفسرون ص١٣٧ د. محمد حسين الذهبي.

٤)التفسير والمفسرون ص١٣٧.

٥)إقبال الأعمال السيد ابن طاووس ص٧٦٢ طبعة دار الحجة ١٤١٨ه.

٦)انظر المفسرون حياتهم ومنهجهم ص٤٠٢.

٧)التفسير والمفسرون ص١٣٩.

٨)تفسير الطبري: ط، الحلبي١، ص ٤١ .

٩)ن.م/ ص٢٧٤ .

١٠)انظر المفسرون حياتهم ومنهجهم ص٣٦.

١١)انظر علوم القرآن للسيد محمد باقر الحكيم ص٣٣٢.

١٢)انظر المصدر السابق ص٣٣٧.

١٣)المفسرون حياتهم ومنهجهم ص٩٧.

١٤)انظر الملل والنحل للشيخ جعفر السبحاني ج١ ص٨٢.

١٥)الملل والنحل للشيخ جعفر السبحاني ج١ ص٦٩.

١٦)انظر المصدر السابق ج١ ص٧٧.

السيد إدريس الحسيني المغربي

حكاية مستبصر

لقد شيَّعني الحسين عليه السلام .... !!

مولده ونشأته:

ولد في المغرب بمدينة (مولاي إدريس) سنة ١٩٦٧م، في أسرة مالكية المذهب لكنه من حيث النسب ينحدر من أصول إسماعيلية نسبة إلى إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، كاتب قدير له عدة مؤلفات، وصحافي بارز كتب في العديد من الصحف، تلقى دراسته الابتدائية والثانوية بالمغرب، تأثر بالفكر السلفي الوهابي وأخذ منه الكثير، ثم هاجر إلى المشرق ودرس بالحوزة العلمية في الشام بعد تشيعه.

يقول الأخ ادريس: وقع بين يدي كتابان يتحدثان عن فاجعة كربلاء وسيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولأول مرة أجد كتاباً يحمل لهجة من نوع خاص - مناقضه تماماً لتلك الكتب التي عكفت على قراءتها، لم أكن أعرف إن صاحب الكتاب رجل شيعي، لأنني ما كنت أتصور أن الشيعة مسلمون! فكانت تختلط عندي المسألة الشيعية بالمسألة البوذية أو السيخية، والوضع السني لا يجد حرجاً في أن يملي علينا ذلك، إنّه كان يكرس هذه النظرة لدى الأفراد، ولا يصحح مغالطاتهم.

وفجأة وجدت نفسي مخدوعاً، لماذا هؤلاء لا يكشفون الحقائق للناس، كما هي في الواقع؟ لماذا يتعمدون إبقاءنا على وعينا السخيف، تجاه أكبر وأخطر مسألة وجدت في تاريخ المسلمين؟ ثم لماذا لا يتأثرون بفاجعة الطف العظمى، تلك التي ماجت في دمي الحار بالإنصاف والتوق إلى العدالة، فتدفقت بالحسرة والرفض والمطالبة بالدم الضائع في منعطفات التاريخ الإسلامي.

وفي لحظة من عمري طرحت على نفسي سؤالاً: ترى، ما هو هذا الظلم الذي ما زلت في كل حياتي أشتكي منه وأفرض من خلاله كل الأوهام على نفسي؟ لم أجد جواباً شافياً في ذهني، سوى ما ركز في نفسي من أدبيات حركية استلهمتها من كتابات معينة.

فاجعة الطف

هذه وحدها الحادثة التي أعادت رسم الخريطة الفكرية والنقية في ذهني، إن هذا الظلم الذي أعاني منه ليس جديداً على الأمة، فلقد سبقه ظلم أكبر، وعلى أساس هذا الظلم القديم قالت

لي أفكاري: إن هؤلاء الظالمين اليوم يسلكون طريقاً أسسه رجالات كانوا يشكلون حجر عثرة أمام مسيرة الأئمة من آل البيت عليهم السلام.

كنت كلما طرحت سؤالاً على نفسي، رأيت شيطاناً يعتريني ويقول لي: دع عنك هذا السؤال، فهل أنت أعظم من ملايين المسلمين الذين وجدوا قبلك وهل أنت أعلم من هؤلاء الموجودين حتى تحسم في هذه الحالة.

أمام الأمواج البشرية الهائلة التي ليس لها منطق في عالم الحقائق سوى كثرتها.

كنت أطرح دائماً على أصدقائي، قضية الحسين المظلوم وآل البيت عليهم السلام. لم أكن أطرح شيئاً آخر، فأنا ظمآن إلى تفسير شاف لهذه المآسي، لم أكن أتصور، وأنا مسلم في القرن العشرين، كيف يستطيع هؤلاء السلف الصالح أن يقتلوا آل البيت عليهم السلام تقتيلا؟

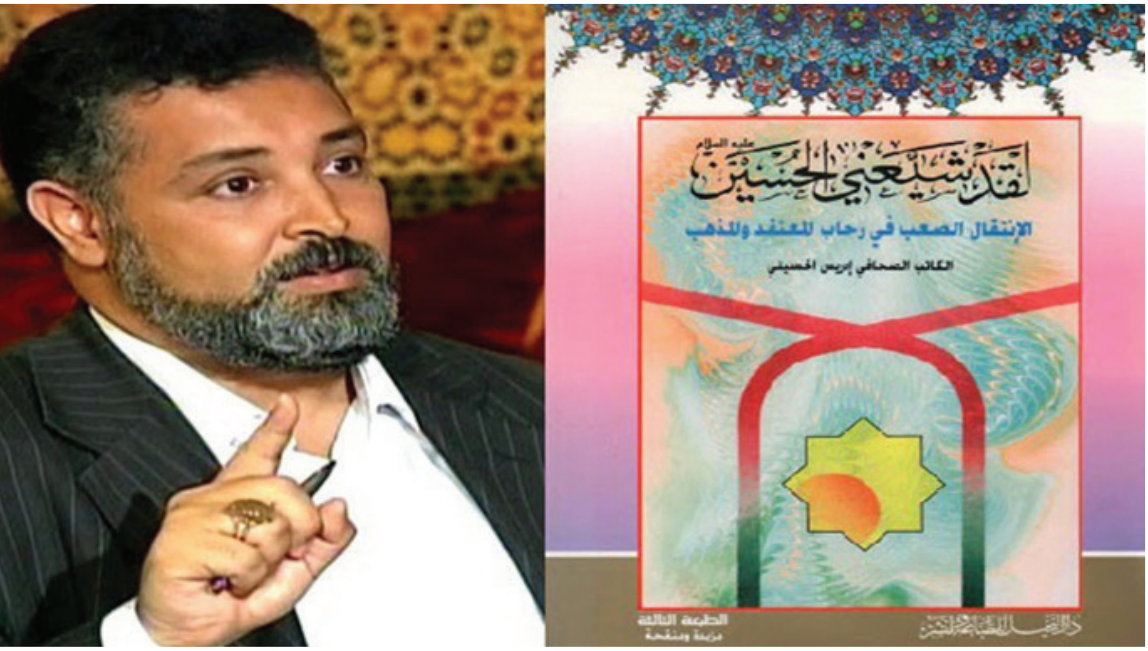

ولقد حزَّ في نفسي هذه الكثرة الغالبة، حيث إنَّها كبرت في عيني وصعب عليَّ مخالفتها، بيد أنَّ شيئاً واحداً جعلني أنتصر عليها وذلك إيماني بأنَّ الأكثرية فقط لا يمكنها أن تمثّل الحقيقة، ولا يسع في البحث الموضوعي عدّ الأكثرية ملاكاً لمعرفة الحقّ، وهذا ما جعلني أتمكَّن من الصمود

إن هذه الفكرة التي انقدحت في ذهني باللطف الإلهي جعلتني أدفع أكبر ثمن في حياتي، وكلفتني الفقر والهجرة والأذى .... وما زادني ذلك إلاّ إيماناً وإصراراً، وتذكرت قولة شهيرة للإمام علي عليه السلام لما قال له أحد شيعته: إني أحبك يا أمير المؤمنين فأجابه: إذاً، فأعد للفقر جلباباً!

لم تكن عندي يومها المراجع الكافية لاستقصاء المذهب الشيعي .... لكنني أسندت ذلك القليل الذي أملكه من كتب الشيعة بدراساتي النقدية والمعمقة، لكتب أهل السنة والجماعة.

لم تمض مدة قصيرة من دراسة السيّد إدريس للتراث الشيعي إلاَّ وأدرك أموراً خطيرة قلبت عنده الموازين.

قال لي أحد المقربين يوماً: من الذي شيعك، وأي الكتب اعتمدتها؟! قلت له: أما بالنسبة، لمن شيعني، فإنّه، جدي الحسين عليه السلام ومأساته الأليمة، أما عن الكتب، فقد شيعني صحيح البخاري والصحاح الأخرى، قال: كيف ذلك؟ قلت له: اقرأها، ولا تدع تناقضاً إلاّ أحصيته، ولا رطانة إلاّ وقفت عندها ملياً .. إذ ذاك ستجد، بغيتك!

ويعلم الله! أنني رسخت قناعاتي الشيعية، من خلال مستندات أهل السنة والجماعة أنفسهم، ومن خلال ما رزحت به من متناقضات، وكان الكتاب أحياناً يتعرض بالشتم والسباب للشيعة، وإذا بي أزداد بصيرة ببراءتهم.

كنت وقتذاك أبحث عن شيء واحد، هو أن أتأكد من حقيقة العلاقة والتلازم بين الفكر الشيعي، والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وهل هم فعلاً مصدر هذه الأفكار؟ أو إن الفكر جديد كل الجدّة، ولم يكونوا قد تداولوه في عصر الأئمة؟

إنني أدركت بعد ذلك أن الأئمة، كانوا أكبر من أن يتبعوا غيرهم، وما ثبت في التاريخ الإسلامي أن تعلّم إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام على يدٍ عامية، بل هم كانوا أساتذة لأئمة أهل السنة والجماعة، الذين ما لبثوا أن مالوا واستكانوا لرغبة الأمراء والخلفاء، وسكتوا عن أشياء، وضمّموا أخرى وأخضعوا فكر الأمة لعزيزة البلاط!

وأخيراً... نخلص من هذه الرحلة السريعة، القاسية، في رحاب المعتقد لنعلن أهمية الرجوع إلى أصل المعتقدات لإعادة بناء القناعة، على أسس علمية دقيقة، بعيداً عن ذوي التقليد، إنني لم أتذوق حلاوة العقيدة، إلاّ في ظل الجولة، عندما أوقفني البحث الطويل، المضني على عتبة آل البيت النبوي، الذين ظلمهم التاريخ – الأموي – ووضع بديلاً عنهم، نماذج وهمية، كانت هي حقاً سبباً في تشتت الدين ضمن مذاهب متفرقة، أدخلت المسلمين في فتن ضارية.

ولما قادني بحثي إلى الإمام الصادق عليه السلام شعرت بأنني كنت طيلة حياتي مخدوعاً بعظماء وهميين، إذ أن العملاق المجهول الذي كان معلماً لمئات من علماء هذه الأمة، لم يوفه تاريخ الجماعة حقه، بالرغم من أن الأئمة الأربعة أخذوا عنه، لقد خرجت من الضيق وشدته إلى سعة الحق ورحابته، ومن غبش المعاني إلى الوضوح والجلاء.

نقل بتصرف: (موسوعة من حياة المستبصرين ـ مركز الأبحاث العقائدية ـ ج٢ ص٨٩)

(التواضع) في حديث الإمام الصادق عليه السلام

قال الإمام الصادق عليه السلام:

((التواضع أصل كل شرف نفيس ومرتبة رفيعة، ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق لنطق عن حقائق ما في مخفيات العواقب. والتواضع ما يكون لله وفي الله، وما سواه فكبر. ومن تواضع لله شرَّفه الله على كثير من عباده. ولأهل التواضع سيماء يعرفها أهل السماوات من الملائكة وأهل الأرض من العارفين. قال الله عز وجل: (وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ). وأصل التواضع من إجلال الله وهيبته وعظمته. وليس لله عز وجل عبادة يقبلها ويرضاها إلّا وبابها التواضع. ولا يعرف ما في معنى حقيقة التواضع إلّا المقربون من عباده المستقلين بوحدانيته، قال الله عز وجل: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا). وقد أمر الله – عز وجل – أعز خلقه وسيد بريته محمدا صلى الله عليه وآله بالتواضع، فقال عز وجل: (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ). والتواضع مزرعة الخضوع والخشوع والخشية والحياء، وإنَّهُنَّ لا يأتين إلّا منها وفيها، ولا يسلم الشرف التام الحقيقي إلّا للمتواضع في ذات الله تعالى)).

(جامع السعادات/ النراقي/ ج١ ص٣١٤)

يا شفيف النور
في حق سيدنا وإمامنا الحسن العسكري عليه السلام

لخادمه: عبدالمجيد فرج الله

أوّبَـــت فـي وحـشـةِ الـغَـسَـقِ ... كـــلُّ دُنـيـانـا إلـــى ألَـــقِ
مَـــن تَـــراهُ؟ حـيـثُ فـي يـدِه ... ذابَ مـنـهـا نـاضِـحُ الـحَـدَقِ
وهَـــوَت لَـثْـمـاً مـواجِـدُهـا ... وهْـــيَ ظـمـأى لِـلـسّـنـا الـغَـدِقِ
تـتـمـلّاهُ عـلـى شَـغَـفٍ ... بـــفـــؤادٍ، آهِ، مُـحـتـرِقِ
مـن تُـــراهُ؟ وَهْـــوَ فـي حُـلُـمٍ ... أخـضـرِ الأصـــداءِ والـعَـبَـقِ
هـامـةٌ زخّـــارةٌ شَـمَـمـاً ... لـم تَـنَـلْـهـا أنـجُـمُ الـغَـسَـقِ
وعـيـونٌ كُـلُّـهـا وَلَـهٌ ... أمـطـرتْ شـوقـاً لآيٍّ تَـقِـي
عُـمْـقُـهـا بَـحْـرٌ مُـجـنّـحـةٌ ... حـولَـهُ الآمـــالُ فـي حَـلَـقِ
سـاحِـرٌ إيـمـاضُـهـا، وعـلـى ... بـوحِـهـا كـمْ طـافَ مـن غَـرِقِ
تَـسـكـبُ الأفـــراحَ بـاسـمـةً ... عـلَّ قـلـبـاً آبَ غـيـرَ شـقـي
قـاسـمـتـنـا هـمَّـنـا، وبَـكَـت ... لـلـجـوى والـحُـزْنِ والأرَقِ
مـن تـــراه؟ .. وهـــو بـارقَـةٌ ... تـبـهـر الأكـــوان بـالـفـلـقِ؟؟
روحُـــهُ الـكـبـرى تُـلامِـسُـنـا ... بِـحـنـوٍّ نـاعِـمٍ عَـبِـقِ
وتُـغـذّيـنـا تـوهُّـجَـهـا ... فـي انـهـيـارِ الـلـهـفـةِ الـشَّـرِقِ
فـإذا نـحـنُ الـمـدى .. وعـلـى ... ضـفّـتـيـهِ رائـق الـشّـفَـقِ
مـن تُـــراه؟ كـيـفَ نَـمْـحـضُـهُ ... نـازفَ الأوداجِ فـي سَـبَـقِ

* * *

ويـلـذُّ الـمـوتُ حـولَ حمى ... قـلـبـهِ الـحـانـي بـلا رهَـقِ
كـيـف لا؟ مـن أجـلـنـا شـرب الـ ... ـسُـمَّ حـتـى آخـرَ الـرمـقِ
مَـنْ تُـراهُ ؟ أيُّ عـاطـفـةٍ ... بـيـنـنـا تـسـمـوا بـلا مَـلَـقِ
نـجـتـويـهِ، نـقـتـفـي أثـراً ... مـن سـنـاه الـغَـمْـرِ حـيـثُ رُقِـي

يحتوينا وادعاً حدباً ... ويُطفّي لافحَ الحُرَقِ
ويَلُمُّ الأُمنياتِ لنا ... إن تردّانا دُجى القلَقِ
وجهُ (سامرّاءَ) مُنزَرِعٌ ... في دِمانا بعدُ لم يُفِقِ
هَدْهَدَتْهُ نَبْضةٌ رَؤمَتْ ... فغفا في حِضنِها الوَمِقِ
الرّمالُ البيضُ هانئةٌ ... بأماني حُبّنا النَزِقِ
نَتحرَّى بينَها أثَراً ... (لأبي المهديِّ) كانَ بقِي
حَسَراتٌ لا يُرجِّعُها ... غيرُ قلبٍ ذاهلٍ أَرِقِ ..
وجهُ (سامرّاء) قد رعَشَتْ ... صحوةٌ فيهِ على حُرَقي
يتململّأني وفي فَمِهِ ... بسمةٌ مقطوعةُ العُنُقِ
وعلى أهدابِهِ جَمدَ الـ ... ـدمعُ تمثالاً بلا دفَقِ
دمعةٌ أمْ صرخةٌ فقدتْ ... صفوَها في موتِها الدَّبِقِ؟!
مثلَ مرآةٍ حَكتْ ذِكرًا ... مُرَّةً مجنونةَ الحنَقِ

❊ ❊ ❊

كلُّ ماضيها ضجيجُ دم ... شَربتْهُ الأرضُ في فِرَقِ
يُهْرِقُ الحُكّامُ صفوتَهُ ... وبأيدي شَرِّ مُرتَزِقِ
ومَوالي السّوءِ عاكفةٌ ... تحصدُ الأرواحَ كالعُذُقِ
أكلوا آلافَ أدمِغَةٍ ... أينعتْ في خيرِ مُنطلَقِ
والزنوجُ انفضّ قِمُقِمُهمْ ... عن فَناءٍ غيرِ مُنغلِقِ
والورى في الوَحْلِ خيّرُهم ... لو رقى يهوي على زَلَقِ
بَحْرُهُم طامٍ تَفَسُّخُهُ ... يتعاوى غيرَ مُتَّسِقِ
كلُّ حِزبٍ أهلُّهُ قضموا ... حَتْفَهُم في سوءِ مُسْتَبَقِ
وحِرابُ الإثمِ ما فَتِئتْ ... شُرَّعاً في وجهِ مُنْعَتِقِ
أيُّ دهرٍ عاشَهُ (حَسَنٌ) ... إنْ سعى في وُسْعِهِ يَضِقِ
وإذا ما رامَ يَجْمَعُهُ ... لِسَواءِ القَصْدِ لَم يُطِقِ
أمّةٌ مَارت بها فِتَنٌ ... فاستساغتْها على شَبَقِ
ثمَّ ألقتْ يومَها لغدٍ ... ماجَ بالأعداءِ مُنْفَلِقِ
فهوَتْ للقَعْرِ خاسِئةً ... ومُدَاها في الدَّمِ الأَلَقِ

في الذاكرة

شهر ربيع الأول

١ خروج النبي صلى الله عليه وآله إلى غار ثور استعداداً للهجرة سنة ١٣ من البعثة.

١ مبيت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على فراش الرسول صلى الله عليه وآله سنة ١٣ من البعثة.

١ أول هجوم على دار أمير المؤمنين عليه السلام لأخذ البيعة بعد دفن النبي صلى الله عليه وآله سنة ١١ هـ.

٣ رمي الكعبة بالمنجنيق حتى أُحرقت على يد الحصين بن نمير قائد جيش يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ.

٤ خروج النبي صلى الله عليه وآله من الغار وهجرته إلى المدينة.

٥ وفاة السيدة سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام عام ١١٧ هـ.

٨ استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام عام ٢٦٠ هـ. وبدء إمامة الإمام صاحب الأمر الحجة بن الحسن (عجل الله فرجه)، وبداية غيبته الصغرى.

٩ مقتل عمر بن سعد لعنه الله سنة ٦٧ هـ.

١٠ وفاة عبد المطلب جد الرسول صلى الله عليه وآله سنة ٣٢ قبل البعثة.

١٠ زواج النبي صلى الله عليه وآله من السيدة خديجة عليها السلام سنة ١٥ قبل البعثة.

١٠ اغتصاب معاوية بن أبي سفيان للخلافة وأخذ البيعة من الناس، وأول ملوك بني أمية ، وذلك سنة ٤١ هـ.

١٢ وصول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله إلى المدينة مهاجرًا من مكة سنة ١٣ من البعثة.

١٢ هلاك المعتصم العباسي (لعنه الله) بسرَّ من رأى سنة ٢٢٧ هـ .

١٤ هلاك يزيد بن معاوية (لعنه الله) سنة ٦٤ هـ .

١٥ بناء مسجد قباء أول مسجد في الإسلام في السنة الأولى للهجرة.

١٧ مولد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في عام الفيل (٥٧٠م) سنة ٥٣ قبل الهجرة.

١٧ مولد الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام سنة ٨٣ هـ في المدينة المنورة.

١٨ بناء المسجد النبوي في المدينة المنورة في عام الهجرة .

٢٣ وصول السيدة فاطمة (المعصومة) بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام إلى بلدة قم سنة ٢٠١ هـ .

٢٥ استشهاد سعيد بن جبير رضي الله عنه على يد الحجاج بن يوسف الثقفي (لعنه الله) سنة ٩٥ هـ .

٢٥ وفاة السيد علم الهدى الشريف المرتضى رحمه الله عام ٤٢٦هـ.

٢٦ ابرام معاهدة الصلح (الهدنة)بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان على شروطٍ نَقَضَها معاوية ، وذلك سنة ٤١هـ.

٢٧ دخول أمير المؤمنين عليه السلام المدينة المنورة بظعينة الفواطم . مهاجرًا من مكة إلى المدينة وملتحقًا بالنبي صلى الله عليه وآله.

٢٧ معراج النبي صلى الله عليه وآله بعد البعثة بـ ٥ سنوات .

٢٧ وفاة المرجع الأعلى زعيم الطائفة آية الله العظمى السيد محسن الحكيم قدس سره عام ١٣٩٠هـ .

٢٩ توجه أمير المؤمنين عليه السلام إلى حرب الجمل (على رواية) سنة ٣٦ هـ .

في الذاكرة

شهر ربيع الثاني

١ خروج سليمان بن صرد الخزاعي وأصحابه للثأر لدم الحسين عليه السلام، وسميت حركته بثورة التوابين والتي انتهت بمقتله ومقتل أصحابه سنة ٦٥ هـ .

٣ وفاة مرجع الشيعة في عصره الشيخ أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الملقب بـ(المحقق الحلي) قدس سره صاحب كتاب (شرائع الإسلام)، عام ٦٧٦ هـ .

٥ هلاك هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥ هـ .

٧ شهادة الزهراء عليها السلام (على رواية) بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله بأربعين يوما سنة ١١ هـ .

٨ مولد الإمام الحسن العسكري عليه السلام في المدينة المنورة سنة ٢٣٢ هـ .

٨ وفاة الشاعر الكبير السيد حيدر الحلي رحمه الله ، صاحب القصيدة الشهيرة التي مطلعها (الله يا حامي الشريعة) ، وذلك سنة ١٣٠٤ هـ .

٩ وفاة السيدة فاطمة (المعصومة) بنت الإمام الكاظم عليهما السلام سنة ٢٠١هـ.

٩ وفاة السلطان معز الدولة الديلمي رحمه الله في بغداد سنة ٣٥٦ هـ .

١٠ بدء ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي مطالبًا بدم الامام الحسين عليه السلام ودماء أهل بيته وأصحابه سنة ٦٦ هـ.

١٥ وفاة السيد موسى المبرقع ابن الإمام محمد الجواد عليه السلام بمدينة قم ودفن فيها سنة ٢٩٦ هـ.

٢١ خلع معاوية بن يزيد نفسه عن الخلافة المغصوبة من أهل البيت عليهم السلام بعد أربعين يومًا من هلاك أبيه يزيد بن معاوية (لعنه الله) سنة ٦٤ هـ .

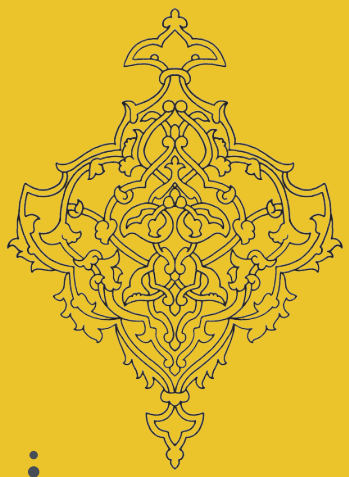

وقفة مع الذكرى

وصول النبي الأعظم ﷺ إلى المدينة

مهاجرًا من مكة في ١٢ربيع الأول من السنة الأولى من الهجرة.

بُعث النبي ﷺ في مكة وله من العمر أربعين عامًا.. ومكث فيها بعد مبعثه ثلاث عشرة سنة، وقد لاقى ما لاقى من قريش من الأذى والشدائد والمصائب والتنكيل والتعذيب لأتباعه طوال هذه السنين، وكان آخرها محاصرته ومن معه في شِعْب أبي طالب وتعليق وثيقة المقاطعة له ولبني هاشم على الكعبة. حتى قال ﷺ: ما أُوذي نبي مثلما أُوذيت..

(وقَدْ كَانَتْ خَدِيجَةُ - زوجهُ وسنده - مَاتَتْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسَنَةٍ، ومَاتَ أَبُو طَالِبٍ - عمّه وناصره - بَعْدَ مَوْتِ خَدِيجَةَ بِسَنَةٍ، فَلَمَّا فَقَدَهُمَا رَسُولُ اللّه ﷺ سَئِمَ الْمُقَامَ بِمَكَّةَ ودَخَلَه حُزْنٌ شَدِيدٌ - حتى سمى ذلك العام بعام الحزن - وأَشْفَقَ عَلَى نَفْسِه مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَشَكَا إِلَى جَبْرَئِيلَ عليه السلام ذَلِكَ، فَأَوْحَى اللّه عَزَّ وجَلَّ إِلَيْه: اخْرُجْ مِنَ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا، وهَاجِرْ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَيْسَ

لَكَ الْيَوْمَ بِمَكَّةَ نَاصِرٌ، وانْصبْ لِلْمُشْرِكِينَ حَرْباً، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَجَّه رَسُولُ اللّه ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ)[1].

عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال: (هَاجَرَ رَسُولُ اللّه ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وخَلَّفَ عَلِيّاً عليه السلام فِي أُمُورٍ لَمْ يَكُنْ يَقُومُ بِهَا أَحَدٌ غَيْرُه، وكَانَ خُرُوجُ رَسُولِ اللّه ﷺ مِنْ مَكَّةَ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ رَبِيعٍ الأَوَّلِ، وذَلِكَ يَوْمُ الْخَمِيسِ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ مِنَ الْمَبْعَثِ، وقَدِمَ الْمَدِينَةَ لاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ مَعَ زَوَالِ الشَّمْسِ، فَنَزَلَ بِقُبَا فَصَلَّى الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ والْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ مُقِيماً يَنْتَظِرُ عَلِيّاً عليه السلام يُصَلِّي الْخَمْسَ صَلَوَاتٍ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، وكَانَ نَازِلاً عَلَى عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ بِضْعَةَ عَشَرَ يَوْماً، يَقُولُونَ لَه أَتُقِيمُ عِنْدَنَا فَنَتَّخِذَ لَكَ مَنْزِلاً ومَسْجِداً؟ فَيَقُولُ: لَا، إِنِّي أَنْتَظِرُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وقَدْ أَمَرْتُه أَنْ يَلْحَقَنِي، ولَسْتُ مُسْتَوْطِناً مَنْزِلاً حَتَّى يَقْدَمَ عَلِيٌّ ومَا أَسْرَعَه إِنْ شَاءَ اللّه، فَقَدِمَ عَلِيٌّ عليه السلام والنَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فَنَزَلَ مَعَه، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللّه ﷺ لَمَّا قَدِمَ عَلَيْه عَلِيٌّ عليه السلام تَحَوَّلَ مِنْ قُبَا إِلَى بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ وعَلِيٌّ عليه السلام مَعَه يَوْمَ الْجُمُعَةِ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَخَطَّ لَهُمْ مَسْجِداً ونَصَبَ قِبْلَتَه فَصَلَّى بِهِمْ فِيه الْجُمُعَةَ رَكْعَتَيْنِ وخَطَبَ خُطْبَتَيْنِ، ثُمَّ رَاحَ مِنْ يَوْمِه إِلَى الْمَدِينَةِ عَلَى نَاقَتِه الَّتِي كَانَ قَدِمَ عَلَيْهَا وعَلِيٌّ عليه السلام مَعَه لَا يُفَارِقُه يَمْشِي بِمَشْيِه، ولَيْسَ يَمُرُّ رَسُولُ اللّه ﷺ بِبَطْنٍ مِنْ بُطُونِ الأَنْصَارِ إِلَّا قَامُوا إِلَيْه يَسْأَلُونَه أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِمْ فَيَقُولُ لَهُمْ خَلُّوا سَبِيلَ النَّاقَةِ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، فَانْطَلَقَتْ بِه ورَسُولُ اللّه ﷺ وَاضِعٌ لَهَا زِمَامَهَا حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي تَرَى وأَشَارَ بِيَدِه إِلَى بَابِ مَسْجِدٍ،...فَنَزَلَ رَسُولُ اللّه ﷺ وأَقْبَلَ أَبُو أَيُّوبَ - الأنصاري رضي الله عنه - مُبَادِراً حَتَّى احْتَمَلَ رَحْلَه فَأَدْخَلَه مَنْزِلَه، ونَزَلَ رَسُولُ اللّه ﷺ وعَلِيٌّ عليه السلام مَعَه حَتَّى بُنِيَ لَه مَسْجِدُه وبُنِيَتْ لَه مَسَاكِنُه ومَنْزِلُ عَلِيٍّ عليه السلام فَتَحَوَّلَا إِلَى مَنَازِلِهِمَا)[2].

١- الكافي / الكليني / ج٨ ص٣٤١.

٢- ن.م.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

لما ولد رسول الله ﷺ أُلقيت الأصنام في الكعبة على وجوهها، فلما أمسى سمع صيحة من السماء: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا.

بحار الأنوار: ج١٥، ٢٧٤.

للفضيلة نجومها

الحسين بن روح النوبختي ودوره الديني

م.م.ساجد صباح العسكري
كلية العلوم الإسلامية – جامعة كربلاء

ينابيع

أسرة آل النوبختي من الأسر البغدادية العريقة والتي انتقلت بداية فترة الحكم العباسي من بلاد فارس إلى بغداد حيث مقر الخلافة العباسية، كان أفراد هذه العائلة من المقربين إلى حكام البلاط العباسي لما يمتلكوه من رصيد علمي في التنجيم والإدارة والأدب أهّلهم لأن يحضوا بهذه المكانة عند الحكام آنذاك[١].

ولعل كلمة نوبخت في الفارسية تعني الحظ الجديد[٢]، ولم يقتصر دور أسرة آل النوبختي على نوع واحد من العلوم، فإن لهم دورًا في الكثير من العلوم والفنون، نجمل الكلام طلباً للاختصار في أهم ما اشتهرت به هذه الأسرة وكان لها دور بارز فيه وهي كما يلي:

١ـ التنجيم :

وهذا العلم هو أشهر ما تميزت به الأسرة وخصوصاً في عهد نوبخت وابنه أبي سهيل[٣]، وبعض أبناء أبي سهيل كهارون بن أبي سهل، وأبو العباس الفضل بن سهل[٤]، ومن أهم من صنف في هذا العلم هو أبو سهل بن نوبخت فقد صنف النهمطان في المواليد، وكتاب الفال النجومي[٥]، وغيرها.

٢ـ علم الكلام:

واشتهرت هذه الأسرة بعلم الكلام من خلال المصنفات التي كتبها بعض

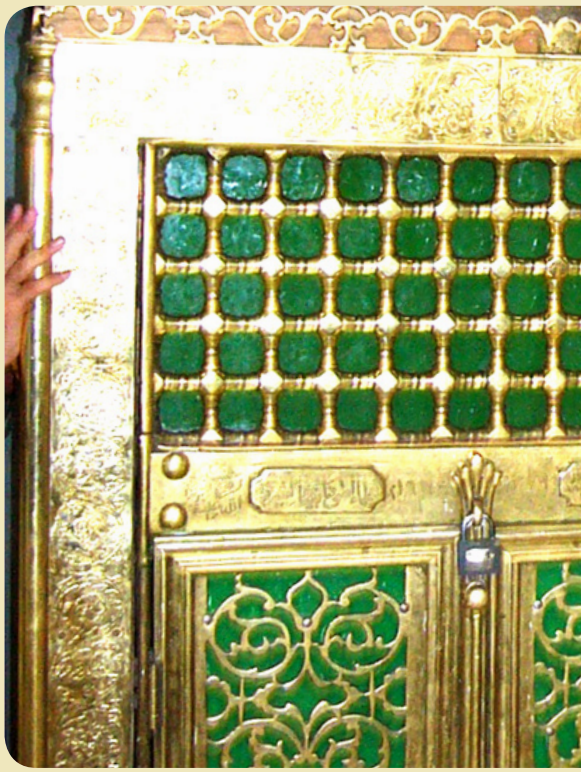

أفرادها في خصوص هذا العلم ، ومن خلال المناظرات التي قاموا بها ضد خصومهم، فقد اهتدى الكثير من أحفاد أبي سهل إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام، فأول كتاب في الملل والنحل ألفه أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي[٦] وأسماه فرق الشيعة وكتب الكثير من الكتب الكلامية غيره[٧].

وكان لأبي إسماعيل بن علي الدور البارز في هذا المجال، ففضلاً عن تصانيفه الكثيرة في علم الكلام، كانت لديه مناظرات مع المعتزلة ومع مدعي السفارة كالحسين بن منصور الحلاج[٨]، ولهم ردود على بعض الفرق كالواقفية[٩] والغلاة[١٠] والمجسمة[١١]، ومن أقدم الكتب الكلامية للشيعة كتاب الياقوت لأبي إسحاق إبراهيم النوبختي، وقد وصل إلينا هذا الكتاب في ضمن الشرح الذي كتبه عليه العلامة الحسن بن المطهر الحلي (ت ٧٢٦هـ) بعنوان أنوار الملكوت في شرح الياقوت، وسبقه إلى شرحه ابن أبي الحديد المعتزلي ولكن لم يصل إلينا[١٢].

٣ـ الأدب ورواية الشعر:

وبرز في هذا المجال إسماعيل بن أبي سهل وبعض إخوته ومحمد بن روح وأبي الحسين بن علي وأبو أيوب سليمان فقد كان إسماعيل من الأدباء الذين عاشوا في بلاط المأمون، وكان أبو أيوب سليمان من عداد الشعراء المقّلين. ونقل ابن النديم أن ديوانه يبلغ خمسين ورقه[١٣]، وكانت لأبي سهل إسماعيل بن علي مراسلات في الشعر وكان من رواة الشعر[١٤].

٤ـ رواية الحديث وصحبة الأئمة:

كان الكثير من أحفاد أبي سهل النوبختي من أصحاب الأئمة ورووا عنهم الحديث ولعل أبرزهم الحسين بن روح النوبختي الذي توج بمهمة النيابة الخاصة عن الإمام المهدي (عج)، وسوف نفصل الكلام في خصوص سيرته ودوره الديني، ومنهم أيضاً أبو الحسن بن موسى بن كبرياء وأبو سهل وإسماعيل بن علي، فقد عاصر أبو سهل إسماعيل بن علي الإمام الهادي والإمام العسكري والإمام المهدي عليهم السلام، وكان من أصحاب الأئمة عليهم السلام، وعاش الحسن بن موسى بن كبرياء في زمن الغيبة الصغرى، وكان إسماعيل بن إسحاق بن أبي سهل من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام وروى بعض الأحاديث عن الأئمة عليهم السلام.

هذا ولهذه الأسرة دور أيضاً أو دور

كبير في الترجمة والإدارة وغيرهما لا يسع المقام لذكرها.

دور الحسين بن روح النوبختي في النيابة الخاصة والسفارة عن الإمام (عج)

كان للحسين بن روح النوبختي دورٌ دينيٌ كبيرٌ وخصوصاً في فترة سفارته التي تحمل أعباءها، وتعرض في هذه الفترة للكثير من الضغوطات من قبل السلطة والتي دعته للاختفاء ومن ثم السجن.

وهذا هو ديدن الأولياء والمصلحين من التعرض للضغوطات من قبل الحكومات الجائرة وطواغيت زمانهم، والتعرض للمطاردة والاعتقال والتعذيب والتنكيل، ومع ذلك كله فلم يغفل دوره كسفير ونائب عن الإمام المهدي (عج) فكان في تلك الظروف يمارس دوره من خلال الاتصال بالشيعة مباشرةً أو عن طريق وكيل عنه ويفضح زيف المدعين للسفارة وينقل التواقيع الشريفة إلى عامة الشيعة فقام بمهامه خير قيام. ولم يكن الحسين بن روح النوبختي المرشح البارز لشغل هذا المنصب من جلالة قدره وخاصة بالسفير الثاني إلا أنه من بين عشرة من الشخصيات التي كان بعضهم أكثر قرباً منه ففيهم أبو سهل النوبختي وجعفر بن متيل.

وهذا أمرٌ في غاية الأهمية، هو أن اصطفاء الله لبعض عباده واختياره لهم لأي أمر تقتضيه مشيئته كالنبوة أو الولاية أو الملك أو السفارة، غير متروك لاختيار البشر وأمزجتهم وأذواقهم وانتخاباتهم، وإنما هي ألطاف إلهية ـ خارجة عن إدراكنا ـ يمن بها على من يشاء من عباده، كما حدثنا القرآن الكريم بذلك عن بعض الأمم السابقة، قال تعالى: (**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**)(البقرة: ٢٤٧)، فالله سبحانه هو الذي يصطفي من عباده من يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة. وهناك آيات كثيرة تتضمن هذا المفهوم، وغالبًا ما تتم عبر الوصية من السابق على اللّاحق، وهكذا كانت الوصية من السفير الثاني محمد بن عثمان العمري على السفير الثالث أبي القاسم حسين بن روح النوبختي، وكما سيتبين ذلك من خلال الروايات اللاحقة.

روى الشيخ الطوسي بسنده عن جعفر بن أحمد بن متيل القمي يقول: (كان محمد بن عثمان أبو جعفر العمري ﷺ له من يتصرف له ببغداد نحو من عشرة أنفس وأبو القاسم بن روح (رضي الله عنه) فيهم، وكلهم كانوا أخص به من أبي القاسم بن روح حتى أنه كان إذا احتاج إلى حاجة أو إلى سبب ينجزه على يد غيره لما لم يكن له تلك الخصوصية، فلما كان وقت مضي أبي جعفر (رضي الله عنه) وقع الاختيار عليه وكانت الوصية إليه)[١٥]؛ لذا توجب على السفير الثاني أبي جعفر العمري ترسيخ فكرة سفارة الحسين بن روح عند عوام وخواص الشيعة قبل وفاته وتمثل ذلك بعدة أساليب:

١.جعله السفير عن الإمام في حياته وتقريبه منه، وكان أول تكليف للحسين بن روح بالسفارة قبل أكثر من سنتين من وفاة السفير الثاني[١٦].

٢.أمر السفير الثاني الشيعة في

حياته وخلال فترة تسلم الحسين بن روح السفارة ولو بشكل غير رسمي بإعطاء أموال الحقوق للحسين بن روح حتى يمهد لسفارته.

روى الصدوق والطوسي بسندهما قالا: (حدثنا أبو جعفر محمد بن علي الأسود رضي الله عنه قال: كنت أحمل الأموال التي تجعل في باب الوقف إلى أبي جعفر محمد بن عثمان العمري (رضي الله عنه) فيقبضها مني، فحملت إليه يومًا شيئًا من الأموال في آخر أيامه قبل موته بسنتين أو ثلاث سنين فأمرني بتسليمه إلى أبي القاسم الروحي (رضي الله عنه) وكنت أطالبه بالقبوض فشكا ذلك إلى أبي جعفر العمري (رضي الله عنه) فأمرني أن لا أطالبه بالقبض، وقال: كلما وصل إلى أبي القاسم وصل إلي، قال: فكنت أحمل بعد ذلك الأموال إليه ولا أطالبه بالقبوض)[١٧].

نلاحظ أن إجراء السفير الثاني هو عملية تمهيد وتمرين لمن سيخلفه بالسفارة، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ترويض للشيعة على الإذعان والتسليم والطاعة لأمر سفير الإمام وقبوله دون تردد أو تلكؤ.

١.قام بترسيخ تلك الفكرة بشكل عملي عند خواص الشيعة وأعيانهم في المجلس الذي جمعهم قبل وفاة السفير الثاني بأيام، أن أخذ بيد الحسين بن روح وأجلسه بقربه وأوصى له بالسفارة.

روى الطوسي بسنده عن جعفر بن أحمد بن متيل قال: (لما حضرت أبا جعفر محمد بن عثمان العمري (رضي الله عنه) الوفاة كنت جالسًا عند رأسه أسأله وأحدثه، وأبو القاسم بن روح عند رجليه.

فالتفت إلي ثم قال: أُمرت أن أوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح.

قال: فقمت من عند رأسه وأخذت بيد أبي القاسم وأجلسته في مكاني وتحولت إلى عند رجليه)[١٨].

١.ما قام به ذكاء خادم السفير الثاني من تسليم ما أوصاه سيده إلى السفير الثالث ما هو إلا أسلوب من أساليب ترسيخ فكرة السفارة للحسين بن روح عند الشيعة.

روى ابن طاووس في مهج الدعوات بسنده أنه: (لما مضى سيدنا الشيخ أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه وأرضاه وزاده علوًا فيما أولاه وفرغ من أمره جلس الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر زاد الله توفيقه للناس في بقية نهار يومه في دار الماضي رضي الله عنه فأخرج إليه ذكاء الخادم الأبيض مدرجًا وعكازًا وحقة خشب مدهونة فأخذ العكاز فجعلها في حجره على فخذيه وأخذ المدرج بيمينه والحقة بشماله فقال الورثة في هذا المدرج ذكر ودائع فنشره فإذا هي أدعية وقنوت موالينا الأئمة من آل محمد عليهم السلام)[١٩].

١.تقريبه إليه وجعله وكيلاً عنه ينظر في أملاكه ويلقي بأسراره لرؤساء الشيعة.

٢.كان لتوقيع الإمام المهدي (عج) الذي خرج على يد السفير الثاني وكان فيه دعاء من الإمام للحسين بن روح بالغ الأثر في علو مكانة الحسين بن روح عند عوام الشيعة وخواصهم[٢٠].

وهنا جاء التوقيع من الناحية المقدسة لدعم السفير وتأييده من جانب، وحسم الأمر للشيعة من جانب آخر من أجل زيادة الاطمئنان وإزالة أي ريب أو شبهة وكذلك إكمال الحجة عليهم.

سبب اختياره للسفارة

قال الشيخ الطوسي في غيبته: (وقال مشايخنا: كنا لا نشك أنه إن كانت كائنة من أبي جعفر لا يقوم مقامه إلا جعفر بن أحمد بن متيل أو أبوه لما رأينا من الخصوصية به وكثرة كينونته في منزله، حتى بلغ أنه كان في آخر عمره لا يأكل طعاما إلا ما أصلح في منزل جعفر بن متيل وأبيه بسبب وقع له، وكان طعامه الذي يأكله في منزل جعفر وأبيه، وكان أصحابنا لا يشكّون إن كانت حادثة لم تكن الوصية إلا إليه من الخصوصية به، فلما كان عند ذلك ووقع الاختيار على أبي القاسم سلموا ولم ينكروا، وكانوا معه وبين يديه كما كانوا مع أبي جعفر ﵁ ولم يزل جعفر بن أحمد بن متيل في جملة أبي القاسم ﵁ (جملة أصحاب، أو خدمة أبي القاسم - ظ) وبين يديه كتصرفه بين يدي أبي جعفر العمري إلى أن مات ﵁، فكل من طعن على أبي القاسم فقد طعن على أبي جعفر، وطعن على الحجة صلوات الله عليه.

روى أيضًا بإسناده عن ابن نوح قال: وسمعت جماعة من أصحابنا بمصر يذكرون أن أبا سهل النوبختي سئل فقيل له: كيف صار هذا الأمر إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك؟ فقال: هم أعلم وما اختاروه، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم. ولو علمت بمكانه ﵇ كما علم أبو القاسم وضغطتني الحجة على مكانه لعلّي كنت أدل على مكانه ﵇، وأبو القاسم فلو كانت الحجة تحت ذيله وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه أو كما قال)[٢١].

من الملاحظ أن جواب سهل النوبختي حين سئل: كيف صار الأمر إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك؟ فأجاب: هم أعلم وما اختاروه، وهذا جواب كامل شاف وكاف لمؤمن عالم مسلّم أمرهُ لمولاه وما يختار، ولكنهُ يستدرك في جوابه ليذكر قضية الكتمان والسرية، وهذا الاستدراك هو تعبير عن وجهة نظره لما يفهمه من أهمية الكتمان والسرية وممارسة التقية التي لابد لحامل الأمانة أن يتصف بها ليؤدي دوره على أكمل وجه.

وبعد رحيل السفير الثاني استلم الحسين بن روح المهمة بشكل مستقل وكان ذلك في (عام ٣٠٥هـ) في عهد وزارة آل فرات في زمن المقتدر العباسي حتى عام (٣٢٦هـ) الذي توفي فيه فأوكل أمر السفارة للسفير الرابع محمد بن علي السمري بأمر من الإمام (عج) فكانت مدة سفارة الحسين بن روح رضوان الله عليه (٢١سنة)■

---

١)ينظر تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ١٠/ ٥٦، وينظر تاريخ دمشق، ابن عساكر: ٣٢/ ٣٠٤.
٢)آل نوبخت، عباس اقبال اشتياني: ٢٣.
٣)أبو سهل بن نوبخت غير أبي سهل الذي عاصر الحسين بن روح، نوهنا لذلك لأنه سوف يكثر ذكر أبي سهل عند الحديث عن الحسين بن روح.
٤)ينظر آل نوبخت: ٢٥، ٣٠، ٣٨.
٥)الفهرست، ابن النديم البغدادي: ٣٣٣.
٦)الشيعة وفنون الإسلام، حسن الصدر، ٨٠.
٧)آل نوبخت: ١٤٥ وما بعدها.
٨)ينظر الغيبة للطوسي: ٢٥٥.
٩)ينظر رجال النجاشي: ٣٢.
١٠)ينظر الفهرست، ابن النديم: ٢٢٥.
١١)ينظر رجال النجاشي: ٣٢.
١٢)ينظر آل نوبخت: ١٩٩- ٢٠٠.

١٣)الفهرست، ابن النديم: ١٩٢.
١٤)ينظر آل نوبخت: ١٣١، ١٣٢.
١٥)الغيبة للطوسي: ٢٣٤.
١٦)ينظر الغيبة للطوسي: ٢٣٥.
١٧)كمال الدين للصدوق: ٥٠١، الغيبة للطوسي: ٢٣٥.
١٨)الغيبة للطوسي: ٢٣٥.
١٩)مهج الدعوات، ابن طاووس: ٤٦.
٢٠)ذكرنا نص التوقيع فيما سبق من البحث عند الكلام عن مكانته وأقوال الأئمة فيه.
٢١)عن كتاب (تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي / السيد محمد علي الأبطحي /ج٢ص٤٠٥).

من سيرة النبي صلى الله عليه وآله

* عن آمنة بنت أبي سعيد السهمي قالت: امتنع أبو طالب من إتيان اللات والعزى بعد رجوعه من الشام في المرة الأولى حتى وقع بينه وبين قريش كلام كثير، فقال لهم أبو طالب: إنه لا يمكنني أن أفارق هذا الغلام (ويعني النبي محمد) ولا مخالفته، وإنه يأبى أن يصير إليهما، ولا يقدر أن يسمع بذكرهما، ويكره أن آتيهما أنا، قالوا: فلا تدعه وأدبه حتى يفعل ويعتاد عبادتهما، فقال أبو طالب: هيهات ما أظنكم تجدونه ولا ترونه يفعل هذا أبدًا، قالوا: ولم ذاك؟ قال: لأني سمعت بالشام جميع الرهبان يقولون: هلاك الأصنام على يد هذا الغلام، قالوا: فهل رأيت يا أبا طالب منه شيئًا غير هذا الذي تحكيه عن الرهبان؟

فإنه غير كائن أبدًا (أو نهلك جميعًا)، قال: نعم، نزلنا تحت شجرة يابسة فاخضرت وأثمرت، فلما ارتحلنا وسرنا نثرت على رأسه جميع ثمرها ونطقت، فما رأيت شجرة قط تنطق قبلها وهي تقول: يا أطيب الناس فرعًا، وأزكاهم عودًا.

(البحار/ج١٥/ص٣٥٨)

القراءات القرآنية المنسوبة إلى الإمام الحسين عليه السلام

د. عصام كاظم الغالبيّ
جامعة الكوفة

ينابيع

القراءة في اللغة مصدر الفعل (قرأ)، يقال: (قرأ الكتاب قراءة وقرآنا ... وقرأ الشيء جمعه وضمه)[1]، أما في الاصطلاح فحدودها كثيرة منها أنها (علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا لناقله)[2]، ومنها أنها (علم يُعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من السماع)[3]، أو هي (وجوه مختلفة في الأداء من الناحية الصوتية أو التصريفية أو النحوية)[4].

واختلف العلماء في حقيقة القراءات فيرى الباقلاني (ت٤٠٣هـ) أنها قرآن منزل من عنده تعالى[5]، ويرى الزركشي (ت٧٩٤هـ) أن القرآن والقراءات (حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وآله، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها)[6].

وقد أدى ذلك إلى جعل النظر إليها متأرجحا (بين التقديس والمناقشة، فمن يقدسها يعتبرها قرآنا، ومن يناقشها يعتبرها علما بكيفية أداء كلمات القرآن، وفرق بين القرآن وأداء القرآن)[7].

وممن رأى أنها ليست من القرآن وليست مسألة دينية الدكتور طه حسين رأى أنّ القراءات السبع ليست من الوحي في قليل ولا كثير، وليس منكرها كافرًا ولا فاسقًا، وللناس أن يجادلوا فيها وأن ينكروا بعضها[8].

وكذلك اختلفوا في القراءات القرآنيّة

أهي متواترة أم لا؟ فذهب قوم منهم إلى تواترها، ومن هؤلاء الزرقانيّ الذي يقول: (والتحقيق الذي يؤيده الدليل هو أن القراءات العشر كلها متواترة)[٩]، وغالى بعضهم فادّعى أن من زعم عدم تواتر القراءات السبع فقد كفر[١٠]، ولعل السبب في ما ذُهب إليه هو ربط هؤلاء القرآن بالقراءات، وعدم تواتر القراءات يؤدي في نظرهم إلى عدم تواتر القرآن[١١].

وذهب آخرون إلى عدم تواترها عن النبي ﷺ، فيرى الزركشي أن القراءات السبع متواترة عن الأئمة السبعة أما تواترها عن النبي ﷺ ففيه نظر، فإن إسناد الأئمة السبعة بهذه القراءات السبع موجود في كتب القراءات، وهي نقل الواحد عن الواحد، ولم تكمل شروط التواتر في استواء الطرفين[١٢].

وقد رُوِي في كتب التفسير والقراءات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام عددٌ كبير من القراءات القرآنية ونُسبت إليهم، وليس من السهل الجزم بصحة نسبتها إليهم أو بعدم الصحة، وقد تناولها عدد من الباحثين جمعًا ودراسة وأثرًا[١٣]، والملاحظ في هذه القراءات عدم التعارض أو التناقض فيما بينها، فالقراءة إما تنسب لأحد أئمة أهل البيت، وإما تنسب إلى عدد منهم عليهم السلام، ولا تكاد تجد إمامًا قرأ بقراءة معينة، وقرأ إمام آخر بقراءة أخرى.

ومن القراءات المنسوبة إلى الإمام

الحسين عليه السلام قراءته قوله تعالى: (**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا**) (نوح: ٢٨)، قرأه (ولولَدَيّ) بدلاً من (ولوالديّ) وكذلك رُويت القراءة عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر[١٤].

وهنا تغير المعنى فالدعاء في الآية لأبوي النبي نوح، وأبوه لمك بن متوشلخ، وأمه شمخا بنت أُنوش: كانا مؤمنين. وقيل هما آدم وحواء، أما الدعاء في القراءة فهو لولدَي النبي نوح سام وحام[١٥].

وذكر الآلوسي أن قراءة (رَبّ اغفر لِي ولوالديّ) أراد أباه لمك بن متوشلخ وقد تقدم ضبط ذلك وأمه شمخى بالشين والخاء المعجمتين بوزن سكرى بنت أُنوش بالإعجام بوزن أصول وكانا مؤمنين ولولا ذلك لم يجز الدعاء لهما بالمغفرة وقيل أراد بهما آدم وحواء، وقرأ ابن جبير والجحدري (ولوالدي) بكسر الدال وإسكان الياء فإما أن يكون قد خصّ أباه الأقرب أو أراد جميع من ولدوه إلى آدم عليه السلام، ولم يكفر كما قال ابن عباس لنوح أبٌ ما بينه وبين آدم عليه السلام، وقرأ الحسين بن علي كرم الله تعالى وجههما ورضي عنهما وزيد بن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم ويحيى بن يعمر والنخعي والزهري (ولولديّ) تثنية ولد يعني ساما وحاما على ما قيل[١٦].

وفي تفسير قوله تعالى (**فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا**) (عبس:٢٤،٢٥)، ذكر بعض المفسرين أن الإمام الحسين عليه السلام قرأ (أنى صببنا) بالإمالة على معنى: فلينظر الإنسان كيف صببنا الماء، ويرى الزمخشري أن الله تعالى (لما عدد النعم في نفسه: أتبعه ذكر النعم فيما يحتاج إليه، فقال: (فَلْيَنْظُرِ الإنسان إلى طَعَامِه) إلى مطعمه الذي يعيش به كيف دبرنا أمره (أنا صببنا الماء) يعني الغيث، قرئ بالكسر على الاستئناف، وبالفتح على البدل من الطعام)[١٧].

وذكر أبو حيان أن الجمهور قرأ: إنا بكسر الهمزة، والأعرج وابن وثاب والأعمش والكوفيون ورويس: ﴿أنا﴾ بفتح الهمزة؛ والحسين بن عليّ رضي الله تعالى عنهما: أنى بفتح الهمزة مُمالا؛ فالكسر على الاستئناف في ذكر تعداد الوصول إلى الطعام، والفتح قالوا على البدل، ورده قوم، لأن الثاني ليس الأول. قيل: وليس كما ردوا لأن المعنى: فلينظر الإنسان إلى إنعامنا في طعامه، فترتب البدل وصح، كأنهم جعلوه بدل كل من كل، والذي يظهر أنه بدل الاشتمال[١٨].

ومما نُسب إلى الإمام الحسين عليه السلام أيضا قراءته قوله تعالى: (**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**) (الزلزلة:٧،٨)، قرأه (يُرَه) بضم الياء على البناء للمجهول بدلاً من فتح الياء، وهنا يكون الفاعل غير الرائي في حين أنه الرائي نفسه في القراءة[١٩].

وقد فصل أبو حيان القول في قراءات هذه الآية وقرّائها قائلا: (وقرأ الحسين بن علي وابن عباس وعبد الله بن مسلم وزيد بن علي والكلبي وأبو حيوة وخليد بن نشيط وأبان عن عاصم والكسائي في رواية حميد بن الربيع عنه: بضمها؛ وهشام وأبو بكر: بسكون الهاء فيهما؛ وأبو عمرو: بضمهما مشبعتين؛ وباقي السبعة: بإشباع الأولى وسكون الثانية، والإسكان في الوصل لغة حكاها الأخفش ولم يحكها سيبويه، وحكاها الكسائي أيضاً عن بني

كلاب وبني عقيل، وهذه الرؤية رؤية بصر. وقال النقاش: ليست برؤية بصر، وإنما المعنى يصيبه ويناله. وقرأ عكرمة: يراه بالألف فيهما، وذلك على لغة من يرى الجزم بحذف الحركة المقدرة في حروف العلة، حكاها الأخفش؛ أو على توهم أن (من) موصولة لا شرطية، كما قيل في (أنه من يتقي ويصبر) في قراءة من أثبت ياء يتقي وجزم يصبر، توهم أن من شرطية لا موصولة، فجزم ويصبر عطفاً على التوهم) [٢٠].

ومنها أيضًا قراءته قوله تعالى: (**فَبذلك فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**) (يونس:٥٨)، إذ نُسب إليه أنه قرأ (فلتفرحوا) بالتاء خطاباً للمؤمنين يدل عليه قول النبي ﷺ في بعض مغازيه: لتأخذوا (مصافكم)، ويجمعون بالياء خبر عن الكافرين قُلْ يا محمد لكفار مكة أَرَأَيْتُمْ ما أَنْزَلَ اللّٰه خلق اللّٰه لَكُمْ عبّر عن الخلق بالإنزال لأن ما في الأرض من خيراتها أنزل من السماء مِنْ رِزْقٍ زرع أو ضرع فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَراماً وَحَلالاً وهو ما حرموا من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي [٢١].

وقد رويت هذه القراءة عن أبي بن كعب أيضًا، قال الطبري: (حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن سفيان، عن أسلم المنقري، عن عبد اللّٰه بن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه، عن أبيّ بن كعب: أنه كان يقرأ: (فَبذَلِكَ فَلْتَفْرَحُوا هُوَ خُيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)، بالتاء)[٢٢].

وقد فصل ابن عطية القول فيها ذاكرًا أن معنى الآية (قل يا محمد لجميع الناس بِفَضْلِ اللّٰه وَبِرَحْمَتِه فليقع الفرح منكم، لا بأمور الدنيا وما جمع من حطامها، فالمؤمنون يقال لهم: فلتفرحوا، وهم متلبسون بعلة الفرح وسببه، ومحصلون لفضل اللّٰه منتظرون الرحمة، والكافرون يقال لهم: بِفَضْلِ اللّٰه وَبِرَحْمَتِه فلتفرحوا، على معنى أن لو اتفق لكم أو لو سعدتم بالهداية إلى تحصيل ذلك، وقرأ أبي بن كعب وابن القعقاع وابن عامر والحسن على ما زعم هارون ورويت عن النبي ﷺ (فلتفرحوا)، و (تجمعون) بالتاء فيهما على المخاطبة، وهي قراءة جماعة من السلف كبيرة، وعن أكثرهم خلاف، وقرأ السبعة سوى ابن عامر وأهل المدينة والأعرج ومجاهد وابن أبي إسحاق وقتادة وطلحة والأعمش: بالياء فيهما على ذكر الغائب، ورويت عن الحسن بالتاء من فوق فيهما، وقرأ أبو التياح وأبو جعفر وقتادة: بخلاف عنهم وابن عامر بالياء في الأولى وبالتاء في الآخرة، وقرأ الحسن بن أبي الحسن وجماعة من السلف ورويت عن النبي ﷺ بالياء في الأولى وفي الآخرة، ورويت عن أبي التياح، وإذا تأملت وجوه ذلك بانت على مهيع الفصيح من كلام العرب ولذلك كثر الخلاف من كل قارئ، وفي مصحف أبي بن كعب، (فبذلك فافرحوا)، وأما من قرأ (فلتفرحوا)، فأدخل اللام في أمر المخاطب فذلك على لغة قليلة، حكى ذلك أبو علي في الحجة، وقال أبو حاتم وغيره: الأصل في كل أمر إدخال اللام إذا كان النهي بحرف فكذلك الأمر، وإذا كان أمرًا لغائب بلام، قال أبو الفتح: إلّا أن العرب رفضت إدخال اللام في أمر المخاطب لكثرة ترداده، وقرأ أبو الفتوح والحسن: بكسر اللام من (فلتفرحوا)، فإن قيل: كيف أمر اللّٰه بالفرح في هذه الآية؟ وقد ورد ذمه في قوله: (**لَفَرِحٌ فَخُورٌ**) (هود: ١٠)، وفي قوله: (**لا تَفْرَحْ إِنَّ اللّٰه لا يُحِبُّ**

الْفَرِحِينَ) (القصص: ٧٦) قيل إن الفرح إذا ورد مقيدًا في خير فليس بمذموم وكذلك هو في هذه الآية، وإذا ورد مقيدًا في شر أو مطلقًا لحقه ذم إذ ليس من أفعال الآخرة بل ينبغي أن يغلب على الإنسان حزنة على ذنبه وخوفه لربه، وقوله: (ممَّا يَجْمَعُونَ يريد من مال الدنيا وحطامها الفاني المؤذي في الآخرة)[٢٣].

ولم يرتض هذه القراءة عددٌ من العلماء، قال الأخفش معلقًا عليها: (وقال بعضهم (فَلْتَفْرَحُوا) وهي لغة العرب ردية لأن هذه اللام إنما تدخل في الموضع الذي لا يقدر فيه على (أَفْعَل)؛ يقولون: (لِيَقُلْ زَيْدٌ) لأنك لا تقدر على (أَفْعَل). ولا تدخل اللام إذا كلمت الرجل فقلت (قُلْ) ولم تحتج إلى اللام[٢٤].

ومن القراءات المنسوبة إليه عليه السلام قراءته قوله تعالى: **(ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ)** (الدخان:٤٩)، قالوا إن الإمام الحسين بن علي قرأ على المنبر (أنك) بفتح الهمزة أسنده إليه الكسائي وأتبعه فيها، ورأوا أن المعنى واحد في المقصد وإن اختلف المؤخذ إليه.

وروَوا عن قتادة في سبب نزول الآية أن أبا جهل لما نزلت: **(إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ)** (الدخان: ٤٣-٤٤)، قالَ أيتهددني محمد وأنا ما بين جبليها أعزمني وأكرم، فنزلت هذه الآيات، وفي آخرها: **(ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ)**، أي على قولك، وهذا كما قال جرير:

ألم يكن في وسوم قد وسمت بها
من خان موعظة يا زهرة اليمن

يقولها للشاعر الذي سمى نفسه به، وذلك في قوله:

أبلغ كليباً وأبلغ عنك شاعرها
أني الأعز وأني زهرة اليمن
فجاء بيت جرير على هذا الهزء[٢٥]■

---

١)تاج العروس (قرأ).
٢)أثر القرآن والقراءات في النحو العربي: ٣٠٩.
٣)مقدمات في علم القراءات: ٤٧.
٤)الإتقان في علوم القرآن: ١ / ٤٥.
٥)يُنظَر: نكت الانتصار لنقل القرآن: ٤١٥ ، وتاريخ القرآن: ١١٧.
٦)البرهان: ١ / ٣١٨.
٧)تاريخ القرآن: ١١٧ .
٨)يُنظَر: في الأدب الجاهلي: ٩٥.
٩)مناهل العرفان: ١ / ٤٣٩.
١٠)يُنظَر: المصدر نفسه: ١ / ٤٣٤.
١١)يُنظَر: منهج النقد في التفسير: ٢٣٨ ، ٢٣٩.
١٢)يُنظَر: البرهان: ١ / ٣١٩.
١٣)يُنظَر: قراءات أهل البيت، والقراءات القرآنية المنسوبة لأهل البيت وآثارها، رسالة ماجستير، كلية الفقه / جامعة الكوفة ، ٢٠١٥.
١٤)نور الثقلين ٤ / ١١٣.
١٥)الكشاف ٧ / ١٥٠.
١٦)روح المعاني: ٢١ / ٣٣٠.
١٧)ينظر الكشاف ٧ / ٢٣٦.
١٨)ينظر البحر المحيط١٠ /٤٣٧ ، والآلوسي٢٢ /١٩٠.
١٩)البحر المحيط ١١ / ١٢، وينظر الآلوسي ٢٣ / ٨٩.
٢٠)البحر المحيط ١١ / ١٢، وينظر الآلوسي ٢٣ / ٨٩.
٢١)الكشف والبيان للثعلبي ٧ / ٣٨.
٢٢)تفسير الطبري ١٥ / ١٠٩.
٢٣)المحرر الوجيز ١٢٦/٣.
٢٤)معاني القرآن للأخفش ١/ ٣٧٥.
٢٥)ينظر: المحرر الوجيز ٩٤/٦

من أدعية القرآن

* رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ .
* رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ.
* رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ.
* رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا.
* رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.
* رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.
* رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.
* رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا .
* رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ.
* رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ.
* رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .
* رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ .
* رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.
* رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ .
* رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

صور الموت للأخيار والأشرار

الباحث: محسن عبد العظيم الخاقاني

ينابيع

مما لا ريب فيه أن الله سبحانه وتعالى خلق الحياة الدنيا وجعلها دار ابتلاء للإنسان، فإن عمل خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، والابتلاء الأكبر فيها هو الجهاد في سبيل الله عز وجل، فتكون ساحة الجهاد المحك الأكبر في الدنيا، وللمجاهد أحدى الحُسنيين إما النصر أو الشهادة، فبالنصر ينعم بالعيش الهانئ الخالي من الخنوع والذلة، وبالشهادة يكون له الخلاص من الخطر الذي خرج مقاتلًا من أجله، وكذلك فإنه يحظى بالكرامة العظمى عند الله سبحانه وتعالى، وتكون آثار جهود وتضحيات الشهداء محفوظة عند الله في هذه الدنيا، من خلال الحفاظ على المقدسات، وليس كل شخص يصل إلى درجة الشهيد، لذا أولى الإسلام مكانة خاصة للشهداء، ففي حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (فوق كل بر برٌ حتى يقتل الرجل في سبيل الله عز وجل، فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه بر)[1]، وغير ذلك مما توضحه المصادر الإسلامية في مقام الشهداء، وتحكي عظمة عملهم، وما هو بصدد البحث هو هل يُنعَّم الشهيد براحة في حال شهادته وقبض روحه مع ما يلاقيه من قتل وتقطيع للأوصال؟ ليكون ذلك مما يُرغب به المؤمن حسيًا عند الموت؟

والإجابة على ذلك تكون بالرجوع إلى أنّ إطلاق كلمة الشهيد ـ من مادة الشهود ـ على هؤلاء، إمّا لحضورهم في ميدان الجهاد ضد أعداء الحق، أو لأنّهم يشاهدون ملائكة الرحمة لحظة شهادتهم، أو لمشاهدتهم النعم العظيمة التي أُعدّت لهم، أو لحضورهم عند الله، كما جاء في الآية الشريفة: (**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**)(آل عمران:١٩٦)، وقلّ من يصل إلى

درجة الشهيد في الإسلام)[٢].

وقد أثبت القرآن الكريم للمجاهدين موتاً ظاهراً بقوله: (قُتلوا) ونفى عنهم الموت الحقيقي بقوله: (**بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**) فعلمنا أنّهم وإن كانوا أموات الأجسام فهم أحياء الأرواح، حياة زائدة على حقيقة بقاء الأرواح، غير مضمحلّة بل هي حياة بمعنى تحقّق آثار الحياة لأرواحهم من حصول اللذّات والمدركات السارّة لأنفسهم، ومسرّتهم بإخوانهم، ولذلك كان قوله: (عِنْدَ رَبِّهِمْ) دليلاً على أنّ حياتهم حياة خاصّة بهم، ليست هي الحياة المتعارفة في هذا العالم، من حياة الأجسام وجريان الدم في العروق ونبضات القلب، ولا هي حياة الأرواح الثابتة لأرواح جميع الناس، وكذلك الرزق يجب أن يكون ملائماً لحياة الأرواح وهو رزق النعيم في الجنّة[٣].

وفي حديث مفصل في شأن مقام الشهداء مروي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له، إذ قام إليه شاب فقال: (يا أمير المؤمنين أخبرني عن فضل الغزاة في سبيل الله. فقال عليه السلام: كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وآله على ناقته العضباء ونحن منقلبون عن غزوة ذات السلاسل، فسألته عما سألتني عنه، فقال:... (وذكر أمير المؤمنين عليه السلام قول النبي صلى الله عليه وآله في أجر نيّة الغزاة واستعدادهم مرورًا بوداع أهلهم وصولًا إلى مواجهتهم العدو، وسقوطهم

بأرض المعركة) إلى أن قال عليه السلام: فينادي منادٍ: الجنة تحت ظِلال السيوف، فتكون الطعْنة والضربة علَى الشهيد أهون من شرب الماء البارد في اليوم الصائف، وإذا زال الشهيد من فرسه بطعنة أو ضربة لم يصل إلى الأرض حتى يبعث الله إليه زوجته من الحور العين فتبشره بما أعد الله له من الكرامة...)[٤].

وموطن الشاهد في الرواية، هو أن الشهيد ليس فقط لا يحس بآلام الطعنات والضربات فحسب! بل إنه يلتذ بها كما يلتذ شارب الماء البارد في اليوم الصائف على حد تعبير النبي صلى الله عليه وآله، أي: إن الذي يشرب الماء البارد مع شدة الحرارة يكون متلهفًا للماء ومشتاقًا له، كذلك حال الشهيد لمّا يُقتل في سبيل الله، وأي ترغيب جميل محسوس كهذا الترغيب؟

والشهداء يقتلون وتفارقهم الحياة الفانية كما تبدو لنا من ظاهرها، ولكن لأنهم قتلوا في سبيل الله، وتجردوا له من كل الأعراض والأغراض، واتصلت أرواحهم بالله، فإن الله - سبحانه - يخبرنا في الخبر الصادق أنهم ليسوا أمواتاً، وينهانا أن نحسبهم كذلك، ويؤكد لنا أنهم أحياء عنده، ويخبرنا بما لهم من خصائص الحياة الأخرى، كونهم يرزقون فيتلقون رزقه، وأنهم فرحون بما آتاهم الله من فضله، فيوصل إليهم أنواع الفرح والسرور والبشارة وأنهم لا يخافون ولا يحزنون، وإن هذا النص كفيل بأن يغير مفاهيمنا للموت والحياة وما بينهما من انفصال والتئام، ويعلمنا أن الأمور في حقيقتها ليست كما هي في ظواهرها التي ندركها[٥].

وكذلك عبر عن الشهداء بأنهم لا يصيبهم خوف ولا حزن، قال تعالى: **(أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)** (آل عمران:١٧٠)، وجاء في تفسير الخوف والحزن، أن الأول يكون بسب المستقبل، والثاني يكون بسبب فوات المنافع في الماضي، فلا خوف عليهم فيما سيأتيهم من أحوال القيامة، ولا حزن لهم فيما فاتهم من نعيم الدنيا[٦]، وقد تضمنت هذه الآية جميع ما أعدّ الله لأوليائه، لأن زوال الخوف يتضمن السلامة من جميع الآفات، وزوال الحزن يقتضي الوصول إلى كل اللذّات والمرادات[٧]، فيكون موت المؤمن المتقي يمثل له مصداقاً من مصاديق الترغيب الحسي في الحياة الآخرة.

الترهيب الحسي الحاصل في الموت

المُلاحظ أن القرآن الكريم يُبيّن أن الموت إما أن يكون عنصرًا من عناصر الترغيب الحسي أو الترهيب الحسي، فهو رحمة لما فيه من الراحة والاطمئنان الذي تنشره الملائكة للمؤمنين، وهو في الوقت نفسه يكون مظهرًا من مظاهر النقمة والعذاب للظالمين، وإذا كان حال المؤمنين ساعة الاحتضار الراحة واللّذة لما يلقونه في الموت، فإن حال الظالمين تكون على عكس هذا المشهد الخاص بالمتقين.

وما يستفاد من مجموع الآيات التي ذكرت الموت أنَّ لحظة استلال الروح على خلاف ما يقوله الماديون، لحظة صعبة ومؤلمة، ولِمَ لا تكون كذلك والحال أنّها لحظة انتقال من هذا العالم إلى عالم آخر، أي إنَّ الإنسان كما ينتقل من عالم الأجنة إلى عالم الدنيا مصحوباً بألم شديد، فكذلك الانتقال إلى العالم الآخر بهذا

الشكل[٨].

فأكثر شيء في الموت إفزاعاً وإيلاماً هو سكرات الموت التي عبر عنها القرآن الكريم بأنها تجيء، قال تعالى: (وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ)، والسكرة مأخوذة من السُكر والسُّكْرُ: نقيض الصحو، حالة تعرض بين المرء وعقله، وسكْرةُ الموت: غشيته[٩].

وسكرة الموت هي حال تشبه حالة الثمل السكران إذ تظهر على الإنسان بصورة الاضطراب والانقلاب والتبدّل، وربّما استولت هذه الحالة على عقل الإنسان وسلبت شعوره واختياره، ووجه الشبه بين من نزل به الموت وبين السكران هو عدم القدرة على السيطرة على جوارحه في فعل شيء[١٠].

ومن الترهيب المهول في سكرة الموت كونها تجيء ولا تستثني أحدا، (والمجيء مجاز في الحصول والاعتراء، وفي هذه الاستعارة تهويل لحالة احتضار الإنسان وشعوره بأنه مفارق الحياة التي ألفها وتعلق بها قلبه)[١١]، ويلفت النظر في التعبير ذكر كلمة الحق، وهي توحي بأن النفس البشرية ترى الحق كاملاً وهي في سكرات الموت، وتراه بلا حجاب، وتدرك منه ما كانت تجهل وما كانت تجحد، ولكن بعد فوات الأوان حين لا تنفع رؤية، ولا يجدي إدراك، ولا تقبل توبة، ولا يحسب إيمان، وذلك الحق هو الذي كذبوا به[١٢].

فيصور القرآن الكريم ذلك المشهد الخاص بالظالمين الذي يظهر فيه الترهيب الحسي بيناً، قال تعالى: (**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**)(النحل:٢٨)، فترى الملائكة يستقبلون الكافرين بالتأنيب والوعيد في جهنم، وكذلك هم يستلون أرواحهم في تعذيب وتأنيب ومهانة[١٣]، ووصفهم بـ(ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) - خلاف وصف المتقين بأنهم طيبين- يرمي إلى أن توفّي الملائكة إيّاهم ملابس لغلظة وتعذيب، ويلقون السَلَم لهم عند انتزاع أرواحهم ليكفّوا عنهم تعذيب الانتزاع[١٤].

ومن عظيم بدائع القرآن الكريم، أنه استعمل لفظتي (السلام) و(السلم) في حالة احتضار الإنسان وقبض روحه، للدلالة على الترغيب والترهيب الحسي، فاستعمل لفظة السلام في قوله تعالى: (**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**) (النحل:٣٢)، و(السلام الذي يدل على سلامة الروح والفكر واللسان والسلوك والعمل، الذي جعل ذلك الجو وتلك البيئة جنة، مليئة بالأمن والاطمئنان، واقتلع كل أنواع الأذى منها)[١٥]، فاستعمل هذه اللفظة على لسان الملائكة الموكلين بقبض روح المؤمن، لتبعث الطمأنينة المصحوبة بالبشارة، وعندها لا يحس المؤمن بعملية انتزاع الروح ولا تكون عليه شديدة ومؤلمة.

بينما استعمل لفظة السلم (والسَلَم بفتح السين وفتح اللاّم الاستسلام)[١٦]، أو كما قيل: (قال قتادة الخضوع، والمراد أنهم أظهروا الانقياد والخضوع، وأصل الإلقاء في الأجسام فاستعمل في إظهارهم الانقياد وإشعاراً بغاية خضوعهم وانقيادهم وجعل ذلك كالشيء الملقى بين يدي القاهر الغالب)[١٧]، وجاءت هذه اللفظة على لسان الظالمين، لتدل على الخضوع والرعب والخوف من العذاب، فتكون عملية انتزاع الروح محسوسة بالألم، وبهذا يتضح

الفرق بين اللفظتين مع أن الفرق في المبنى هو حرف الألف فقط والفرق في المعنى أوسع بأكثر من ذلك.

ونجد أن القرآن الكريم في موضع آخر يذكر الترهيب الحسي واضحاً، وهو يرسم حال سلب أرواح الكافرين بالصورة الحسية المصحوبة بضرب الملائكة لوجوههم وأدبارهم، للدلالة على عظيم العذاب، قال تعالى: (**لَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**) (الأنفال:٥٠)، فالتعبير القرآني يرسم صورة منكرة للذين كفروا، والملائكة تستل منهم أرواحهم في مشهد مهين؛ يضيف المهانة والخزي، إلى العذاب والموت، ثم يتحول السياق من صيغة الخبر إلى صيغة الخطاب (وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) ليرد المشهد حاضراً كأنه اللحظة مشهود، وكأنما جهنم بنارها وحريقها في المشهد وهم يدفعون إليها دفعاً مع التأنيب والتهديد[١٨].

وجملة:(يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) في موضع الحال، أي يزيدهم الملائكة تعذيباً عند نزع أرواحهم، وذكر الوجوه والأدبار للتعميم، أي يضربون جميع أجسادهم، فالأدبار جمع دبر وهو ما دَبَر من الإنسان، و(الذوق) مستعمل في مطلق الإحساس، بعلاقة الإطلاق، وإضافة العذاب إلى الحريق من إضافة الجنس إلى نوعه، لبيان النوع، أي عذاباً هو الحريق، فهي إضافة بيانية، والمراد به جهنّم فلعلّ الله سبحانه وتعالى عجّل بأرواح هؤلاء المشركين إلى النار قبل يوم الحساب، فالأمر مستعمل في التكوين، أي: يذيقونهم أو مستعمل في التشفّي[١٩].

ولعل ذكر ضرب الوجوه يكون أكثر إيلاماً، لاحتوائها على جميع الحواس تقريباً (حاسة البصر والسمع والذوق والشم وجزء من حاسة اللمس)، فعندما يُضرب الإنسان على وجهه، سيجد ألماً شديداً تحسه وتعاني منه جميع الحواس، بخلاف بقية الجسم.

وللرازي(ت٦٠٦هـ) إشارة على حد تعبيره أنها ألطف، لدى تفسيره لهذه الآية وبيان معنى الوجوه والأدبار حيث يقول: (وهو أن روح الكافر إذا خرج من جسده فهو مُعرضٌ عن عالم الدنيا مُقبلٌ على الآخرة، وهو لكفره لا يُشاهد في عالم الآخرة إلا الظلمات، وهو لشدة حُبه للجسمانيات، ومفارقته لها لا ينال من مباعدته عنها إلا الآلام والحسرات، فسبب مفارقته لعالم الدنيا تحصل له الآلام بعد الآلام والحسرات، وبسبب إقباله على الآخرة مع عدم النور والمعرفة، ينتقل من ظلمات إلى ظلمات)[٢٠].

وقد تكرر ذكر ضرب الملائكة لوجوه الظالمين وأدبارهم في سورة محمد ﷺ، وما يميز مجيئه في هذه السورة أنه جاء بصيغة السؤال للدلالة على أنه حتمي الوقوع، قال تعالى:(**فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ**) (محمد:٢٧)، (والمقصود، وعيدهم بأنهم سيعجل لهم العذاب من أول منازل الآخرة وهو حالة الموت، ولما جعل هذا العذاب محققاً وقوعُه رتب عليه الاستفهام عن حالهم استفهاماً مستعملاً في معنى تعجيب المخاطب من حالهم عند الوفاة، وهذا التعجيب مؤذن بأنها حالة فظيعة غير معتادة إذ لا يتعجب إلاّ من أمْرٍ غير معهود، والسياق يدل على الفظاعة، ووعيدهم بهذه الميتة الفظيعة التي قدرها الله لهم وجعل

الملائكة تضرب وجوههم وأدبارهم)[٢١].

وفي قبال مشهد الشهداء الذي صوره القرآن الكريم حال احتضارهم بأنهم لا يُصيبهم خوف ولا حزن، يذكر مشهداً حسياً آخر يُصّور فيه حال احتضار الظالمين وكيفية معاملة الملائكة الموَكلين بقبض أرواحهم، قال تعالى: (... **وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**) (الأنعام:٩٣).

فالمشهد الذي يرسمه السياق في جزاء هؤلاء الظالمين مشهد مفزع مرعب مكروب مرهوب، إذ الظالمون في غمرات الموت وسكراته، ولفظ غمرات يلقي ظله المكروب[٢٢]، والغمرة بفتح الغين ما يغمُر، أي يَغُمّر من الماء فلا يترك للمغمور مخلصاً، وشاعت استعارتها للشدّة تشبيهاً بالشدّة الحاصلة للغريق حين يغمره الوادي أو السّيل حتّى صارت الغمرة حقيقة عرفيّة في الشدّة الشّديدة، وجَمْع الغمرات لتعدّد الغمرات بعدد الظّالمين، أو لقصد المبالغة في تهويل ما يصيبهم بأنّه أصناف من الشّدائد ولتتعدّد أشكالها وأحوالها لا يعبّر عنها باسم مفرد، فيجوز أن يكون هذا وعيداً بعذاب يلقونه في وقت النّزع، ولمّا كان للموت سكرات جعلت غمرةُ الموت غمَرات[٢٣].

ونجد أن الترهيب الحسي بالموت واضح في هذه الآية من خلال الآلام الحاصلة بالضرب، والتهديد السافر بجند اللّه، والمتآمرون في نهاية الحياة، وهو مشهد مفزع مهين، وهم يحتضرون، ولا حول لهم ولا قوة، وهم في نهاية حياتهم على هذه الأرض، وفي مستهل حياتهم الأخرى، هذه الحياة التي تفتتح بضرب الوجوه والأدبار، في لحظة الوفاة، لحظة الضيق والكرب والمخافة[٢٤]، فكيف إذا ما دخلوا في تلك الحياة فعلياً؟ إذن في ساعة احتضار الإنسان يكون هناك وجود للترغيب والترهيب الحسي، الذي يحصل حال انتزاع الروح من البدن■

---

١)الخصال/الشيخ الصدوق/ص٩.
٢)ظ: تفسير الأمثل/مكارم الشيرازي: ١٦ / ٢٣٨.
٣)ظ: التحرير والتنوير/ الطاهر بن عاشور: ٤/ ١٦٦.
٤)تفسير مجمع البيان/ الطبرسي: ٢ / ٤٤٥، بحار الانوار/ المجلسي: ٩٧ /١٣.
٥)ظ: في ظلال القرآن/: سيد قطب:١ / ٥١٨.
٦)ظ: تفسير مفاتيح الغيب/ الرازي: ٩ / ٤٣٠.
٧)ظ: م، ن: ٣ / ٤٧٢.
٨)ظ: تفسير الأمثل: ١٩ / ١٧٢.
٩)ظ: العين/ الفراهيدي: ٥ / ٣٠٩.
١٠)ظ: تفسير الأمثل:١٧ / ٢٣.
١١)التحرير والتنوير: ٢٦ / ٣٠٦.
١٢)ظ: في ظلال القرآن: ٦ / ٣٣٦٤.
١٣)ظ: ن.م: ٢ / ١٠٤٤.
١٤)ظ: التحرير والتنوير: ١٤ / ١٣٩.
١٥)تفسير الأمثل: ٩ / ٣٤٢.
١٦)التحرير والتنوير: ١٤ / ١٣٩.
١٧)تفسير روح المعاني/ الآلوسي: ٧ / ٣٦٩.
١٨)ظ: في ظلال القرآن: ٣ / ١٥٣٤.
١٩)ظ: التحرير والتنوير: ١٠ / ٤١.
٢٠)ظ: تفسير مفاتيح الغيب: ١٥ / ٤٩٤.
٢١)التحرير والتنوير: ٢٦ / ١١٨.
٢٢)ظ: في ظلال القرآن:٢ / ١١٤٩ .
٢٣)ظ: التحرير والتنوير: ٧ / ٣٧٧.
٢٤)ظ: في ظلال القرآن:٦ / ٣٢٩٨.

نوادر في البيان والبلاغة والفصاحة

ينابيع

دخلت امرأة على هارون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه، فقالت: يا أمير: أقرّ اللّه عينك وفرحك بما آتاك، وأتم سعدك، لقد حكمت فقسطت، فقال لها: من تكونين أيتها المرأة ؟ ، فقالت: من آل برمك، ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم. فقال: أما الرجال فقد مضى فيهم أمر اللّه ونفذ فيهم قدره، وأما المال فمردود إليك. ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه، فقال: أتدرون ما قالت هذه المرأة ؟ فقالوا: ما نراها قالت إلّا خيراً. قال: ما أظنكم فهمتم ذلك، أمّا قولها أقر اللّه عينك، أي أسكنها عن الحركة، وإذا سكنت العين عن الحركة عميت، وأما قولها: وفرحك بما آتاك، فأخذته من قوله تعالى: (**حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً**)(الأنعام:٤٤) وأما قولها: وأتم اللّه سعدك، فأخذته من قول الشاعر:

إذا تَمَّ أمرٌ بَدا نقصُهُ
تَرقَّبْ زوالًا إذا قِيلَ تَمْ

وأما قولها: لقد حكمت فقسطت، فأخذته من قوله تعالى: (**وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا**) (الجن: ١٥)، فتعجبوا من ذلك .

(المستطرف في كل فن مستظرف/ الأبشيهي/ج١ص ٨٧)

حكي أن القاضي الفاضل كان له صديق خصيص به، وكان صديقه هذا قريباً من الحاكم صلاح الدين الأيوبي، وكان فيه فضيلة تامة، فوقع بينه وبين الحاكم أمر فغضب عليه وهَمّ بقتله، فتسحّب إلى بلاد التتر، وتوصل إلى أن صار وزيراً عندهم، وصار يُعَرِّف التتر كيف يتوصل إلى الحاكم صلاح الدين بما يؤذيه، فلما بلغ الحاكم ذلك نفر منه، وقال للفاضل: اكتب إليه كتاباً عرفه فيه أنني أرضى عليه واستعطفه غاية الاستعطاف إلى أن يحضر، فإذا حضر قتلته واسترحت منه. فتحير الفاضل بين الاثنين، صديقه يعزُّ عليه والحاكم لا يمكنه

مخالفته، فكتب إليه كتاباً واستعطفه غاية الاستعطاف ووعده بكل خير من الملك، فلما انتهى الكتاب ختمه بالحمد لله والصلاة والسلام على النبي ﷺ وكتب: إنّ شاء الله تعالى، كما جرت به العادة في الكتب، فشدّد إنّ، ثم أوقف الملك على الكتاب قبل ختمه، فقرأه في غاية الكمال وما فهم إنّ، وكان قصد الفاضل: (إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ)، فلما وصل الكتاب إلى الرجل فهمه، وكتب جوابه بأنه سيحضر عاجلاً، فلما أراد أن ينهي الكتاب ويكتب إن شاء تعالى مدّ النون وجعل في آخرها ألفاً، وأراد بذلك: (إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا)، فلما وصل الكتاب إلى الفاضل فهم الإشارة، ثم أوقف الملك على الجواب بخطه ففرح بذلك.

(المستطرف في كل فن مستظرف/الأبشيهي/ج١ص٨٩)

حكي أن البادية قحطت في أيام هشام الأموي، فقدمت عليه العرب، فخافوا أن يكلموه، وكان فيهم درواس بن حبيب وهو ابن ست عشرة سنة، له ذؤابة وعليه شملتان، فوقعت عليه عين هشام، فقال لحاجبه: ما شاء أحد أن يدخل عليّ إلّا دخل، حتى الصبيان !! فوثب درواس حتى وقف بين يديه مطرقاً فقال: يا أمير... إن للكلام نشراً وطياً، وإنه لا يعرف ما في طيه إلّا بنشره، فإن أذن لي الأمير أن أنشره نشرته، فأعجبه كلامه، وقال له: أنشره لله درك، فقال: يا أمير ... إنه أصابتنا سنون ثلاث، سنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة دَقّتْ العظم، وفي أيديكم فضول مال، فإن كانت لله ففرقوها على عباده، وإن كانت لهم، فعلام تحبسونها عنهم؟ وإن كانت لكم، فتصدقوا بها عليهم، فإن الله يجزي المتصدقين. فقال هشام: ما ترك الغلام لنا في واحدة من الثلاث عذراً، فأمر للبوادي بمائة ألف دينار وله بمائة ألف درهم، ثم قال له: ألك حاجة؟ قال: ما لي حاجة في خاصة نفسي دون عامة المسلمين، فخرج من عنده وهو من أجلِّ القوم.

(المستطرف في كل فن مستظرف/الأبشيهي/ج١ص٩٢)

أجوبة مسابقة العدد (٧١)
وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: أ- إذا صعد الصفا واستقبل القبلة.

السـؤال الثاني: أ- تسع سنين وأشهر.

السـؤال الثالث: ب- عبد الله

السـؤال الرابع: أ- ابن الجوزي

السؤال الخامس: ب- جرجان.

السؤال السادس: أ- فقد أغرق نزعاً ولا تطيش سهامي.

السـؤال السابع: ج- سامراء/ ١٣١٢هـ.

السـؤال الثامن: ب- غزوة وادي الرمل.

السـؤال التاسع: ب- الحسن البصري.

الفائز بالجائزة الأولى: أحمد حسن محمد/ بغداد/ الشعلة.

الفائز بالجائزة الثانية: كَطران كاظم معن/ الحلة/ الأكرمين

الفائز بالجائزة الثالثة: فاتن سليم صالح/ بغداد/ البياع

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم
ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد.

مسابقة العدد (٧٣)

١ بلال بن رباح الحبشي، مؤذن رسول الله ﷺ، شهد بدراً والمواقف كلها، كان من السابقين للإسلام، لم يؤذن بعد وفاة رسول الله ﷺ إلا مرة واحدة بطلب من السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام إذ اشتاقت إلى سماع صوته يجهر بالأذان، متى وأين توفي بلال؟

أ- ١٨ هـ/ دمشق.

ب- ١٧ هـ/ المدينة المنورة.

ج- ١٦ هـ/ الكوفة.

٢ أبو الأديان، ممن حظي بخدمة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وقد حثه الإمام عما سيجري بعد استشهاده وما سيراه من ادعاء شقيقه جعفر للإمامة، فسأله أبو الأديان عن علامات الإمام الذي سيكون بعده، فكم علامة ذكرها عليه السلام له؟

أ- علامتان.

ب- ثلاثة علامات.

ج- أربع علامات.

٣ «**لا تراه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان...**» من كلام للإمام علي عليه السلام قاله لمن سأله: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين عليه السلام. فمن هو السائل؟

أ- ذعلب اليماني

ب- مالك الأشتر

ج- أويس القرني

٤ لما تيقن رسول الله ﷺ من حتمية ملاقاة المشركين في واقعة الأحزاب دعى المقربين من أصحابه لغرض التشاور معهم ومعرفة موقف المسلمين العسكري والميداني، فأشار سلمان المحمدي عليه برأي فأخذ به النبي ﷺ فما هو ذلك الرأي؟

أ- أن يحفر المسلمون خندقاً حول ساحة الحرب.

ب- أن يضع المسلمون حطباً ليشعلوه حماية لهم.

ج- أن يكمن الرماة حول التلال ليباغتوا المشركين.

ينابيع ٧٣

كوبون المسابقة

الاسم الثلاثي: ..... العنوان: .....

جواب السؤال الأول		جواب السؤال الثاني		جواب السؤال الثالث		جواب السؤال الرابع	
أ		أ		أ		أ	
ب		ب		ب		ب	
ج		ج		ج		ج	

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه(مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ جمادى ١٤٣٨/٢هـ

جواب السؤال السابع	أ	ب	ج

جواب السؤال السادس	أ	ب	ج

جواب السؤال التاسع	أ	ب	ج

جواب السؤال الخامس	أ	ب	ج

جواب السؤال الثامن	أ	ب	ج

٥ دخل أمير المؤمنين عليه السلام على أحد أصحابه عائداً له فرأى داره على سعة ورحابة فقال له: ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا، أما أنت إليها في الآخرة أحوج، فمن هو صاحب الدار؟

أ- سهل بن حنيف

ب- عبد الله بن عباس

ج- العلاء بن زياد

٦ سورة من سور القرآن الكريم قال عنها النبي صلى الله عليه وآله من كتبها وعلقها في منزله كثر خيره ومن أدمن قراءتها زال عنه الفقر وفيها القبول والزيادة والحفظ والتوفيق والسعة في المال، فما رقم هذه السورة في القرآن؟

أ- ٧٠ ب- ٨٥ ج- ٥٦

٧ **(إلهي قد مد الخاطئ المذنب يديه بحسن ظنه بك)** فقرة من دعاء كان يدعو به زيد بن صوحان لما كان ساكناً بالكوفة ففي أي مسجد كان يدعو؟

أ- مسجد الكوفة ب- مسجد السهلة ج- مسجده

٨ لما قدم أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة بعد واقعة الجمل استقبله أهل الكوفة يهنئونه ويدعون له بالبركة وقال له أصحابه: أتنزل القصر؟ قال: ذلك قصر الخبال، ففي أي مكان نزل؟

أ- دار ابن أخته جعدة بن هبيرة.

ب- دار عبد الله بن مسعود

ج- دار ميثم التمار

٩ لما استشهد أمير المؤمنين عليه السلام غسّله ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وكفّن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص وكبر عليه ولده الإمام الحسن عليه السلام فكم كان عدد التكبيرات؟

أ- تسع تكبيرات ب- سبع تكبيرات

ج- ثلاث تكبيرات

قناة المنهاج الفضائية

MINHAJ TV CHANNEL

للحقيقة نهجها

www.minhaj-tv.com

info@minhaj-tv.com

التردد: 11641 أفقي | معدل الترميز: 27500